# رومل ثعلب الصحراء

ترجمة

المهدي سعد الأبيض

ليبيا

الناشر: الكتاب والتوزيع والأعلان والمطابع

# رومل ثعلب الصحراء

Rommel: The Desert Fox by Desmond Young

حسن أيوب اللويشي

الناشر: الكتاب والتوزيع والأعلان والمطابع

**هناك 3 ترجمات معروفة لهذا الكتاب Rommel: The Desert Fox**

**الذي هو من تأليف: Desmond Young**

أقدمها الترجمة الشامية و عنوانها (رومل على أبواب الشرق تأليف ديزموند ينغ) الصادرة في بيروت سنة 1951م، اضطلع بها بتصرف باسيل دقاق، و هي من منشورات مكتبة بيروت.

بعدها جاءت الترجمة الليبية و هي صادرة في السبعينات او الثمانينات من القرن الماضي، و عنوانها: رومل ثعلب الصحراء و قد اضطلع بها المهدي سعد الأبيض، و صدرت في بنغازي (بدون تاريخ)

و اخرها الترجمة المصرية و عنوانها : رومل ثعلب الصحراء، و قد اضطلع بها محمد حسن العيدروس، و صدرت عن دار الكتاب الحديث للطباعة و النشر و التوزيع، مصر، 2011م

و لأن اغلب وقائع الكتاب دارت في الصحراء الليبية فلعلها اصح من ناحية تسمية القرى و الأماكن، لكن لغة الترجمة الشامية اجمل، أما المصرية فلم يتيسر لي الاطلاع عليها

# تقـــديم

بقلم : سليمان محمود

وقع بين يدى كتاب ثعلب الصحراء لديسموند يونج منذ سنوات واحتفظت به في مكتبتي واذ بصديق وهو الذى ترجم الكتاب يستعيره ويقترح ترجمته الى العربية فهو بالاضافة الى الانجليزية يجيد الالمانية والتركية وهو الاخ المهدى سعد الابيض فأيدت الفكرة وشجعته على الترجمة لاسباب قد يختلف معى فيها البعض .

فمثلا المشير اروين روميل ضابط المانى يمثل النازيه التى اشعلت الحرب العالمية الثانية ، ثم لان لدينا من القادة المسلمين الذى فتحوا الامصار فهؤلاء يجب أن نبحث معاركهم وننشرها ونؤلف عنها الخ. . غير أننى اخالف هذا الرأى — حسب رأى وفهمى — حيث ان روميل كان قائدا عسكريا وكانت تسيره روح الفروسية في قتال اعدائه . . . ثم أن معارك الفيلق الافريقى الذى يقوده روميل وما جرت فوق اراضينا الطيبة والتى سببت لنا خسائر جمة ولا زلت اذكر في طفولتى اشلاء الليبيين التى تطايرت من جراء الالغام في منطقة طبرق . . لقد سبب لنا المتحاربون فوق هذه الارض الطيبة الدمار والتشرد وهدم المدن والبيوت كما أن حقول الالغام لا زالت تسبب لنا خسائر في البشر وتعرقل تنمية الاراضى بالزراعة . . كما أننى اتيحت لى فرصة للسخط على النازية عندما زرت الاتحاد السوفيتى ورأيت النصب التذكارية لملايين من البشر الذين سقطوا ضحايا النازية او كما يطلقون عليها الاصدقاء الروس — الاعداء الفاشيست .

وفي الجانب الآخر قابلت في عام ١٩٧٥م مانفريد روميل في مدينة شتوتجارت وفي حوار معه عرفت ان روميل لم يكن نازيا « حزبيا » بقدر ما كان جنديا يخدم بلاده . . والمهم في قراءة الكتاب وتصفحه هو استخلاص الدروس المستفادة . . وكيف جرت الحرب في الصحراء والكتاب شهادة عدو روميل هو العميد ديسموند يونج الذى وقع اسيراً « وقابل روميل » .

ان الكتاب شيق وباسلوب ادبى ترحل مع الفيلق الافريقى بفرقه الشهيرة (١٥) بانزر — و (٢١) بانزر والفرقة التسعون خفيفة .. يعيش القارىء اكتساح روميل الاول للبريطانيين ثم انسحابه ثم معركة عين الغزالة ثم انسحابه الى العقيلة ثم الهجوم وسقوط القلعة الحصينة طبرق ثم الوصول والتوقف في العلمين ثم نسير في انسحاب طويل الى تونس فاستسلام الفيلق الافريقى ونهاية الفيلق ثم نرى قائده مفتشا عاما للجبهة الغربية في اوروبا ثم نهايته .

والآن بعد مرور عقود من الزمن على الحرب فوق اراضينا لا بد لى ان اذكر ارواح الشهداء من الليبيين والليبيات والتى جاءت ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة لتطرد آلاف الفاشست ولتطرد القواعد الامريكية والبريطانية ولتجعل الارض خضراء ولترسخ سلطة الشعب وتخلق الشعب المسلح القوى لصد الاعداء اعداء الانسانية .

وانني اقدم شكرى للاستاذ المهدى سعد الابيض لترجمة الكتاب واشكر الاخ سليمان عقيله لسهره على تصحيح الكتاب وعلى ملاحظاته القيمه كما أشكر الاخ ابوحميره عبدالله لرسمه الخرائط . . . .آملا ان يكون الكتاب شيق ومفيد للدارسين العسكريين .

« والفاتح أبداً »

حسن أبو يوسف اللويتي

## كلمـــة شـــكر وثناء من المؤلـــف

● أقدم شكرى وثنائى الى المشير سير اكلاودى اوكنيلك على تفضله بكتابة كلمة المقدمة لهذا الكتاب ، وعلى تعطفه الذى لا خلاف عليه تجاهى خلال السنين التى تشرفت فيها بخدمته ... والى المشير « ايرل وافل » واللواء « سير ريتشارد اوكنور» والفريق آرثر اسميث الذين عبروا لى عما يكنونه « لرومل » من تقدير كقائد .. والى العميد « شيرر » والعميد « وليامز» وللعميد « اكويليان » والرائد « ديجى» رايبورن كليفتون » بخصوص قصة مقابلتى مع رومل عندما كنت اسير حرب والى المقدم «كارفر» الذى سمح لى بذكر جمل مفصلة عن قيد معارك شهرى نوفمبر وديسمبر من عام ١٩٤١م . المنشورة في يوميات الفيلق الملكى المدرع ، وعلى استعمال خرائطه والى « شيستر ويلموت» حيث انى مدين له لقاء مساعدته القيمة في الحصول على الاصول والى الفريق « أول فوللر» والنقيب « ليدل هارت» وآلان مورهيد على النصيحة والاذن لى بالاستعارة منهم والى المقدم « فيندلاى» لترجمة « المشاة يصدون » .

والى الدكتور « باول ويبرمن مدينة بيرن على ما حصل عليه من مواد في سويسرا .... ولاصدقائه السيد والسيدة «كوف» من مدينة نيوشادل على نقلهم لى في المانيا ... والى العقيد « لارثر» من جيش الولايات المتحدة قسم التاريخ لسماحة لى بذكر مقتطفات من كتاب ايزنهاور « الصليبيون في أوربا » والى « شيانو» لسماحه لى بذكر مقتطفات من مذكراته .

ومن جهة أخرى فقد استلمت كل مساعدة ممكنة من السيدة زوجة « رومل » ومن نجلها « مانفريد » ومن نائب أمير البحر « روج» ومن اللواءات « ايزبيك وفون رافنشتين واسبيدل » ومن النقباء « الدينقر وهارتمان » ومن الدكتور « استورلن » من مدينة اشتوجارت الذى روى لى قصة اشتراك « رومل » في المؤامرة ضد « هتلر» ومن « البارون فون ايزبيك» مراسل حربي ومؤرخ عسكرى وصديق « رومل » الذى كان معه في شمال أفريقيا وفي نورمانديا ومن « ويليام فيسلس » المصور الحربي مع فيلق أفريقيا ومن « هيريرت فونتر» الخادم الخاص « لرومل » قرابة أربعة سنوات .

وأخـــيراً :

فاني مدين لزوجتى صاحبة هذه الفكرة والتى ساعدتنى فيها وفي فترات راحتها من التسوق والطهى ورعاية الكلاب حيث قامت بطباعة ونقد وتنقيح كل ماكتبت .

## مقـــدمة

### بقلم المشير سير كلاودى أوكنيلك

* في هذا الكتاب تمت اعادة كتابة رسالتي ورأيت ضرورة إرسالها الى قوادى في الميدان عندما كان اسم « رومل » يهيمن بصورة ساحرة على أذهان جنودنا وليس لاى قائد للعدو أن ينال مثل هذه السمعة الا اذا كان رجلا غير عادى ولقد كان « رومل » بالفعل رجلا غير عادى .

وكثيراً ما أنجبت المانيا العديد من القواد ذوى الكفاءة والقدرة المجردين من الشفقة والرحمة ومن بينهم « رومل » الذى ظهر نتيجة السيطرة الغريزية والصلابة في العقل العسكرى الالماني واصبح سيداً للارتجال .

ولقد كان صغار الضباط الالمان كما بدا لى في الفيلق الافريقي والفرق العسكرية والكتائب العسكرية وقوادها أفضل بكثير منا في النواحى التكنيكية وهذا لم يكن بسبب عيب في رجالنا ، ولكنه كان بسبب الواجبات الموكلة لجيشنا في أيام السلم ونتيجة نقص التدريب .

ومع استمرار الحرب ثبت رجالنا أقدامهم وقد أمكن مقارنتهم بالالمان في كثير من الحالات لان غريزتهم التكنيكية طورت نفسها نتيجة الظروف .

الا أن « رومل » قد بقى في المناصب العليا والقائد التنفيذى في ميدان المعركة وأشهد بنفسى على مرونته وحيلته ودهائه وذكائه المفرط . . وطيلة المدة لم نكن سعداء لطريقة تدريب شبابنا على السلاح ولقيادة ضباطنا في الميدان ، وهناك الكثير الذى نستطيع أن نتعلمه منه من خلال دراستنا لاسلوبه واتصالاتنا الشخصية مع « رومل » محددة في المواجهات معه ومع فيلق أفريقيا في حملات عامى١٩٤١م — ١٩٤٢م . في الصحراء الغربية ، ولكن بعد قراءة قصصه عن السنين الأولى والسنين الاخيرة وجدت أن فكرتي عنه خلال الايام العنيفة عندما كانت المعركة تدور بين كر وفر فيما بين مدينتى بنغازى والاسكندرية لاتختلف كثيراً ( من وجهة نظر المؤلف ) .

ولابد لى أن أذكر أنه كان لى تصوراً خاطئا ، فقد أذهلنى أن أعرف كيف كان « رومل » رجلا بسيطا محبا لبيته وأظن أننا نحن الذين كنا نعتقد أنه ضابط إقطاعى بروسى صنع بمصانع بروسيا العسكرية ، ولكن الثابت أنه ليس كذلك

.. فان نجاحه كقائد للرجال في المعركة لمذهل حقا فقد سبب لى شخصيا وجعل أولئك الرجال الذين كانوا يعملون تحت قيادتي يعيشون لحظات مخيفة في الصحراء ولم تكن لنافترة لاراحة أنفسنا حتى نقضى عليه كأمنية أى قائد شغله الشاغل ابادة عدوه .

وهكذا كان « روميل » ، لم يبد أى رحمة ولم ينتظرأى رحمة ومع ذلك لم استطع ترجمة كراهيتى الشديدة لنظام الحكم الذى كان « روميل » يحارب من أجله الى احقاد شخصية تجاهه كخصم ... وأنا اذ أقول الآن بأنه قد ذهب بغير رجعة فاني احييه كجندى وكرجل وارثي للطريقة المخجلة التى مات بها ، كما اخشى أن ينوه الى بما أسماه السيد بيفن « تكتل الجنرالات» .

وحسب تقديرى فاذا مانشأت مثل هذه الزمالة فان وجودها لايعنى الا اعترافا بعدو من نوعية يتمنى الانسان أن تكون له كما تعنى اعترافا بخصم شجاع قادر دقيق كما تعنى رغبة أن أراه يعامل في حالة الهزيمة بالطريقة التى يتمنى الفرد أن يعامل بها اذا كان الخصم هو الفائز وهو نفسه الخاسر ، وهذا مايسمى بالشهامة والفروسية ... وكثيرون الان يعتبرون هذا مجرد هراء ويقولون أن أيام الاحساس بهذه المشاعر قد خلت واذا كان الامر كذلك فاني اسف من أجل احد الرجال .

ان مؤلف هذا الكتاب العميد « ديسموند يانج» لم يدخر وسعا من أجل فهم الحقيقة عن « روميل » حياته وموته من عائلته ومن آخرين لا أرى غيرهم جديراً بتسجيل هذه الاحداث بصورة أفضل بصفته أنه من المحاربين القدماء في الحرب العالمية الأولى ... حيث كان في وسط الصحراء في المعارك الا أن سوء حظه أوقعه أسيراً في عين الغزالة عندما كانت المعركة تتأرجح ... انه صديق قديم لى وبعد هربه من الاسر من يد العدو بقى احد ضباط أركاني ... ولقد تحدثنا معا في دلهى وفي سفرات طويلة بالطائرة حول العالم في أغلب موضوعات الدنيا ... ولكى لايقال أننى استلهمت وجهه نظره في الامور العسكرية التى تختلف فيها الآراء يجب أن اقول أننى لم أناقشه في الأدارة الحربية في شمال أفريقيا وأن جميع ماقاله من بنات أفكاره الشخصية لانه رجل ذو عقلية مستقلة .

وبالنسبة لكتابه فلم أطلع عليه الا عندما كان في طريقه للطبع وقد فعلت ذلك بكل أهتمام ومتعة ولسوف يكون هذا الكتاب مبهراً للاخرين كما كان لى ، كما انه سيكون من جانب آخر احقاقا للحق بالنسبة لخصم قوى القلب ويمكن أيضا أن يبين لجيل الماني جديد أننا لانكره فيهم سمات جنديتهم لكننا نكره سوء استخدامها المتكرر بواسطة رؤسائهم .

**« فلادى او كلينك »**

## تمهيـــد

كنا نمشى متثاقلين صباح أحد الايام الحارة الأولى من شهر يونيو بعد أن ازلنا حقل الالغام غرب بير الهرمات وكنا في داخل وحول مقر فرقة المشاة الهندية في بير الهرمات في الوقت الذى اكتسحنا فيه الدبابات الالمانية في المساء السابق ومثل آى اسرى قضوا ليلتهم في العراء كنا مجموعة مهينة تتكون من انجليز وهنود ، البعض يرتعد من البرد يلبسون قمصانا بلون الاشجار مع سراويل قصيرة ، والبعض في معاطف كبيرة ملتفحا بها حتى عينيه والبعض ملتف بالبطاطين والخوذات ... الكل غير حليق بلاغسيل ، مجهد ، والجميع جوعى ، والكل مبعثرون في الداخل .. وكنا قد بدأنا نتحقق من أن ما كان يعرف في الشرق الاوسط على سبيل المزاح بأنه « معبأ داخل جوال » لم تعد مجرد نكتة ... وكان الحرس يمعن النظر ناحيتنا من وقت لآخر باحتقار مهين ، وهو نفس الاحتقار الذى غالبا ما كنا نرى به الطوابير التى لاتنتهى من الاسرى الايطاليين وتابعت سيرى خلال أطراف حقول الالغام كى أنتقل بسهولة لخوفي بصفة أساسية من الالغام ولم أتبين ماتحت قدمى الا عندما ناداني جندى الماني شاب بصوت حاد كى أعود الى الطابور وبعدها لم أعد أهتم بذلك .

وعلى الجانب الآخر لحقل الالغام مررنا أمام البطاريات الالمانية وكانت في حالة عمل ، وكانت في نفس الوقت بعض دباباتنا ومدافعنا تطلق القذائف بحثا عنها ، وبدأت تسقط حول الطابور قذائف من بطارية ٢٥ رطل مع طابور من الدبابات التى كانت تأتي تباعا وفقد أحد الضباط الشبان القريبين قدميه ... كما كانت هناك صيحات من المقدمة للتنبيه وأثناء هذا الاندفاع اختلط الحابل بالنابل وجريت لاكسب عدة ياردات مع الباقين ... وحيث أنه من السهل الجرى داخل مدى القذائف أو خارج هذا المدى تحول الجرى الى سير وهكذا وجدت نفسى أسير بجانب الشاب الاشقر الذى يمثل فيلق أفريقيا والذى كان يقود مؤخرة الفرقة وأشار الى أن اجرى فخلعت الكاب الذى البسه لكى يرى شعرى الابيض فتردد مثلما يفعل كلب الراعى الصغير عندما لايستطيع أن يقرر هل يذهب لالتقاط الحروف الشارد أو ان يحافظ على بقية القطيع ... عندئذ ضاعف من خطاه مشيراً الى كى أتبعه .

وحيث أن البطارية كانت كما يبدو مشغولة بشئونها الخاصة أخذت اتمشى للوصول الى الفيلق وعلى بعد خمسين ياردة أو نحو ذلك وجدت ما كنت ابحث عنه وهو خندق محفور فتسللت اليه وأهلت التراب من فوقى ، فالرمل في الصحراء

نادراً ما يكون هو نهاية المطاف حيث يمكن بشيء من حسن الحظ أن أظل هناك حتى الظلام ثم أجد طريقا وسط الالغام بعد ذلك ، فلن يمكن الوصول الى الوطن الا بالوصول الى منطقة العدم مع أن كثيراً من الناس قد ساروا الى أبعد من ذلك بكثير .

وبعد عشرين دقيقة فقط كانوا قد اكتشفوا موقعي ... فلقد اكتشفني ضابط الماني أثناء سيره بعربته فتوقف وأخرجني جنوده ثم قادوني الى أول الطابور في الوقت الذى مازالت فيه تطلق قذائف النيران متفرقة ... وقبل أن اختلط ببقية المجموعة صاح في وجهى نقيب الماني باللغة الانجليزية ... « هل انت الضابط الأول هنا ؟ وربما كنت كذلك فأنا أقدمهم جميعا بكل تأكيد ، ثم قال « ستذهب في سيارة أركان حرب مع ضابطين المانيين يحملان علم الهدنة لتخبر بطاريتك أن تتوقف عن اطلاق النيران فهم يعرضون رجالكم للخطر هنا » ... وكان هذا الكلام عين الحقيقة وبالرغم من هذا فان غريزة أى اسير حرب الطبيعية هى الايفعل مايؤمر به ، ولهذا اجبت بانني لا اعتقد أنه يمكنني ذلك ، فقال النقيب « اذا عليك أن تختار أحد الضباط لهذه المهمة » فأجبت بأن حتى هذا لا استطيع أن أقوم به أيضا ( ولقد قضيت لحظات غريبة خلال الستة عشر شهراً التالية أسائل نفسى ، كيف كان لهم ان يستردوني مرة أخرى اذا كنت قد وصلت الى البطارية وكثيراً ماتساءلت عما اذا كنت غبيا عندما رفضت ذلك ) .

وفي هذه اللحظة جاءت سيارة من نوع ( فولكس فاجن ) وقفز منها شبح قصير ممتلىء لكنه قوى جميل الهندام على عكس بقيتنا حيث كنا نرتدى سترة وسراويل قصيرة ، ولقد لاحظت أن له عيونا زرقاء لامعة وفكا قويا وله مظهر القادة ولاحاجة للواحد منا ان يفهم الالمانية ليدرك أنه كان يسأل ، « ماذا يجرى هنا ؟ » وتحدثنا معا لثوان قليلة ثم التفت الى الضابط الذى تحدث بالانجليزية قائلا بغضب « ان القواعد العامة تقول انه في حالة عدم تنفيذ الامر الذى أعطيك اياه فلايمكن اجبارك على ذلك ، فنظرت الى القائد ورأيت حسب ظني طيف ابتسامة وعلى أية حال فان تدخله بدأ وكأنه يستحق مني التحية فأديت له تحية قبل أن ارجع الى الفرقة كى يأخذوني مرة أخرى الى الأسر .

وهكذا لم افشل في التعرف على « رومل » الا انني لم استطع افتراض ذلك الا بعد سنوات قليلة عندما كانت أرملته تناولني تمثالا له بعد موته وتروى لى قصة مقتله .

# الفصـــل الأول

## بنغـــازى « رحلـــة العـــودة »

في منتصف فبراير سنة ١٩٤١م . كان نجم القوات البريطانية عاليا في مصر وحسب مقاييس الحظ التى لاتكذب ، وكان رجال الحانات في القاهرة والاسكندرية يتدفقون بدرجة كبيرة لدرجة انهم كانوا لايستطيعون أن يحجموا عن اقامة حلقات للشرب في المنازل ، وفقد السقاه شيئا من مظهر الاحتقار الذى يشبه نظرة الجمل ، وحتى سائقو عربات الاجرة المصريون أصبحوا مؤدبين بدرجة كبيرة ، وفي القصور الكبيرة كان الباشاوات ممتلئو الاجسام يدعون كبار الضباط الانجليز الى نادى محمد على وكانت تقام الحفلات في الحدائق المجاورة لنادى الجزيرة الفخم ، وتوقف المجتمع القاهرى عن التحدث باللغة الايطالية ، وكانت العلاقات بين الملك وسفير بريطانيا تصل الى درجة العلاقات الودية القلبية وفي كلمة واحدة فان الشرق « ولا فرق هنا بين الشرق الادني والاوسط والاقصى» كان يميل ميلا غريزياً للسلام ... وكان أصحاب المحلات في شارع قصر النيل مشتتين بين رغبة وطنية في رؤية آخر قواتنا والرغبة الشديدة في الحصول على كل أموالنا وهذه الرغبة قد عكست بطريقة غامضة أن تدفق المال سوف يتحول قريباً الى مايقابله من مال في طرابلس .

ومن ناحيتنا فان الشابات الفاتنات اللائى كن يعملن كعاملات هواتف في مقر القيادة أو أمينات معامل في المستشفيات كن يحملقن باعجاب شديد عند رؤية أحد فرسان الفرقة الحادية عشرة الذى كان يتمشى بسرواله المنقوش داخل صالة فندق شبرد أوعلى سطح حديقة فندق الكونتنتال فقد كان هؤلاء هم أشهر ( فئران الصحراء ) للفرقة المدرعة السابعة الشهيرة فهم الذين قاموا بالضربة الاولى وعبروا الاسلاك الامامية في الليلة التى تلت دخول ايطاليا الى الحرب والذين عادوا بمجموعة من الاسرى الايطاليين ، ومنذ ذلك الحين في تلك الشهور الثمانية التالية كانوا يعيشون في جيوب الاعداء ويهيمون خلف خطوطه في سياراتهم المدرعة لمراقبة كل حركة واطلاق الرصاص على طول الطريق الساحلى الى أن بلغ بالعدو الخوف من التحرك بعد الظلام وقد كانت مجموعة التجوال البعيد في الصحراء هى فقط التى يمكن ان تساويهم في جرأتهم ... وحتى المرافقات من النساء الشابات كن يعترفن بأنه مع أن جماعات الفرسان ليست سوى مجموعة تافهة فان كتيبة الفرسان الانجليزية كانت على العكس من ذلك فهى تملك الكثير من السمعة الحسنة .

وفي حجرات الملابس بالفنادق كانت قبعات اللباد الخاصة بكتيبة الرماة وعليها الصلبان المالطية الفضية معلقة بجانب مثيلاتها للفرقة الستين بأزرارها الحمراء وخرزاتها المدلاة ، وفي الحانة كان ضباط هاتين الكتيبتين متساوين تقريبا في شهرتهم في المعارك كمجموعات امداد ... وكانوا يكنون الشعور الانساني العام كل تجاه الاخر على مضض وهذا الشعور لم يكن له أن يتواجد في أى مجموعة أخرى ماعدا بالطبع مجموعة الفرسان .

أما بالنسبة للاستراليين فقد كانوا يمشون خلال الشوارع دونما اكتراث بكبار ضباطهم ، كما كانوا يقودون سياراتهم كعاداتهم كل عشرة معا في عربات قديمة ليقوموا بالتسكع في المدينة التى اشترك فيها اباؤهم في نهاية الحرب العالمية الأولى ... ومن وقت لاخر كانوا يقتحمون بعض الملاهى وقد كان أصحاب المقاهى والمترجمون وبائعو منافض طرد الذباب وبطاقات صور الجنس ينظرون اليهم باحترام ناتج عن خوف أكثر منه عن حب .

ولكى نعطى مثالا للقاهرة عند أستقبالها او توديعها لاية فرقة فهناك تفصيلات تركت عن الفرقة الهندية الرابعة التى غادرت الى انتصارات جديدة في أريتريا والحبشة والتى كانت تتحرك خفية بين الجماهير .

واذا كانت مصر قد اعطت انطباعا عن جيش النيل ، فان جيش النيل كان يتيه بنفسه ، ولهذا مايبرره فقد تقدم في الشهرين الاخيرين مسافة ( ٥٠٠ ) ميل كما هزم ودمر جيش ايطاليا المكون من أربعة فيالق تشمل تسع فرق وجزءاً من الفرقة العاشرة كما أسر ( ١٣٠ر٠٠٠ ) جندى وغنم ( ٤٠٠ ) دبابة ، ( ١٢٩٠ ) مدفع بجانب كميات هائلة من مواد أخرى ( ومن بين هذه الاشياء الاخرى مفروشات سراير مريحة وقمصان حريرية وأطقم حمام متقنة من الجلد الفلورنس وزيوت معطرة للشعر ومعاطف فرسان من جميع المقاسات وماء عطر وفير مع قافلة من الفتيات وضباط لاستعمالهم كـ « ..... » فقد كان الايطاليون يذهبون الى الحرب وهم في حالة استرخاء تام ، وعندما استسلم اللواء « بيرجانزولى » بلا قيد ولاشرط في السابع من فبراير انضم اليه في الاسر في مدينة دهرادون كثير من القادة الضباط يفوق عددهم مارأته الهند معا منذ سنة ١٩١١م .

وقد زال من الخريطة تماماً جيش غراسياني الذى بدأ في الصيف السابق وليس عليه الا أن يقفز الى عرينه ليصل الى القاهرة تحت غطاء من القوة الجوية الفائقة ( والذى قام بذلك على نحو سليم ) .. بل أن ( غراسياني ) نفسه كان يشكو من أن

موسوليني قد اضطره ان يشن حربا وكأنه « برغوثا » يحارب فيلا ( برغوثاً من نوع خاص له ألف مدفع ) كما جاء على لسان الدوقة أن ( غراسياني ) قد بعث بوصيته الى زوجته ثم اعتزل الى مقبرة رومانية على عمق ( ٧٠ ) قدم في مدينة شحات ثم ذهب الى ايطاليا .

كل هذا بتكلفة وصلت الى ( ٥٠٠ ) قتيل ، ( ١٣٧٣ ) جريح ، ( ٥٥ ) مفقود ، وذلك عن طريق قوة تشمل ثلاث فرق فقط منها اثنتان كانتا تعملان في وقت واحد أثناء العمليات ، وهما الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الهندية الرابعة وهذه الاخيرة كانت الفرقة الاسترالية السادسة قد خلصتها بعد معركة سيدى براني

ان صدى هجمات القائد « ويفل » قد تلاشى بسرعة تحت وطأة المعارك الكبيرة على الجبهة الروسية ، واصبح الأسلوب الجديد هو أن تنتقد الانتصارات التى يتم كسبها ضد الايطاليين ، الا أنه في نفس وقت اتخاذ أى قرار بالهجوم على عدو يفوقنا عدداً وفي التخطيط لقواتنا كى ترابط ليوم كامل في الصحراء الخالية على بعد ٣٠ ميلا منه وان تخترق خط قواته خفية ليلا ثم تعود لتهاجم من المؤخرة عند الفجر دليل على أول علامات العبقرية العسكرية من ناحيتنا .

أما عن الايطاليين فباعتبار انهم ضباط غير مهيئين للحرب ذوى عزيمة ضعيفة فقد تعثروا بعد صدمة المفاجأة عندما أكتشفوا ان مدفعية ميدانهم لم تتمكن من اختراق أول دباباتنا المدرعة وهجمات قواتنا التى كانت على مستوى عال من التدريب والروح المعنوية ، كما قامت فرق أخرى قبل ذلك وفي نفس الوقت بنفس هذه الواجبات ... الا أنه من الخطأ اعتبار هذه العمليات مجرد يوم ناجح من أيام القتال ... فعند مدينة نبيوه قامت المدفعية الايطالية بمساعدة قطعهم البحرية حتى داهمتهم الدبابات وكان اللواء « ماليتى » الذى جرح منذ قليل قد قتل وهو يطلق أحد مدافعه من خيمته ... وفي بيضاءفم كانت كتيبة الرماة الثانية قد صدت وحدها ٩ هجمات للدبابات ودفعتها بقوة لتعود للوطن .

وسواء اذا ما أعطى اللواء « ويفل » فرصة المحاولة حيث ذهب الى طرابلس ليحول خطة غارة الخمسة أيام الى هجوم كبير ام لا فهذا موضوع آخر ، وهل كان يمكن لدباباتنا المنهكة القوى والمرهقة من كثرة التنقل أن تستمر لمسافة ( ٥٠٠ ) ميل أخرى ؟ ولم يكن للفرقة الايطالية السليمة في طرابلس بعد أن صحت من المفاجأة بعد محاصرة خط ترهونة / الخمس حسبما توقع اللواء « مونت جمرى » أن يقوم به الالمان بعد سنتين من هذا التاريخ . ألم يكن يمكن لبنغازى أن تستخدم

كميناء للتموين تحت وابل من القنابل الشديدة ؟ وفوق كل هذا ألم يكن للالمان ان يتعاملوا ويطلقون فرقهم الاحتياطية المحمولة جواً من جنوب ايطاليا ؟ وعلى العموم فان اللواء (أوكنور) وهو آمر قوات الصحراء الغربية بدأ وكأنه قد وجد نفسه « على غصن شجرة » حتى لوكان قد وصل الى طرابلس ... وفي هذا الوقت لم تكن لنا الوسيلة أن نستثمر أية عملية لتنجح بهذا الشكل الا اذا كانت مجرد أحلام زائفـــه .

ومع ذلك فقد كانت مصر في أمان حيث كانت قوى المحور في شمال أفريقيا محطمة والوضع الانجليزى في الشرق الاوسط قد استعاد مكانته ولاول مرة منذ المعارك البريطانية أصبح للمواطنين في انجلترا شيء يمكنهم الاحتفال به .

وبعد شهرين كان الرعب يسود القاهرة وتساقطت القوات البريطانية بنفس السرعة التى ظهرت بها ... وبالتدريج ظهرت تفاصيل الكارثة فاحتلت بنغازى وكان هذا بسبب سوء الحظ الا أنه كان بلاشك بسبب خطة وضعت خصيصا لهذا الغرض ، كما تحطمت الفرقة الثانية المدرعة التى وصلت أخيراً من انجلترا كقوة حربية وأسر قائدها اللواء « جانبير بارى» وكذلك مركز قيادته في المخيلى ودوهمت الفرقة الهندية المتحركة في أول عملية لها هناك وحوصرت الفرقة الاسترالية التاسعة في مدينة طبرق ، وعزل الفريق سير ريتشارد اوكنور الذى رقي أخيراً ومنح لقب فارس (سير) لنجاحه السابق وكذلك الفريق « فيليب نيم » ونائبه المقدم جون كومب من فرقة الفرسان الحادية عشرة ، كما ضاعت البردية والسلوم وامساعد وعاد العدو الى استعمال الخنادق الدفاعية وأصبح التهديد لمصر أكثر مما كان في أى وقت مضى .. ولم يمكن حتى لمتحدث القاهرة ان ينجح في اقناع العالم أن هذا الفوز كان لمجرد الدعاية كما لم يمكن حتى لمعلق الاذاعة البريطانية مستر « ريتشارد دنبلبى» ذو النغمة الاذاعية المعسولة أن يجد تبريراً لذلك .

وفي الحقيقة لم يكن ذلك بالقدر الذى يهم المصريين على الاقل فقد تمكنوا من رؤية الضوء الاحمر بسرعة في سباق غريزى وحقيقي من أجل تحقيق مصالحهم وبالنسبة للايطاليين فلم يكونو يفكرون كثيراً بشأنهم . أما هؤلاء — الالمان فيالهم من جنود ، انهم بالفعل محترفون مثل جيشنا في مصر وكان الامل أن يحترم الالمان الملكية في القاهرة والا يسيئوا استخدام قيمة العملة ، وربما كان من الافضل ان يبقى كل فرد على حصيلته من اللغة الايطالية كما يجب أن يتعلم الالمانية ... وفي نفس الوقت يجب أن يستمر في علاقاته الودية مع الانجليز اذ ربما ..... الا أنه

لاداعي للافراط في هذه العلاقة ، ولهذا لم يخذلوا مستر مكوبر من قبل أو من بعد فقد كانت هناك اختلافات ملحوظة في درجات تعاطفهم معه .

ورغم ان ضباب الحرب كان كثيفا الى حد ما بالنسبة لقيادتنا في المناطق الامامية حيث وقعت عدة حوادث مؤسفة لم يكن هناك أدني شك أن اللواء « وافل » قد هزم ، وترجع أسباب هذه الهزيمة للوقت الذى ابرق فيه رئيس الاركان اليه بعد سقوط مدينة بنغازى مباشرة ليخبره ان يكون مستعداً لارسال أكبر جيش ممكن تصحبه قوات جوية من الشرق الاوسط الى اليونان وعندما أرسلت هذه القوات على النحو المطلوب مكونة من جزء من الفرقة الثانية المدرعة والفرقة النيوزيلاندية والفرقتين السادسة والسابعة الاسترالية والكتيبة البولندية كان قد فقد « من الناحية العملية كل القوات التي أعدت ودربت لهذه العمليات» .

وفي نهاية كل أمر يجب على رجال الدولة المسئولين أن يفرضوا نفوذهم على الجنود لانهم هم الذين يرون الصورة كاملة ، فربما لاسباب سياسية أن الحكومة البريطانية لم تكن لترفض ارسال المساعدات الى اليونان مع أن اليونانيين لم يظهروا أي حماس تجاه ذلك ، فقد كانت هذه المساعدة غير كافية بالضرورة ونتج عن تشتت الجهود فشلا حتميا على كلتا الجبهتين ويمكن أن يجادل الذين وجدوا راحتهم (الحدث الثاني) أن تشتت القوات البريطانية قد أقنع « هتلر » أن هناك اتفاقا سريا بين البريطانيين والحكومات السوفيتية واجلوا غزو روسيا الى عدة اسابيع نشطة بالعمل الا أن الدليل لم يقم على ذلك لتأييد هذا الظن . أما ماهو مؤكد فان (٤٧٠ر٠٠٠) من الرجال المدربين قد زج بهم مباشرة الى هزيمة كبرى في الشرق الاوسط .

ولقد وقع اللواء « وافل » اورجال مخابراته في خطأ كانوا هم الذين أول من يقع عليهم اللوم بسببه بصفة خاصة ، فقد أجرى حساباته من واقع المعلومات المتاحة له وهى أن الهجوم الالماني ضد برقة لن يقع قبل أوائل مايو ، وحتى لو كان هذا صحيحاً حيث لم يقم دليل على ذلك (وحقيقة القول لقد كان الدليل على العكس من ذلك ) وأن القوات الالمانية كانت في طريقها الى طرابلس ، بينما في نهاية فبراير جاء تقرير بأنهم وصلوا الى ليبيا ومع ذلك فقد كان لايزال يعتقد أن الهجوم لايحتمل أن يقع قبل منتصف ابريل كما كان الامل الا يوضع موضع التنفيذ قبل مايو .. أما الواقع فان الهجوم قد شن في ٣١ مارس .

الا أن هذا الخطأ كله لم يكن خطأه وحده فقد كانت سياسة التهدئة هى المتبعة

في ذلك الوقت ، لان حكومة جلالة الملك كانت ترغب في الا تفسد علاقاتها القائمة مع ايطاليا (وهى علاقات كانت تقوم من وجهة نظر (موسوليني) على الكراهية والاحتقار على حد سواء للاسد الذى تبين أنه كان قد فقد أنيابه). كما أنه لم يسمح له أن ينشىء جهازاً للمخابرات في الاراضى الايطالية .

أما في شمال أفريقيا فلم يكن له أية أجهزة تجسس على الاطلاق قبل دخول ايطاليا في الحرب ، كما لم يكن من الممكن الى وقت طويل بعد ذلك ان يقوم بتكوين هذه الاجهزة وهكذا ... فقد تمكنت الفرقة الخامسة خفيفة الحركة من النزول في طرابلس دون أن يكون لديها أية معلومات عن ذلك .

ولقد استدعى اللواء « وافل » مثله في ذلك مثل كثير من القواد الانجليز الاخرين قبله في المراحل الأولى للحرب . . استدعى لتحمل « مسئوليات كان مصدر معلوماتي عنها غير واف تماماً » وقد تحملها دونما اعتراض .. وسريعاً ما واجه ثورة في العراق وحرباً محدودة ضد الفرنسيين في سوريا مما أضاف أعباء بالقدر الكبير بالاضافة الى هذه المسئوليات .. وبمجرد نجاحه في القضاء على هذه الاضطرابات الاخيرة ازيح من القيادة .. وكان هذا هو الانطباع الذى ساد القوات في الشرق الاوسط وعلى أى حال ومهما كانت التفسيرات سواء التى لها ما يبررها أو بدون مبرر فان اللواء كان يحتاج الى راحة او الى أن ينقل الى مجال اكثر مسئولية فلم يغير هذا من الاحساس بأنه قد ركل الى اعلى لانه قد فشل في تحقيق المستحيل في اليونان .. ولم تكن تلك هى المرة الاخيرة التى وجد نفسه يعامل فيها بأدب روتينى هزيل من حكومته بعد أن أدى خدمات بارزة لبلده .

وكانت هذه هى الظروف التى احاطت بالكارثة في برقة ولكن اذا ما استوقف الفرد أول مار في شوارع القاهرة في أول صيف ١٩٤١ . وسأله عن سبب التغير الكبير المفاجىء للذى طرأ على ثروته فمن المرجح أنه كان سيجيب بكلمة واحدة وهى : رومــــل .

## الفصــل الثانى

## صــديقنا رومــل

« تعليمات الى جميع القادة ورؤساء أركان الحرب
من مقر القيادة العامة للقوات البريطانية في مصر
وقوات الشرق الاوسط

يوجد الآن خطر حقيقي فلقد بدأت قواتنا تعتقد أن صاحبنا ( رومــل ) قد اصبح أحد السحرة أو من الاشخاص الذين يتمتعون بقوة غير عادية فبــدأت تتحدث عنه القوات أكثر مما ينبغى في حين أنه ليس بأى شكل « سوبر مانا » فما هو الا رجل قوى ونشط فقط ، وحتى اذا كان كذلك فنحن لانود لاى من قواتنا أن تمنحه هذه القوة غير العادية واني اطلب منكم ان تبددوا بكل الوسائل فكرة ان رومل يمثل شيئا اكثر من كونه قائداً المانيا عادياً .

وأهم شيء الآن يجب ان نلتزم به هو الا نتحدث عن رومل عندما نعنى العدو في ليبيا بل علينا أن نشير الى « الالمان » « أو» قوى المحور» أو « العــدو» وأن لانستمر في العزف على وتر واحد هو رومل .

مع رجائي من التحقق أن يوضع هذا الامر موضع التنفيذ وأن يرسخ في اذهان جميع القادة أنه من وجهة النظر النفسية أمر بالغ الاهمية .

التوقيــع /
اللواء : ك . ج اوكنلك
القائد العام لقوات الشرق الاوسط

ان عدد القادة الذين ينجحون في فرض شخصياتهم على قواتهم في أية حرب باستثناء قادة الاعداء هم نفر أقل بكثير مما يود القادة أنفسهم أن يصدقوه ولنأخذ الحرب العالمية الأولى كمثال عندما كان يقال ( وهذا صحيح الى حد ما ) أن عدداً قليلا من الجنود الانجليز هم الذين كانوا يعرفون أمر فرقتهم وكم يا ترى من كبار الضباط يمكن ان يشكلوا شيئا هاما بالنسبة للرتب الاخرى؟ — لنأخــذ ( هايج) مثلا ، .. حسنا لقد سمعوا عنه بالطبع . فقد كان أمره الشهير بوضع الظهور الى الحائط سنة ١٩١٨م . له طابعاً انسانياً الا أن هذا لم يظهر الا بعد تسريح

الافراد الذين نجحوا وأدركوا بعد ذلك أنه كان يكرس – سنواته الاخيرة من أجل منفعتهم وأن ذلك الرجل غير المتعاطف الموجود بعيداً ويقبع وحيداً كان له هذا الانطباع الايجابي وايضا هل يعرفون بلامر والنبي ؟ ربما ، أما بالنسبة للباقين البالنجزو الرولنسونز والهونز ... الخ .... وجميع القادة الاقوياء الذين صادفوهم من الجنود كان يعلم متى كان يخدم في جيوشهم ؟ والحقيقة أنه في الفترة الزمنية الطويلة مابين اللوق ولنجتون حتى اللورد « مونتجمرى » كان عدد القادة البريطانيين الذين كانوا يعدون أبطالا في عين الجندى العادى يمكن حصرهم على اصابع اليدين ومن بينهم بعض القادة البارزين مثل سير ردفيربلر .

أما بالنسبة للحرب العالمية الثانية فان القائد « مرنتى » نفسه وبيلسليم وديكى مونت باتن والجميع كان لهم نفس الاتصال بالجنود ولكن بدرجات متفاوته وكذلك كان الكس الذى لم يكن يتصور أحد أنه يعطى هذا الموضوع اهتمام وهكذا وبطريقة غريبة كان الامر مع القائد « وافل » وبالرغم من صمته التام فعلى الاقل لم تكن القوات تشك في كفاءته كما أنها كانت تشعر بطيبة قلبه الكبير .. وكما كان الجندى الهندى يجد في « الاوك » وهو طائر بحرى ملهما له كما كانت الاسماء فراى بردز الاسترافرز ، الجوتز ، الجوك كامبلز ومن المحتمل أن كثيرين منهم أيضا كانوا كذلك على المستويات الادني في مسارح الحرب ، الا أن قائد الجند يظل دائما هو الطائر النادر وان القائد الذى يكون معروفاً الى قوات العدو يجب أن يكون أكثر ندرة بالنسبة لهم .

وبين هؤلاء كان « رومـــل » ظاهرة فذة منقطعة النظير وهذه التعليمات التى استشهدنا بها في بداية هذا الفصل قد أثارت كثيراً من الجدل وبعض السخرية عندما صدرت في القاهرة ومع ذلك فقد كانت ضرورية الا أنها قد صدرت متأخرة حقيقة .. وذلك لأن « رومـــل » كان قد عرف في الفيالق الافريقية كما كان قد فرض نفسه على خصومه مما جعل له كيان كبيراً بين مراسلى الحرب الامريكيين والانجليز وايضا بين القائمين بالاعمال الصحفية في القاهرة حتى أصبح أشهر شخصية تتمتع بشعبية كبيرة في الشرق الاوسط ، وقد كانت قواتنا تشير اليه بتعاطف نسبي لانه هذا الـ « ب .... » رومـــل حيث كما علمت بعد ذلك بقليل أن هذا هو بكل تأكيد الاسم الذى كان يشار اليه بواسطة الفيالق الافريقية نفسها حيث كانوا يقولون دائماً في أشارة اليه « عليك أن تسلمها الى الـب ...... » ولم يكن هذا يحتاج الى احد من الاخصائيين لندرك أن الروح الرياضية للجندى الانجليزى كانت ببساطة تشعر بمركب نقص ناحيته الى حد ما ... وهذا هو ما وقع بالفعل

فقد كان الوافدون الجدد الى الصحراء وحتى أقلية من قدامى « فئران الصحراء » يميلون للتفسير الذى يعنى « لقد وقعنا مع الالمان » كما لوكان هذا التعبير في حد ذاته كافيا لتبرير الفشل ، وقد بدأ للقليلين الذين كانوا يذكرون طريقة الاحتقار والرثاء وهى الطريقة الغير كريمة التى تعودنا أن نتكلم بها على « فردز العجوز المسكين » بدا لهم أن هناك خطر حقيقياً من رومل والفيلق الافريقى وكان هذا الخطر على شكل هيمنة معنوية ، وربما كانت تلك الانتصارات التى تمت بسهولة كبيرة على الايطاليين ضارة لنا في نهاية الامر .

ومع هذه المكانة التى حظى بها رومل الا انه مازال من الصعب معرفـــة السبب الذى جعل رومل يصبح « من طراز نابليون » ، شخصية ساحرة بالنسبة للمناطق الخلفية وايضا بالنسبة للمدنيين في القاهرة كما أصبح خطراً شخصيا مباشراً اكبر على المناطق الامامية البعيدة .

ومع أنه قد ظهر فجأة مثلما يظهر المارد العملاق من قنينته ولسوء الحظ ليتعجل نهايته فان رجال مخابراتنا لم يكن لديهم الا النذر اليسير من المعلومات عنه سواء كجندى أوكانسان ... وهذا يرجع الى ان الانجليز كانوا يعتمدون في الحصول عـــلى المعلومات الجانبية عن القادة الالمان على حلفائهم الفرنسيين بدرجة كبيرة ، كما كانوا يعتمدون عليهم ايضا عندما يودون الحصول على التفاصيل الشخصية للقادة التى يمكن بها لاى قائد تقدير قوة خصمه وعندما تم الانهيار المفاجىء لفرنسا قطعت بينهم الاتصالات وبقيت ملفات التقارير بالطبع في وزارة الدفاع كى تقرأ بعد ذلك بواسطة أولى الامر الجدد .. وهكذا لم تستطع وزارة الحرب أن تمد القائد « وافل » ورجاله الا بالقدر القليل من التقارير عن « رومل » ومن بين هذه المعلومات ظهر أنه احد الافراد المتهورين الذين ابلوا بلاء حسنا في الحرب العالمية الاولى كما كان قائداً لاحدى الفرق أثناء الغزو الالماني على فرنسا الا أنه لم يكن بأى شكل من الاشكال من مجموعة القادة الالمان البارزين .. كما قيل أيضا أنه كان من النازيين الاذكياء وأن اختياره لشمال أفريقيا كان بتأثير اتصاله بالحزب النازى .

وبذا فقد كانت الخلفية عنه مجرد رسم تخطيطى غير صحيح .

وأن القصص الخيالية عن أصل رومل والفترة الأولى من حياته كانت في الحقيقة مازالت مغمورة .. فمثلا ذكر في الكتاب الوثائقى الذى يسمى ( الهزيمة في الغرب) أنه كان عضواً مع جيورنج وهس ورحم وبورمان وكثيرين مع هؤلاء من قوات الفيالق الحرة ، وهم عبارة عن مجموعة من الرجال الذين لايبالون

بأى شىء طائشون والذين أصبحوا أكثر عدوانية ووحشية عند إخماد الشغب في المانيا بعد الهدنة عام ١٩١٨م . — والذين أيدوا القادة ذوى المستقبل من المجموعة الممتازة في جيش الانقاذ الهتلرى في الايام الاخيرة ... وهناك تقارير أخرى ذكرت بأنه كان أحد ابناء العمال وأنه من أوائل قوات العاصفة النازية ، وهناك تقارير أخرى ذكرت بأنه كان احد ضباط الصف الذين برزوا خلال الحرب العالمية الأولى ، كما كانت هناك تقارير أخرى ذكرت بأنه كان شرطيا في الفترة مابين الحربين .

أما الحقيقة فلم تكن بمثل هذا القدر من التشعب ، فلقد كان « روملى » من البداية الى النهاية ضابطا نظاميا وكان كما ظهر من أحدى الفقرات في ملف خدمته المنشور في آخر هذا الكتاب أنه منذ التحاقه بكتيبته الى اليوم الذى مات فيه لم يكن بعيداً عن القوة الحقيقية للجيش الالماني . ولم يكن يتبع قوات الفيالق المتحررة كما لم يكن شرطيا ، ولم يكن أيضا عضواً بالحزب النازى كما لم يكن أحد رجال العاصفة وان صلته بهتلر كانت من قبيل المصادفة .

ولم يكن من الصعب الوصول الى بعض على الاقل من مصادر هذه القصص ففى صيف ١٩٤١م . ظهرت مقالة مجهولة عن روملى في جريدة جويلز وقد أعلنت هذه المقالة التى كانت موجهة الى المراسلين الاجانب في مدينة برلين أن روملى كان ابنا لاحد العمال وأنه قد ترك الجيش بعد الحرب العالمية الأولى كى يدرس في جامعة توبنجن وأنه أحد قواد رجال العاصفة وأنه قد أصبح صديقاً حميماً لهتلر ... الخ .

ولقد قرأ روملى هذه المقالة وهو في شمال أفريقيا وكان رد فعله عنيفا فكتب الى وزارة الاعلام والدعاية متسائلا ماذا يقصدون بتحرير هذه القصص المختلفة من حوله ؟ فحاولت وزارة الدعاية أن تتخلص من الموضوع بأن قالت أنه ربما أن ( أوبر ليوتنانت تشمبك ) وهو مؤلف أحد الكتب عن فرقة بانزر السابعة التى كان يقودها روملى في فرنسا ، هو الذى جرر هذه المعلومات .. وقد وجد ( روملى ) الوقت الذى يشن فيه حملته على ( تشمبك ) سىء الحظ بعد أن انتهت معركة ممر الحلفاية ... حين تساءل روملى عما اذا كان ( تشمبك ) حقيقة هو الذى أدلى بهذه المعلومات وماذا يقصد بها ؟ واجاب تشمبك على روملى ناكراً بأنه قد فعل أى شىء بهذا الخصوص .. وكتب الى وزارة الدعاية يسألها لما أثارت المتاعب بينه وبين القائد .. وجاء الرد من أحدى الصحف التى صدرت

بتاريخ ١٠ اكتوبر سنة ١٩٤١م . وتحمل توقيع دكتور ميسينز وكان هذا الرد يعتبر احدى — روائع الهزل فقد ذكر أن السبب في نهاية الامر هو أن الدعاية الالمانية لايمكن ان تؤخذ كل ماتقدمه مأخذ الجد كما اضاف الدكتور أن ما كتب عن القائد روومل في هذه المقالة لايمكن أن يضر بسمعة هذا الرجل الذى يعد من الطراز الأول من الرجال والحقيقة على العكس فيمكن أن تنفعه حيث جعلته أكثر شعبية وتعاطفاً مع المراسلين العسكريين الاجانب وختم مقاله قائلا : ربما كان هذا شيئا مفيداً من وجهة نظر الدعاية ومتسائلا عما اذا كانت هذه المقالة التى تبين أنها غير صحيحة تخص روومل أم لا ؟ .

وأرسل تشمبك رسالة الى روومل الذى احتفظ بها بدوره بين أوراقه وكان روومل يكن كراهية شديدة ويحمل شكوكا قوية لكل من يتعامل مع الدعاية أو ( العلاقات العامة ) . وقد كانت أول ضحية للرد على هذه الرسالة ضابطا شابا سيء الحظ يدعى برندت الذى جاء لينضم الى الفيلق الافريقى بعد أن كان يعمل في وزارة الدعاية ... فقد أمره روومل بالخروج فوراً في تلك الليلة التى وصل فيها لمقابلته شخصيا وكانت تلك أول ليلة له في الصحراء ليقوم بعملية خلف الخطوط الانجليزية .. وقد كان برندت شاباً ذكياً شجاعاً فعاد من مهمته التى كان يرجى لها الفشل ببعض الاسرى الانجليز بالاضافة الى بعض المعلومات القيمة ، ومنذ ذلك الوقت استثناه روومل واعتاد أن يرسله بعد ذلك الى برلين وهو يحمل تقاريراً لايرغب روومل آن تمر من خلال القواد الاخرين الا أن زيارة دور النشر كانت دائماً محل تشككه .

ما هى الحقائق التى استطاعت مؤسسة دكتور جوبلز الصحفية أن تؤكدها من وزارة الدفاع أومن اسرة روومل ان لم تكن هذه الحقائق لدى دار النشر نفسها ؟ .

ولد آرون جوهانز يوجين روومل ظهر يوم الاحد ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩١م . في مدينة صغيرة في فور تمبرج بالقرب من اولم تسمى هيد نهيم وكان ابوه واسمه ايضا ارون روومل مدرسا وابنا لاحد المدرسين .. وكل من الاب والجد كانا أساتذة رياضيات ممتازين .. ولأن التعليم في تلك الايام كانت له مكانة كبيرة في المانيا تزيد عن مكانة الاخلاص للحزب السياسى فقد كان الاستاذ روومل يحترم كثيراً في مدينة هيد نهيم .. وقد تزوج الاب سنة ١٨٦٨م . من هيلينا وهى الابنة الكبرى لكارل فون لوز وهو رئيس مجلس مدينة فورتنبرج وبالتالى فكان شخصية مرموقة في تلك المنطقة .. ونتج عن هذا الزواج خمس من الاطفال

أولهم ابنا سمي مانفرد ، وقد مات صغيراً ثم أبنه واسمها هلينا وقد بقيت بلازواج وهى تعمل الآن مدرسة في احدى مدارس شتوتجارت الشهيرة ، وجاء بعد ذلك ارون روميل ثم اخويه كارل وجيرهارت ... أما كارل فقد كان أعرجاً بسبب مرض الملاريا وقد اسر عندما كان يعمل طياراً في تركيا خلال الحرب من عام ١٩١٤ الى ١٩١٨م .

أما جيرهارت فهو الوحيد الذى كان له لونا متميزاً على أسره روميل التقليدية فقد تخلى عن الزراعة ليصبح مغنياً في الاوبرا .. ومازال يحترف هذه المهنة دون أى نجاح يذكر ومسببا ضيقاً لاقاربه في منطقة اولم .

وفي سنة ١٨٩٨م . أصبح والد روميل مديراً للاستاد في مدينة الن وبمعنى آخر فقد أصبح ناظراً لمدرسة تدرس فيها علوم جانبية حديثة خلاف العلوم التقليدية القديمة ، وفي سنة ١٩١٣م . مات ابوه فجأة بعد عملية جراحية وعاشت زوجته من بعده لفترة طالت الى سبع وعشرين عاما حين ماتت سنة ١٩٤٠م . فقط حين كان ابنها روميل قد أصبح لواءاً .

أما الصفة التى كانت يمكن أن تطلق عليه طيلة فترة عمله في الفيالق الافريقية هي كلمة « صارم » الا انه كان على العكس من ذلك في فترة صباه فتقول أخته « أنه كان طفلا رقيقاً محبا للتعليم ، وكان يحذو حذو أمه .. ولقد كان صغير الحجم بالنسبة لعمره كما كان له بشرة بيضاء وشعراً أصفر لدرجة أننا كنا نسميه بالدب الابيض .. وقد كان يتحدث ببطىء وبعد تفكير طويل ، كما كان حسن الطباع لطيفاً لا يخاف أحد ... فعندما اعتاد الاطفال الهرب عند رؤية منظفى المداخن بوجوههم السوداء وقبعاتهم العالية كان هو يذهب اليهم ويسلم عليهم في وقار .. ولقد كانت لنا طفولة مرحة ولقد تربينا على يدى والدين عطوفين متحابين علمانا حبهم للطبيعة .. وقبل ذهابنا الى المدرسة كنا نقضى يومنا في اللعب في الحديقة أو في الحقول أو في الغابات .

ولم ترق المدرسة لروميل الصغير في مدينة الن بعد الحرية التى كان ينعم بها في مدينة هيدنهيم .. فما أن وجد نفسه متخلفا عن رفقاء سنه حتى أصبح أكثر شحوباً في محاولته للحاق بهم ففقد شهيته ولم يستطع أن ينام .. واصبح كسولا غير مبال ولا يقوم بأى جهد ... وأصبح مهملا لدرجة أنه كان اضحوكة فصله ... وقال مدرسه ذات يوم : « اذا قدم لى درسا في الاملاء دون أى خطأ فسوف نستأجر فرقة موسيقية ونذهب لقضاء يوم في الريف ... فجلس

رومل وعزم على كتابة موضوع الاملاء دون أن يخطيء حتى في مكان الفاصلة ، ولكن عندما لم تتحقق الرحلة الموعودة عاد الى لا مبالاته السابقة ولعدة سنوات تالية بقى رومل صبيا صغيراً كثير الاحلام لايهتم بكتبه اورياضته ولا يبدى أى اهتمام بأية أنشطة بدنية عنيفة ، الا أنه قد تطور بعد ذلك .

وعندئذ عندما كان في فترة المراهقة تغير فجأة ... فمن الناحية العقلية بدأ يثبت بالدليل انه قد ورث الموهبة الرياضية عن أبوه وجده ومن الناحية البدنية بدأ يقضى كل لحظة فراغ على دراجته في الصيف وعلى مزلاجته في الشتاء ... وكان ينجح في امتحاناته بتقدير وتخلى عن احلامه النظرية ، وعاد الى طباعة كما كان في مدينة فورتنبرج وهى منطقة الاحساس السليم في المانيا وأصبح عنيداً وعمليا ، وحريصا على ماله وهى أيضا احدى سمات سكان فورتنبرج .. وقد تقدم بنفسه مع صديقه الحميم كتل (وهو ليس من أقارب المشير والذى أصبح بعد ذلك من الد اعدائه) الى دراسة الطيران . وقد صمم الصبيان معا نماذج للطائرات ثم طائرة شراعية بالحجم الطبيعى وأجريا عليها عدة محاولات متكررة فاشلة في الابتعاد عن الارض . وبدأ الصبيان يفكران في مستقبل حياتهم . وكان كتل قد قرر أن يصبح مهندسا فوجد عملا في مصنع زيلن في مدينة فراى درتشافن وقد كاد رومل أن يلحق به الا أن والده رفض ذلك .

فقد عارض والده الفكرة وعندها قرر رومل الالتحاق بالجيش .. ولم تكن الاسرة لها أية صلة بالعرف العسكرى ماعدا ان رومل الكبير كان قد خدم لفترة من الوقت كملازم في المدفعية قبل أن يعتزل ليصبح مدرسا ولم تكن لاسرة رومل أى أصدقاء من ذوى النفوذ في الدوائر العسكرية .. فهى اسرة متوسطة محترمة لها دخل متواضع مهتمة بالتعليم الى حد كبير تنحدر من طبقة ادارية في بروسيا .. ولقد خدم تحت إمرة رومل بعد ذلك قواد كثيرين من أسر ارستقراطية لها ثروات طائلة واتصالات عسكرية أوصلتهم الى الحياة في الطبقات العليا منذ ولادتهم فأصبحت القدرات التى مكنتهم من الترقي السريع .. وهذا النجاح الذى حققه رومل في الجيش كان عليه أن ينحته بأظافره ولم يبدو في الافق مايسبب الإفتراض بأنه سينتهى كأى ضابط كبير يعيش في عزلة على معاش متواضع في مدينة صغيرة مثل مدينة هيدنهيم نفسها .

وفي يوم ١٩ يوليو سنة ١٩١٠م . التحق رومل بكتيبة المشاة رقم ١٢٤ في مدينة فينجارتن كطالب طموح بالكلية العسكرية ومعنى هذا أن عليه أن يخدم

أولا كضابط صف قبل أن يتجه الى الكلية الحربية .. وقد رقي الى رتبة عريف في أكتوبر ثم الى رتبة رئيس عرفاء في نهاية ديسمبر وفي مارس سنة ١٩١١م . أرسل الى مدرسة كريج سكول في مدينة دانزج .

وقد كانت فترة بقاء رومل في دانزج مهمة بالنسبة اليه في أكثر من مجال فقد قابل هناك احد اصدقائه في الكلية الحربية وكانت له ابنة عم في نفس مدرسته الداخلية وهى الفتاة التى تزوجها بعد ذلك وهى المرأة الوحيدة في حياته .. كانت لوسى ماريا مولن ابنة لاحد الملاك في غرب بروسيا حيث تقيم الاسرة وهى من أصل ايطالى وقد استقرت هناك منذ القرن الثالث عشر .. مات أبوها عندما كانت طفلة وهى الآن في ـ مدينة دانزج تتعلم لكى تصبح مدرسة لغات ، ولقد وقع رومل في حبها من الوهلة الأولى كما حدث نفس الشيء بالنسبة لها .. وبالرغم من انهما لم يصبحا خطيبين بصفة رسمية لمدة أربع سنوات أخرى لم يكن هناك أية شكوك لكل منهما في هذا الصدد .. وطبقا لما ادلت به ارملته كان رومل في ذلك الوقت شاباً جاداً يهتم كثيراً بأن ينجح في مهنته .. ولم تكن الامتحانات تمر عليه بسهولة كما كان الحال فمن النواحى العسكرية العملية كان عليه أن يجد في دروســه . ومع ذلك فقد كانت مدينة دانزج مدينة بهيجة حيث أمضى فيها شبابه ووقع فيها في غرام الحب ، كما استمتع فيها الخطيبان بالحياة الحلوية والرقص كما كانا يقضيان صيفاً سعيداً بصحبة ابن عم خطيبته اذا ما سنحت لهم فرصة التهرب من المدرســة .

ولقد استطاع رومل أن ينجح في كل امتحاناته على نحو مرضى وان لم يكن قد حقق تفوقاً ما في درجات الامتحان ، فقد كانت هذه الدرجات فوق المتوسط على أية حال ، وفي نهاية يناير سنة ١٩١٢ حصل على رتبة ملازم ثاني ، وهذا يعنى تخرجه كضابط في الجيش وعاد الى كتيبته ، وكان هو وخطيبته فرولت مولن يتراسلان يومياً .

وفي مدينة وينجارتن عندما كانت ثكنات الجنود في الدير الضخم القديم عاد رومل لتدريب القوات لمدة عامين ، ولقد كان ممتازاً في التدريب ممتازاً مع رجاله مثله في ذلك مثل مونتجمرى الشاب عندما التحق بكتيبته حين ظهر انه مهتم بدرجة غير عادية بتفاصيل التنظيمات العسكرية .. ومن ناحية أخرى لم يكن هناك مايوحى بالافتراض أنه رجل غير عادى .. فمن الناحية البدنية كان مازال صغير الحجم الا أنه قوى ومرن ، ومن الناحية العقلية لم يكن متميزاً بشكل ما وعلى عكس مونتجمرى لم يكن كثير الكلام مجادلا بل كان يفضل الاستماع أكثر من الكلام ،

وظل على ذلك طيلة حياته وكما انه لم يكن مدخنا او سكيراً وغير مهتم بالمتع الليلية اذا ما كان في حامية عسكرية ولمدينة صغيرة كان الضباط الاخرين يجدونه هادئاً جاداً أكثر مما ينبغي ذا طباع حسنة اليفة دائماً مايبدى استعداده لكى يتبادل معهم المهام ويسهل الخروج لمن له أية ارتباطات اجتماعية منهم مع أنه شخصيا لم يكن يخرج على الاطلاق .. وقد أدرك أحدهم بل اثنان أن له عقلية مستقلة وإرادة قوية وروح مرحة ، كما أكتشف ضباط الصف بسرعة بأنه لايتسامح في أى شيء يتصف باللامبالاة .. وهكذا كان ضابطاً ملتزما ، وبمرور الوقت أصبح مساعداً قوياً لقائده .. وكمساعد للقائد ، فقد كان غير محبوب على الاطلاق عند غير الأكفاء الا أنه كان من الواضح أنه لم يكن يهتم مثل معظم الشباب بتكوين شعبية له .. وعلى كل فقد بدأ وكأنه رجل اعمال حريص ذولسان لاذع ، له خط صارم في حياته ويمثل بحق أهالى فورتمبرج .

وفي بداية مارس سنة ١٩١٤م انضم الى كتيبة مدفعية الميدان في مدينة اولم حيث بقى بها يستمتع بركوب الخيل ويفاخر بتجهيز بطاريته عندها جاءت الاوامر بعد ظهر يوم ٣١ يوليو عندما عاد الى ثكناته ليجد أن هناك خيولا قد تم شراؤها موجودة في ميدان الثكنات وأن الاوامر في انتظاره لينضم الى كتيبته في الحال .. وفي اليوم التالى كان رفاقه يقومون بتجهيز وتركيب المعدات الميدانية ... وفي المساء كان عقيد الكتيبة يقوم بالتفتيش عليها بملابس الميدان كما قام بالقاء خطبة حماسية وقبل أن يفض اجتماعهم أعلن أمره بالتعبئة .. وكان هذا كما جاء على لسان جريدة جريفت انفانترى آن ( بمثابة صيحة لمساعد القائد للشباب الالماني المحارب وصل صداها الى الجدران الرمادية للمعبد القديم ) وكان هذا تعليقا على كتاب رومل في فن تنظيم القوى الحربية الا أن مثل هذا التعليق يبدو وكأنه يصور رومل وكأنه مجرد بريق أعده أحد أفراد الدعاية النازية ونشر في طبعة أجهزة الدعاية لعام ١٩٣٧م لاستخدامه من أجل الاستهلاك المحلى .. واذا ما كان الشباب المحارب قد استطاع رؤية النصب التذكارى لعشرات الالوف من الضباط والجنود من كتائب فورتمبرج والذى مازال قائماً في كبرى كتائب مدينة اولم ، فلابد وانهم قد كانوا سيشعرون بأقل بهجة بل ولضياع كل هذه الفرحة التى شعروا بها . ففى اليوم التالى ذهبت الكتيبة المائة الرابعة والعشرون الى الحرب .

ان الاقلية الصغيرة من الجنود المحترفين (وقليل من الهواة ( في كل الجيوش هم الذين يجلدون في الحرب التى قد أعدوا انفسهم لها اعداداً تاماً .. ومن سنة الى أخرى أمر بعينى على أعمدة التعازى بجريدة ( التايمز ) لاجد في أحدى المرات ابن

العميد قائد اللواء برادفورد قد قتل في معركة كامبراى في عام ١٩١٧م . وهو في عمر يناهز الاربع والعشرين عاما واني لاذكر عندما ذهبت اليه على نحو غير ملائم كان ممتطيا أحد الخيول البيضاء في مقر كتيبته أمام غابة بورلون وعندما تحدثت معه فكرت ان ها هو أحدهم والذى اتقن مهنته والذى أصبح على أتم استعداد لاية متطلبات تطلبها ــ الحرب .. كما أذكر ايضا العداء الاولمبي جاكسون رفيقى في جامعة اكسفورد ورفيقى في الكتيبة والذى حضرت زواجه في عام ١٩١٨م . عندما سافر الى باريس وكان يرتدى وشاحاً واحداً وهو وشاح بثلاث قطع ذهبية وقد كان هناك آخرين مثلهم ولكن ليسوا بالاعداد الكثيرة .

ومن هؤلاء الرفقاء الشباب الغير العاديين القلائل كان رومل مخالفاً للمألوف فمن اللحظة التى أصبح فيها تحت السلاح ظهر أنه كأكمل كائن حر محارب ، رزينا ، ماكراً ، متحجر القلب لايشعر بأى اجهاد سريع القرار ، شجاعا الى حد لايمكن تصديقه .. ففى الساعة الخامسة صباحا من صباح يوم ٢٢ أغسطس ١٩١٤م . بدأ تعامله العسكرى ضد الفرنسيين في قرية بليد بالقرب من لونجواى .. وقد كان له أربع وعشرين ساعة قائماً بدوريته ، كما كان يعاني من تسمم غذائى وقد كان متعباً جداً لدرجة أنه لم يستطع ان يجلس على سرج الحصان عندما أرسل للاستطلاع حين كان الضباب كثيفاً وبعد أن عاين القرية تقدم بفصيلته ، وبعد أن اطلقت عليهم النيران توقف ثم ذهب مع أحد ضباط الصف واثنان من الجنود .. وظهر خلال الضباب سياج عال من الاشجار يحيط بمنزل ريفى .. وكان هناك طريق يؤدى ــ الى مزرعة أخرى .. فتتبع هذا الطريق ، وعندما وصل الى أحد النواصي رأى خمسة عشر أو عشرين من رجال الاعداء يقفون في الطريق .. فهل يعد كى يأتي بفصيلته ؟ .. ان القرار الاول السريع ليس قراراً سهلا فكثير من السلوك المستقبلى للانسان يتوقف على هذا القرار .. وقام رومل بما يجب عليه مراراً وتكراراً معتمداً على قيمة المفاجأة وجمع رجاله الثلاثة وهاجم مطلقاً الرصاص من الوضع واقفا .. وتفتت العدو واحتمى الناجون وأطلقوا نيرانهم .. ووجد روميل أن فصيلته تتحرك الى الامام فقام بتسليح نصفها بكميات من القش ودفع بالنصف الاخر كى يقوم بالتغطية باطلاق الرصاص ثم تقدم مرة أخرى وفتحت الابواب وأشعلت أكوام القش والقيت في المنازل ــ ومخازن الحبوب .. وتطهرت القرية منزلا منزلا .. وقد كان هذا عملا جانبيا له أهمية قليلة الا أنه كان أول أعماله كما كان نمطا ونموذجا لشجاعته واستقلاله العقلى الذى أظهره خلال فترة خدمته .

وبالرغم من مرضه وما يقوم به من مجهودات فوق الاحتمال أثناء العمل العسكرى

خلال تلك الفترة حيث كان يعمل أحيانا الى حد الاغماء فلم يحدث أن اشتكى من مرض الى أن جاء يوم ٢٤ سبتمبر حين جرح في فخذه عندما كان يهاجم منفرداً ببندقية فارغة ثلاثة من الفرنسيين في غابة بالقرب من فارن وعندها بدأ قائد كتيبته في الاعتماد عليه بصفة خاصة في تنفيذ أية مهمة شاقة ، كما منح وشاح الصليب المعقوف من الطبقة الثانية .. وبمجرد أن التأم جرحه بعد ثلاثة شهور انضم الى فرقته مرة أخرى وتقدم بها في منتصف يناير الى منطقة الأرجون ، وفي ٢٩ يناير ١٩١٥م . منح وشاح الصليب المعقوف من الدرجة الأولى عندما زحف بفرقته خلال ثغرة وسط حزام من الاسلاك – على عمق حوالى ١٠٠ ياردة حيث وصل الى التجمع الفرنسى الرئيسى فالتحم بـ ٤ حصون ، وصدهم بقوة مكنته من العدو واستعاد أحد الحصون التى فقدها ثم انسحب الى خطوطه بخسائر أقل من اثنى عشر رجلا قبل أن يشن عليه هجوماً آخر .

وهذا بدوره كان عملا صغيراً لكنه أظهر استعداد رومل في استغلال أى موقف لاقصى درجة بغض النظر عن المخاطر التى تحيط بهذا الموقف .. فقد كان هذا يرشده الى انتهاز الفرص كما كان يقوده الى مواقف بالغة الخطورة الا أنها قد مكنته من انتهاز كل مايمكن أن يستفيد منه وخاصة اذا ما كان العـــدو مـــتردداً .

ولقد كانت ارادته على القيام بالمخاطر ومقدرته على العمل الفردى بلاشك هى التى أوصلته بعد ترقيته الى رتبة الملازم أول وعندما جرح للمرة الثانية في ساقه عاد الى مكانته في كتيبة الجبال التى تكونت حديثاً .

وقد كانت هذه وحدة أكبر من الكتيبة العادية تتكون من ست مجموعات من الرماة و ٦ من فرق المدفعية الالية للجبال .. فلم تكن تحارب كوحدة أو كمجموعة لكنها كانت تحارب كتكوين ينقسم او يتفرع الى مجموعات قتال أو أكثر التى يختلف تكوينها حسب العمل المتاح .. وكانت كل مجموعة قتال تعطى أوامرها وتحارب تحت قيادة آمرها الذى كانت له مطلق الحرية في العمل وليس عليه الا أن يكتب تقريراً مرة كل يوم الى آمر الكتيبة .. وبعد تدريب شاق للعمل العسكرى في جبال النمسا وبعد فترة سلم دامت قرابة عام في قطاع هادىء في منطقة القوسجس التحقت الكتيبة بفيلق جبال الالب الشهير في الجبهة الرومانية واسند الى روميل قيادة احدى مجموعات القتال هذه التى كانت تختلف في حجمها لاداء الاعمال المختلفة من فرقة واحدة الى الكتيبة كلها .. في نفس الوقت استطاع الحصول على اجازة

حيث رحل الى دانزج وهناك تزوج في ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٩م من لوس ماريا مولن .. ولقد أظهرت صورتها الفوتوغرافية التى التقطت في هذا الحين أنها فتاة أنيقة ايطالية الشكل ، لها ملامح جميلة جداً ، أما مالم تظهره الصورة فانها كانت تتمتع بروح الفكاهة بسبب تعابير الوجه العادى ، وهى نفس ماتتمتع به الآن ، كما كان يتضح ولتفوقها الدراسى وشجاعتها وقوة شخصيتها فقد كانت زوجـة مناســبة لمقاتل .

ولقد كانت الاعمال البطولية لرومل في رومانيا صعبة التصديق لولم يكن مراجعتها على آراء الآخرين الذين شهدوا بذلك بل وشاركوا فيه .. ولقد كان أسلوبه باختصار هو التسلل خلال خطوط العدو ببعض الرجال واضعاً الى جانبه خطا هاتفيا عادة أينما ذهب .. وفي المناطق الجبلية حيث الوديان وقمم الجبال التى من الممكن احتلالها وكان يعمل حول اعلا المنحدرات والتى تمثل في شدة انحدارها اسقف المنازل على أن يقوم بهذا متسلقى الجبال المهرة فقط .. وسواء في البرد القارس حيث الضباب الذى يشبه الثلوج وحيث الثلوج العميقة أو في حرارة شمس الصيف الملتهبة كان رومل يتحرك بسرعة سواء بالنهار أو بالليل فلقد كانت له عينا فاحصة لرؤية الريف وكان لايتأثر بالحرارة ولا بالبرد ولا بالتعب أو نقص الطعام اوقله النوم .. وعندما يصبح خلف خطوط الاعداء فلا يتردد في الهجوم مهما ـ كانت قواته قليلة حيث كان يعتقد (وهو مصيب في هذا) بأن ظهور رجاله المفاجىء في مؤخرة مواقع الاعداء وأول انطلاق مدمر لنيران المدفعية الالية على المناطق الخلفية سيهز كل القوات ماعدا الممتاز منها ، وهذا لم يكن متاحا للقوات الرومانية والايطالية .. وعندما احتل الموقع الروماني المحصن بقوة في جبل كوزنما في أغسطس سنة ١٩١٧م قاد اربع فرق في طابور واحد خلال الغابات بين مواقع العدو على بعد ١٥٠ ياردة دون أن يكتشف كما كان يضع الاسلاك الهاتفية في نفس الوقت .. وعندما وصل الى القمة كان قد أمضى حوالى أسبوع دون نوم كما جرح جرحا كبيراً في ذراعه قبل سبعة أيام من أطلاق رصاص من مؤخرة كتيبته .

وعندما احتل قرية جاجستى في يناير من نفس العام مكث هناك حتى العاشرة ليلا داخل خط لرومانيا في درجة حرارة تصل الى ١٠ درجات تحت الصفر .. فاذا ما استطاع أن يعرف عندها حقيقة أن الرومان سوف ينامون في أثناء نوباتهم فتح نيرانه على القرية بمدافعه الالية ونصف بنادق فرقة الرماة وقاد بقية القوات مشجعا هذه الهجمة وعندما كان العدو يتفقد ما هو كائن خارج المنازل كان رومل يجمعهم

وسرعان ما أصبح عنده ٤٠٠ منهم مسجونيين بالكنيسة ولقد كانت هناك خسائر بسيطة لاتذكر .

واذا ما اضطر لشن هجمة أمامية فكل ماعليه هو أن يفتح نيران الرشاشات الكثيفة على كل القطاع بتركيز شديد على النقطة التى يبدأ منها الهجوم ثم يعقب ذلك انقضاض بقوات قوية على جبهة صغيرة جداً .. وبمجرد أن تخترق القوات المهاجمة التى تحمل الرشاشات تبدأ مواقعها باطلاق الرصاص على أحد جوانب تلك القوات وتبدأ بقية قوات الانقضاض بضغط شديد بغض انظر عما يحدث في مؤخرتهم .. وبمعنى آخر فقد كان يتبنى بالضغط نظام الاختراق في العمق التى طالما كانت تتبعها الفرق الالمانية المدرعة في عام ١٩٣٩م .

وطيلة هذه الفترة كان مما يجب وضعه في الحسبان أنه بينما كان روىل يقود كتيبته ليقوم بعمليات مستقلة ضد العدو كان كبار ضباطه يعملون بنصائحه وينفذون توجيهاته واساليبه في الهجوم في الوقت الذى كان هو شابا في الخامسة والعشرين بل ويبدو أنه أصغر من هذا العمر وبرتبة ملازم أول من كتيبة ليس لها مايميزها بصفة خاصة عن أية كتائب أخرى . وكان هذا في الجيش الالماني حيث كان للاقدمية اعتباراً أكثر من عندنا وحيث لم يشجع الشباب لاظهار آرائهم وحيث كان مستوى التدريب عالياً ولقد سجل له أنه أثبت أن له تقريبا سمعة فريدة كما عرف خلال فرقته حتى من قبل أن ينضم الى كتيبة الجبال ، ومع هذا فلم يكن من هؤلاء الشخصيات الغربية الذين برزوا على نحو غير متوقع في الحروب ليتركوا انطباعاً بأنهم غير عاديين فهو مجرد رجل له سمات الشجاعة والجرأة والاصرار.. فقد كان ينتسب الى مدينة فراى بيرج أكثر من انتسابه الى مدينة اوروا ينجميت .

ولقد وصل الى ذروة نجاحه في الحرب العالمية الأولى عندما أسر مونت ماتاجور وهى مدينة جنوب غرب كايورينو في ٢٦ أكتوبر ١٩١٧م . عندما كان النمساويون قد عانوا من سلسلة من الانتكاسات على أيدى الايطاليين ولجأوا الى طلب المساعدة من الالمان وبالرغم من تورطاتهم في أماكن أخرى فان القيادة الالمانية العليا أرسلت الجيش الرابع عشر والذى يتكون من سبعة فرق محنكة للاشتراك في هجوم ضد المواقع الايطالية في وادى – ايزونزو . ومرة أخرى كان على كتيبة الخيال من فورتنبرج أن تتجه الى فيلق الالب الذى كان مكلفا بالهجوم في الوسط في اتجاه ماتاجور وفي أول يوم كان على الكتيبة ان تقوم بمهمة حماية الجناح الايمن للكتيبة البافارية التى كان عليها قيادة الهجوم . وبعد ذلك كان عليها أن تقوم بمتابعة الكتيبة البافارية .

ولتلخيص عملية طويلة ومعقدة لم يكن رومل مهتما بمتابعة البافاريين فأقنع قائد كتيبته وهو الرائد سيزوزوكى يسمح له بالتحرك الى اليمين ليهاجم المواقع الايطالية بمفرده .. وبينما توقف البافاريون قاد مجموعاته قبل الفجر عبر أو خلال الجبهة الايطالية دون أن يلاحظه أحد ونجحت مجموعة المقدمة في أختراق خط الجبهة الايطالية مع أول ضوء واحتلت موقعا لبطارية ايطالية بالسلاح الابيض دون طلقة رصاص واحدة وترك رومل إحدى المجموعات كى تحتل وتقوم بتوسيع هذه الثغرة ودفع بمجموعة أخرى الى خلف الايطاليين ثم كان عليه أن يعود لمساعدة المجموعة الأولى التى هوجمت بكتيبة ايطالية كاملة .

وعندما باغت الايطاليين في المنطقة الخلفية استسلموا بسرعة وارسل رسالة الى قائد كتيبته ومعها أكثر من الف اسير ايطالى ، وعندما جاء الرائد سيزوزومع أربع مجموعات أخرى من ست مجموعات تحت قيادته سمح لرومل بالتقدم بقوات الاختراق الى المناطق الخلفية .. وعندما اكتشف طريقا بعيداً عن الانظار قاد كل قواته عبره في طابور منفرد لمسافة قرابة ميلين بينما ظل الايطاليون مشغولون بالمعركة الرئيسية ووابل المدافع ينصب على جبهتهم وفي منطقة مفتوحة خلف خطوط العدو جلس على الطريق الرئيسى المؤدى ناحية مونت ماتاجور وأسر طابور من المؤن وسيارة قيادة ، خمسون ضابطا والفين من جنود الفرقة البرساجليرية الرابعة المتقدمة ... وبعد أن اخذ سيارة القيادة قام بمناوراة أولية وقرر أن يتقدم مباشرة عبر الاراضى المفتوحة الى مونت ماتاجور وهى المدخل لموقع الاعداء .. وخلال بقية ذلك اليوم وطوال ليلة تقدم بقواته التى أصبحت شديدة الارهاق ... وعند الفجر هاجم معسكر كتيبة سالرينو .. وبمساعدة أثنان من الضباط الاخرين ومجموعة قليلة من رجال البنادق باغت مجموعة من الرجال المسلحين وامرهم بالاستسلام وبعد لحظة تردد وضع ثلاثة وأربعون ضابطا ، ألف وخمسمائة جندى أسلحتهم ، والسبب الاساسى كما يبدو هو المفاجأة التامـــة وقوة الملاحظة البشرية .

وعندما فصل رومل مونت ماتاجور من المؤخرة نهائياً وأطلق صواريخه الموفقة من المنطقة المرتفعة أصبح مستعداً للتحرك الدائم لمدة ٥٠ ساعة فغطى مسافة ١٢ ميلا بينما كان الغراب يطير في المنطقة الجبلية وتسلق مسافة قرابة ٧٠٠٠ قدم وأسر مائة وخمسين ضابطا وتسعمائة جندى ، واحد وثمانون مدفع ، ولقد أكتشف بنفسه ان نقص الروح الحربية للايطاليين شيئا لايمكن تفسيره ففى احدى النشرات المطبوعة عام ١٩٣٧م . لمجلة الانفانترى جريفت آن أنه قال « ان الجيش الايطالى

في هذا اليوم هو من أحسن الجيوش » الا أن ــ الانسان يشك أن هذا كان من قبيل حسن الدعاية بالجيش .

وعلى أى حال بالرغم من أن رومل لم يتمكن من ممارسة مثل هذه الحيل بنجاح أيام الفرق البريطانية للورد كافان الا أنها كانت عملية جريئة الى حد كبير .. لانه منح بسببها وسام الاستحقاق وهو وسام يحتفظ به دائماً للقادة الكبار وعندما يمنح للضباط الصغار كما حدث في حالتين أو ثلاثة فقط يصبح مماثلا لوسام صليب فيكتوريا كما أنه قد ظفر برتبه نقيب .. وبعد هذا بقليل بعد أن سبح في المياه الباردة لنهر النبيرون مع ستة من الجنود ليلا مربوطين بحبل معا هاجم قرية اونجارون واحتلها بكل حاميتها العسكرية عندما أطلق عليها النيران من مواقع مختلفة في الظلام .. وعند الفجر مشى بمفرده ليخبر الايطاليين بأنهم محاصرون وليأمرهم بالاستسلام .. عندها منح أجازة وعين في وظيفة أركان حرب مما أثار استياؤه ... وقد مكث في هذه الوظيفة حتى نهاية الحرب .

ان القيادة في الحروب يمكن ان لاتكون من بين القدرات العالية للنشاط البشرى .. ومع ذلك فقد لايحتاج الى بطلا من أبطال فن ــ الملاكمة وحتى ان بطلا من ابطال العالم لايحتاج الى قوة حيوانية عدوانية ذات لياقة طبيعية مناسبة ومهارات فنية خارقة فان الانسان الذى يؤتمن على الارواح في المعارك بدون تردد لابد ان يكون له أكثر من ذلك .. وهكذا بمجرد أن بدأت في أفتقاء أثر رومل بدأت اسال نفسى بالطبع كما سألت الاخرين ، أى نوع من الاشخاص كان رومل بصرف النظر عن مآثره في طريقة اداء عمله .

فمن البداية قد صادفت فرقا جوهريا بين وجهة نظر الالمان تجاه الحرب ووجهة نظرنا نحن .. ولم أكن معداً تماما لذلك ... فبعد الحرب الاولى بقليل تصادف ان قرآت كتابا مترجما اسمه « عاصفة حديدية » من تأليف ابرنست جونجر وكثيراً مالصقت احد احداثه في ذاكرتي ربما لسبب أن مشهدها كان مألوفا لدى .. فبعد معركة كامبراى مباشرة والهجمة الالمانية المضادة الناجحة التى تلت هذه المعركة كانت الكتيبة التى يتبعها ارنست جونجر تحتل الخط بالقرب من موقرز في جوار قناة هرمس .. ولقد كان الوقت احد أيام الاحد بعد الظهر وكان الضباط ــ ورفاقهم قد تناولوا طعام الغذاء جيدا وكانوا يدخنون التبغ ويشربون النبيذ في أحدى الحفر « الدشم » على خط المواجهة واقترح احدهم « لم لانعبر ونشن غارتنا على الانجليز ؟ » ولم يكن هذا اقتراحا يمكن أن يتخيل أحد أن يقوم بتنفيذه على

فرقة بريطانية في تلك الايام .. ولقد كنا على أتم استعداد ان لم نكن في شوق كى نقوم بهجمة شاملة أو بغارة منظمة اذا ماصدر لنا الامر بذلك .. فالكتيبة القوية هى التى تتبين – بنفسها عند القيام بمغامراتها الاستطلاعية . وعندما نكون في أرض مشاع أثناء الليل .. ولكن بغض النظر عن ذلك فمعظم الناس كانوا يميلون للقول الذى يقول ليعيشوا ويجعلوا الاخرين يعيشون ويستمتعون بقضاء جو أحسن هادىء مع القواقع الغريبة التى تطلق أصواتها كى يظهر الصوت في المناطق الخلفية ، كما لوكانت السماء قد اعطتهم الفرصة لقراءة كتاب أوكتابة رسالة ، فاذا ما اقترح أحدهم « من الضباط فقط» أية غارة ارتجالية ففى مثل هذه الظروف قد يشك في أنه قد شرب أكثر من اللازم وعندها ينصح بأن يقبع مكانه وان لا يتحرك .

وبالنسبة لتلك الغارة فقد تم تنفيذها عبر الخمسين او الستين ياردة التى تفصل مابين خطى المواجهة ولانه لم يكن هناك اية تحذيرات في طريقة اعداد المدفعية ولان الوقت المبكر من فترة بعد الظهر لم يكن هو الوقت المتعارف عليه لشن الغارات . فقد كانت الغارة ناجحة ، ولقد عاد الرفاق الضباط بعد عشرة دقائق فقط منتصرين ومعهم اثنان أو ثلاثة من الاسرى تاركين اثنان أوثلاثة من القتلى .

وكانت تتمة القصة أكثر غرابة ، فعندما أصبحت الكتيبة بعيداً عن خط المواجهة قدم الضباط الذين شاركوا في الغارة الى قائد فرقتهم الذى قاد هذه الغارة كأسا فضيا كبيراً منقوش عليه « الى المنتصر في معركة مرفرز » .

ان الجنود الالمان المحترفين كانوا يأخذون الحرب مأخذ الجد بنفس القدر الذى ينظر البريطانيون فيه للرياضة وكما يقدر الامريكيون العمل والرياضة بنفس الكيفية يمكن تخيل « رغم الصعوبة » بقية الجماعة وهى تقدم كأسا كبيراً لاحد الذين فازوا بمباراة جامعية في لعبة الرمى في آخر دقيقة بقدر سريع من حظ منطقة الـ ٢٥ ياردة الخاصة به .. ومثل هذا التقديم اوالعرض ليس بغريب في الولايات المتحدة ولكن أن يمتد حتى الى أحد أعضاء القوات العسكرية الذين يصدرون معظم الاوامر لتنتصر في المعارك .. الا أن الكأس الذى قدم الى منتصر معركة موفرز قدم مع بعض الخطب المناسبة وشرب فيه الجميع نخب البطل نفسه ، فاذا ماقدر لاحد أن يرى مثل هذا الاحتفال يتم في كتيبة بريطانية فلابد وانه كان قد قضى فترة طيبة مع فرقة غربية .

ولقد كانت هذه القصة تجول في خاطرى عندما كنت أتحدث في مدينة هيدنهيم مع هويتمان هارتمان وهو أول شخص أقابله كان قد خدم مع روامل في الحرب العالمية

الأولى . ان مصنع هارتمان الذى ينتج الاربطة بالمليون له مظهر انعزالى يتصف بالمكانة الجماعية الى حد كبير محتفظ بالمهارات التى تتحلى بها المصانع السويسرية والالمانية فقط ، وكان مكتب هارتمان وهو مكتب نموذجي لرئيس مجلس الادارة تخيم عليه الكآبة له كسوة داكنة وأثاث ثقيل وصورة فوتوغرافية كبيرة لاشخاص عائلة هارتمان السابقين حول الحوائط ولايوجد مكان لاى ملف يمكن أن يجرؤ على الخروج من مكانه ولا لاى ورقة أن تخرج من مكانها الصحيح . وكان النقيب هارتمان هو الاخر كئيبا جداً مثله في ذلك مثل السفينة التى يعيش فيها الماني وسيم رقيقاً عابساً مكفهر الوجه – يبدو انه أصغر بكثير من أن يكون معاصراً لروميل . وعندما نهض من مكتبه وجاء عبر الحجرة ليحييني أكتشفت أنه قد فقد احدى ساقيه كاملة . أكان هذا في الحرب الأولى ؟ .. لا وانما كان ذلك في حادث انزلاق عندما كان في لوفتوا في وقت كان الانزلاق ومازال هو كل متعه له .. وفي أول يوم خرج فيه من المستشفى بعد فقد ساقه عاد اليه مرة أخرى ، وعندما كان يتحدث عن الانزلاق كان وجهه يشع ضياء وقد كان شخصا جذاباً متعاطفاً له اسلوب سلس .

ثم انتقلنا الى روميل .. انهما كانا بالفعل صديقين حميمين منذ الحرب الأولى حتى وفاة روميل .. فقد خدما معا في نفس الكتيبة وقد كان معه حين منح وسام الاستحقاق .. وقد وصف كيف سبح روميل في نهر البييف في تلك الليلة من ديسمبر مع ستة من رجاله واحتل لونجارون ياله من محارب « فاينما كان روميل كانت مقدمة الجيش هذا ما اعتاد ان يقوله الجنود في فرقته .. ولقد كان دائماً محاولا ومتخذا لاشياء لايأتي بها غيره بل ولم تخطر لاحد أن يحاولها .. فقد بدا وكأنه يملك مايسمى بالحاسة السادسة كما كانت أصابعه كما لوكانت ملهمة « وقد كانت هناك حكمة كان على أن اسمعها من كل جندى أقابله كان يعرف روميل » صارم نعم ولكنه لم يطلب من أى فرد مالا يطيق ، وقد كان دائماً يحاول أن يقلل من الخسائر بغية التنظيم او مايسمى بالتكنيك الحربي .. فقد كان عبقرياً في ذلك الفن .. وربما لم يرق روميل للضباط أكثر من الجنود لانه دائماً كان ينتظر منهم الكثير وكان القليل منهم فقط هم الذين يمكنهم السير على نمطه – الا أنه كان أحسن الرفاق حقيقة .

وكانت عبارة « أحسن الرفاق » هذه لها وقع أنه ينتظر له مستقبل مرموق .. وخلاصة القول أنهما كانا رفاق شباب ورفاق معارك وهؤلاء لايقضون كل أوقاتهم على خط النار ... فمن المحتمل أنهم كانوا يؤدون صلاتهم حتى في رومانيا عندما

يخرجون الى الراحة في بعض الاماكن التى تشبه الكاتدرائية حيث يجلسون في زاوية للعشاء الجيد ولنسيان الحرب .. وفي مثل هذه الامسيات عندما يطوف فيها الإنسان على الشاطىء حيث يستأجر حجرة ويستحم بالماء المالح ويقوم بشراء مايلزمه ويحتسى شرابه مع الآخرين من نفس المنطقة ... هذه الامسيات تعتبر جزءاً من ذكريات كل انسان في الحرب العالمية الأولى تلك الذكريات التى تجعل الإنسان يفكر ويقول انها ليست سيئة لدرجة كبيرة .. على أية حال « الم يكن كينندى وهو عميد فرقتى في الكاتدرائية ينظر بعينه الى الفتاة الجذابة التى كانت تقوم بخدمتنا ؟ الم يقم بملاطفتها بطريقة لم أسمع بها من قبل ؟ . لم اسمع بها منذ ذلك الحين ولم انساها ؟ .. بحق الله الم يكن كل ذلك جميلا ؟ .. أن – الإنسان يمكن أن يتناول بيضة مسلوقة من معدتها » .

الا أنى عندما أردت بمهارة أن أغير مجرى الحديث طلباً للراحة والاسترخاء ولاتناول بعض الافكار عن رومل كانسان الى جانب كونه جندى وجدت نفسى أمام حائط مسدود .. هل كان رومل يبغى أية مصلحة من نوع ما ؟ .. لا فان النقيب هارتمان لم يكن يعتقد أن له أية مصالح أخرى ، فعندما كان لايستثمر عبقريته في التنظيمات الصغيرة ويحولها الى ممارسة ، كان يأتي بخطط جديدة يمكن بها ارباك العدو . ومن المؤكد أنه لم يكن يرغب مطلقا في ضرب عدو في المناطق الخلفية كما أنه من المؤكد ايضا أنه لم يرغب في زيارتهم ، فسألت هل كان هناك أى تغير في سلوكه عندما عاد الى الكتيبة في عام ١٩١٩م . بعد زواجه ؟ لا أنه لم يتغير فقد كان صارما كما هو ، لايهتم بالمخاطر كل مايشغله هو كسب الحرب في القطاع الذى يعمل فيه .. وقال النقيب هارتمان وكان يعلو وجهه الوسيم نشوة خفيفة .. لقد كان محاربا مائة في المائة ، ولقد كان يعمل في الحرب روحاً وجسداً .

وبعد عدة أيام حاولت مرة أخرى مع هويتمان الدنجر الذى لم يكن قد خدم في نفس كتيبة هارتمان ورومل فقط خلال الحرب الأولى ولكنه ايضا كان المساعد الشخصى وقائد معسكر رومل والسكرتير الخاص له في فرنسا عام ١٩٤٠م . وفي شمال أفريقيا وفي نورماندى عام ١٩٤٤م . – كما كان الشخص الاخير الذى رأى رومل قبل وفاته .. والنقيب الدنجر رجل صغير الحجم ويمكن أن يكون أكبر مسئول لمؤسسة صناعية كبيرة مثل مصنع هارتمان للضمادات والذى يمكن لكل من يسمع به أن يجد فيه عملا سهلا .. الا أنه في حياته الخاصة يعمل كمصمم حدائق له سمعة طيبة في مدينة ستوتجارت ، ومهندس ذو ذوق – من الواضح أنه رفيع .. وربما يدرك ما أحاول الحصول عليه ويعطينى موجزاً عن

روميل ... ومرة أخرى لم أحصل على جديد فقد تكررت نفس العبارات السابقة . . فقد وصفه بأنه ذوالاصابع الملهمة الى جانب كل فضائله العسكرية ، رجل صارم ، صارم أكثر من اللازم ـ أمام الجند وخاصة الضباط « ولكن اذا ماكان روميل في الجناح الذى أنت فيه بالجيش فلن تجد هناك مايقلقك ... وفي تلك الايام كان يعتقد أن كل امر يجب تنفيذه بالضبط ، وكانت له ثقة كبيرة في القيادة العليا وقيادة اركان الحرب في الحرب العالمية الأولى أكثر منها في الحرب العالمية الثانية » مصالح أخرى ؟ حسنا فقد كان يهتم بقضاء يوم في الصيد البحرى أو البرى عندما يستطيع ذلك . اهتمامه بالقراءة ؟ حسنا فمعظمها أعمال عسكرية ... موسيقى او المسرح ؟ لا .. الطعام أو الخمر ؟ لم تكن تلك تعنى شيئا بالنسبة له ... كان جاداً طول الوقت ؟ لا فقد كان يحب المزاح مع فرقته كما كان يحب أن يتحدث مع الجنود من مواطنيه بلهجتهم العامية .

وبذا انى أصبحت في اثر ذلك الإنسان النادر الغير متلون والمتخصص في الفكر وحيد المسلك ... ولقد كان الشاب منتجمرى كما يبدو في أول سيره الآن أقرب انسان مشابه لهذا الضابط الملتزم الذى يسند له أية مصالح خارج مهنته .. لكن على الاقل كان مونتجمرى عداء مرموقا وأشهر طالب في مدرسة سان بول .. وفي مدرسة ساندهرست قد أغضب معلمه لدرجة أنه قد قيل له أنه لن ينفع ولن يكون له أى مكان في الجيش ... أما روميل فلم يكن له مثل هذه السلبية المتميزة .

ان الحياة في الجيش محدودة وضيقة ، ولم تكن كذلك في جيش المانيا القديم بكل احاسيسه الرفيعه وتقاليده الصارمة .. ولذلك فان أى شخص خارج الجيش أو من يدخله لفترة مؤقته من عالم مختلف يمكن أن يعتقد أن المحترف الذى لا يفكر حتى في وقت الحرب في أى شيء سوى الجندية من المؤكد ان يكون ضيق الافق ومحدوداً أيضا .. وعندما أشار الى اللواء سبيدال وهو رئيس اركان روميل الذى كان قوى الملاحظة في نورماندى بأنه لايعتقد بأن روميل قد قرأ كتابا في حياته يمكن أن تكون له علاقة بالحرب . وعندما سألته الم يكن غبيا ؟ ففاجأني القائد سبيدال مندهشا ، غبيا ؟ يا الهى ان هذا لهو أبعد شيء عنه » .

وفي نهاية الأمر فقد صنفت روميل تبعا لهواى وربطت بينه وبين السابقين .. ولكننى أقترح أن يكون للقارىء انطباعه الخاص ويترك انطباعى حتى وقت لاحق .

## الفصـــل الثـــالث

### « بـــين حربـــين »

ان طعم الهزيمة مر دائما ، الا أن اندحار المانيا سنة ١٩١٨م. فاجأ بل هز كل المحاربين المحترفين الألمان أكثر من اتفاقية الاستسلام التى تمت في مايو ١٩٤٥م. التى أقر الجميع بحتميتها ما عدا المغتصبون . . فقد عرف لودندورف حقيقة أن الهجوم الكبير في مارس كان يعنى الضربة النهائية له . . ولكن بعد ما بدأ النجاح يتوقف ويغير اتجاهه في الصيف لم يخطر ببال هذا الضابط الالمانى الملتزم أية خاطر عن الاستسلام فكانت الجيوش – الالمانية ما زالت تقف على أراضى أجنبية ، ومنذ تقدم الروس في سنة ١٩١٤م. لم يطأ أى عدو أرض المانيا الا اذا كان أسيرا ، وربما جعل هذا خطر المواجهة أبعد من ذلك كما حدث بعد معارك « سوم » ويمكن التخلى عن شمال فرنسا وبلجيكا ، ويمكن ان يعقد سلاما شاملا بحيث يترك المانيا بالنسبة للحرب بحالة ليست اقل مما كانت عليه في ٤ أغسطس سنة ١٩١٤م. ولكن القليلين فقط فيما عدا رئاسة أركان الحرب وقادة الجيش هم الذين أدركوا حتى الاسبوعين الاخيرين أن الخيار أصبح بين الاستسلام او الكارثة التامة . . وكان الحلفاء قد أعدوا أنفسهم لمواجهة شتاء آخرا من حرب الانفاق ويخططون للهجوم النهائى في ربيع ١٩١٩م.

وحقيقة القول أن الجيوش الألمانية قد أحيط بها في ميدان المعركة وأن القوى المعاصرة قد كسروا ارادة مقاومتهم للشعب الالمانى في وطنهم وقد كان يمكن أن تتأخر الهزيمة الا أنه لم يكن من الممكن تجنبها .

ومع ذلك ، فيما أننا جميعا نود أن نعلق فشلنا على أى شىء عدا تقصيرنا ، كان من الطبيعى جدا أن يستعمل الجنود العائدون مقوله « لقد طعنا من الخلف » ويتشدقون بها ، ولقد ساعد الحلفاء من مفهوم خاطىء وغريب لنفسية الالمان علىأن يعملوا على تعزيز هذا المفهوم بأن جعلوهم يعودون مسلحين عبر جسور نهر الراين وتسير أمامهم فرقتهم الموسيقية .

ثم أضاف الحلفاء ظلما حقيقيا كاملا على الالمان عندما تجاهلوا كلية الظروف التى تمت فيها الهدنة . . هذه الظروف كما أشار اليها جون مainard كينز في ذلك الحين كانت واضحة ، ودونما أى التباس فقد أعلن الحلفاء عن رغبتهم في اقامة سلام مع المانيا على أساس النقاط الاربعة عشر الخاصة بالرئيس ولسن كما جاء في خطاباته الى مجلس الشيوخ ، وكان الهدف من مؤتمر السلام هو مناقشة التفاصيل الخاصة بطلبهم...

وفي الحقيقة فان هذه التفاصيل لم تناقش وقد أملى السلام على الالمان دون أن يسمع لهم أى صوت وعلاوه على النقاط الاربعة عشر فقد كان هناك أربعة أسس وخمس خصائص ، ولقد قال السير هارولد ولسن في اقامة السلام » يمكن لهم أن يسيروا جنبا الى جنب في معاهدة السلام ، ولقد كانت النتيجة أنه بالرغم من أن معاهدة فرساى لم تكن بالتأكيد بنفس قسوة نوع السلام الذى استنبطه الالمان فلم يشعر أى المانى بانه ملتزم بها ، وبصفة خاصة فلم يكن أى المانى مستعدا لقبول تسليم منطقة كبيرة من بروسيا الغربية الى بولندا بالاضافة الى فقد مدينة دانزج وخضوع حوالى مليونين من الالمان بصفة دائمة الى الحكم البولندى. . وأمام هذه الخلفية يمكن تقييم السلوك الذى تلى ذلك لكل ضابط المانى . . فقد اعتبرت طبقة الضباط أنهم قد غرر بهم عند التسليم وأنه غير المفيد المجادلة في القول الذى يقول أنه كان يمكن قبول أى شروط مهما كانت قاسية قد يفرضها الحلفاء لو كانوا قد وا صلوا الحرب في سنة ١٩١٩م. . . . ولقد رأينا الالمان في عام ١٩٤٥ م. مشتتين ومبعثرين مثل أحجار بقايا مدينتهم وفي حالة اكتئاب بائس لا يسمح لهم حتى بالتعبير عن روح الكراهية تجاهنا . . . وفي عام ١٩١٨م. كانت روح عدم الاستقرار مازالت سائدة وطالما أن يوم الوقوف ضد الغزاه كان ما يزال بعيدا « فقد قال لى أحد رجال الصناعة الالمان في مدينة دوسلدورف في سنة ١٩١٩م. وقد كان ذلك قبل أربع سنوات من الاحتلال الفرنسى للروهر قال أنه سيبزغ الفجر قريبا دون شك ، أخرجوا من هنا وسوف نضرب الفرنسيين ولو بالعصى » وفي هذا الوقت كنا مشغولين بتضميد جراحنا كما كنا نحتفل بالانتصار ونبعثر المكافأه المالية للحرب ونستمتع ببداية طلقات مدافع ما بعد الحرب والاهتمام بما كان يحدث في المانيا ، ومع ذلك فقد كان منظر اعادة الضباط الذين أسروا في الشوارع أو سحبوا من القطارات ونزعت عنهم شارات رتبهم وغالبا أيضا ما يقتلون كان احد المناظر التى تركت أثرا سيئا على الالمان ليؤكد لهتلر استقبالا على نفس النمط كما كان لهذا المنظر الاثر الكبير على تبرير تمرد الفرق ـ المتحررة ووحشيتها ونشأة نظم الجورنجز ، روحم ، سيبديش ، كما فسر سبب عبادة وزيرالدفاع الاشتراكى الهر نوزك الى فئة الضباط باعتبارأ أنهم الالمان الوحيدين القادرين الان على استعادة النظام وحفظه .

وهناك جانب آخر لكل ذلك فمن خلال فوضى الاقتصاد وروح الاضطراب النابعة من الهزيمة والاحتلال والحرب الأهلية من الصعب لأى انسان لا يعيش في المانيا في هذه الفترة أن يصور أسر الطبقة المتوسطة الالمانية التى تعيش حياتها العادية ، فالازواج يذهبون الى مصانعهم المنعزلة ومكاتبهم والزوجات يراقبن حركة العمل التى تقوم

بها الخادمات التعيسات الحظ ومشغولات بصفة أساسية بأثمان الطعام وصعوبة الحصول عليه ، ومن الصعب أيضا أن نعتقد أن ضابطا نظاميا المانيا ينتكس فجأة في عمل عسكرى في وقت السلم كما لو كان بعيدا يؤدى أحدى المناورات الطويلة الغير طبيعية .

وهذا ما حدث بشكل ما للنقيب أرون روميل ففى الواحد والعشرون من ديسمبر عام ١٩١٩م. أعيد الى كتيبته الاصلية الكتيبه رقم « ١٢٤ » مشاه في مدينة وينجارتن التى أنضم اليها في سنة ١٩١٠م. عند التحاقه بالجيش وعلى كل فقد رأى روميل قليلا من المشاكل وقد كان عليه ان يسافر خلال المانيا الثورية في نفس الشهر ليأتى بزوجته من مدينة دانزج حيث كانت في حالة صحية سيئة في منزل جدتها وعندها استجوب وربما أهين حيث كان مسافرا بالزى الرسمى كما أنه كان على وشك ان يقبض عليه في أحدى المناقشات الا أنه تمكن من أن يعيدها الى مسكن والدتها في مدينة فينجارن » وقد كانت المرأتان دائما من أحسن صديقاته ففى صيف سنة ١٩١٩م. ذهب في مرة لقيادة فرقة أمن داخلية في منطقة فردريكس هافن حيث كان يقوم بأول تجربة له بالتعامل مع الالمان الذين لم يعدوا لطاعة الاوامر وأعطى عندها مجموعة من المتمردين على شكل جنود متمردة . . . وقد كانوا غير اليفين اولا وثاروا ضد روميل لانه كان يلبس وسام الاستحقاق وطالبوا بتعيين مفوض ورفضوا وعقدوا اجتماعا ثوريا . . . وقد حضر روميل هذا الاجتماع ووقف على مكتبه ليعلن أنه قد قررت قيادة جنودا وليس فئه من المجرمين . . . وفي اليوم التالى سار بهم خلف احدى الفرق في استعراض عسكرى . وعندما رفضوا التدريب امتطى حصانه وتركهم فأسرعوا ورائه الى الثكنات في خضوع . وفي أيام قلائل أصبحوا مستأنسين لدرجة أن المفتش هان وهو قائد الشرطة في مدينة شتوت جارت طلب من روميل أن يختار بعضا منهم ليعملوا في الشرطة وليمنحوا مكافأة تشجيعية اذا انخرطوا في عمل رجال الامن . . كما دعى روميل ان ينضم اليهم وهذا ما يفسر القول أنه كان ذات مرة أحد رجال – الشرطة . . ورد روميل بأنه سيعود مرة أخرى الى كتيبة . . . وقد عرض هؤلاء الرجال التضحية بهذه المكافأة ليلحقوا به ولم يكن له معهم أية اشكالات أخرى فيما عدا أنه عندما كان عليهم أن يقدموا حارسا للسوق السوداء لاحد المصانع كان ذلك اختبارا غير عادلا لقدرتهم الحديثة على النظام . . وقد أخذ رفاقه بعد ذلك الى الروهر من أجل أمور الامن الداخلية الا أنه لم يكن له أية تجارب مثيرة هناك ، وفي أول يناير سنة ١٩٢١م. بعد رحلة عمل في مدينة شويز شجموند كان في مدينة شتوت جارت لقيادة فرقة لكتيبة المشاه الثالثة عشر بعد اختفاء الفرقة ١٢٤ بعد اعادة ترقيم وتخفيض الجيش الالمانى . . وهناك كان عليه أن يظل كنقيب لقرابة تسع سنوات.

ولنا أن نتسائل كيف أن روممل كان له أن يستأنف مستقبله على هذا النحو كيف أنه لم ينضم الى الفرق الحرة وهى ملجأ لكثير من العاطلين والضباط السابقين الذين لم تكن لهم حرفة سوى الحرب بغض النظر عن من يحاربون . . . . والجواب أنه بالرغم من كارثة نوفمبر عام ١٩١٨م. والحرب الاهلية التى تلتها فان الجيش الالمانى لم ينهار كما أن فكرة أعادة تجهيزه في أقرب فرصة ممكنه لم يتخلى عنها أحد ولو للحظة واحدة . . وقد قضت المادة « ١٦٠ » من معاهدة فرساى على أية في يوم لا يتعدى ٣١ مارس ١٩٢٠م. — فان الجيش الالمانى يجب الا يشتمل على أكثر من سبع فرق من المشاه وثلاث من الفرسان . . وبعد هذا التاريخ يكون العدد الاجمالى المؤثر لا يزيد عن مائه ألف جندى يشملون الضباط ومراكز التدريب . كما لا تتعدى القوة الفعلية للضباط اربعه آلاف .

وكان الهدف من ذلك هو السماح لالمانيا بقوة كافية لحفظ النظام الداخلى وقد امكن تبعا لذلك من تزويد رئيس الاركان الجنرال هانز ونسكت » وهو الرجل الذى أثار الحرب التالية » بمجموعة من كبار المحترفين التى من حولها يمكن ان يضع الاسس للجيش في المستقبل . . وقد كان هؤلاء بمثابة اعادة القوة العسكرية والاطار الصلب الذى يصب فيه حصيلة التجنيد الالزامى اذ ما أمكن ذلك كما حدث على يد هتلر في مارس عام ١٩٣٥م.

وكان هذا العمل مع وسام الاستحقاق كضابط عسكرى بالنسبة لروممل شيئا طبيعيا . . . وبالرغم من أنه لم يعرف القائد بون سك شخصيا وحقيقة انه لم يقابله الا مرة او مرتين أثناء الاستعراضات العسكرية « فقد كان في العام السابع والعشرون الا أربعة أيام من العمر في أيام الهدنه » ولم يكن من أولئك المغامرين الذين يمكن أن يكونوا من الفئة المؤثرة في الحروب لكنهم لا يلتزمون لنظام أو لفترات التدريب وقت السلم .

وبالنسبة لروممل نفسه فلم يكن حقيقة أمامه اختيار آخر حتى لو كان له أن يختار ، فقد كان الجيش هو مستقبله ، وربما أنه قد تزوج ولم تكن له أية رغبات خاصة فقد كان محظوظا في متابعته لمستقبله ، وعلاوه على ذلك فلم يجد في الجيش شيئا لا يرضيه . فقد كان جنديا مفكرا وكان يود فيما لو أعيد له القيام بالقتال في معاركه مرات ومرات وليس هذا بدافع حب الحروب ولكنه لكى يستخلص منها الدروس الفنية الصحيحة كما أنه كان يستمتع بالتدريب مثله في ذلك مثل مونتجمرى .

وليس هناك أدنى شك أنه كان على علم تام بكل التفاصيل والاغراض للمؤامرة البعيدة التى كان يدبرها القائد فون سكت لكى يوسع ويخفى قوة الجيش ، كما ان

كل من الضباط الاربعة آلاف المختارين كان قد علم ان هدف رومل لم يكن مجرد الحفاظ على الامن الداخلى بقدر ما هو خلق وتدريب قوة أساسية أكبر واحدث تقوم على الانقاض القديمة ولا بد أنهم جميعا كانوا يستمتعون بقدر كبير من البهجة . . كما يمكن ان يحدث لنا اذا ما صدفنا نفس الموقف في حالة قيام هذه العبقريات الفذة التى تحقق بها هذا الهدف واني لا أذكر قراءاتي في مكتبة نادى راند في مدينة جوهانزبرج مقالة في جريدة كوارترلى ريفيو في اكتوبر عام ١٩٢٤ . التى فيها قال العميد مورجن وهو عضو لجنة نزع السلاح حيث وصف الحيل العديدة التى فشلت معها جهوده وأجهزة التعبئة التى ظلت سليمة تحت غطاء تسريح الجيش في منطقة ويلفر ومراكز بيتشنز وما الى ذلك . فقد كان شيئا مثيرا مثل قصص أو روايات اجاثا كريستى ، كما كان مزعجا لدرجة كبيرة . وقد كان مما يدعوا الى الشفقة ان تتسع الدائرة الى هذا الحد لان هؤلاء الذين اشتركوا في الخديعة كانوا وكأنهم يلعبون مباراة شيقة. وقد قال مورجان لنفسه لو كنت المانيا وطنيا لاحنيت رأسى امام القائد فون سكت كأحسن الرومان جميعا كما كان سكارت هويست الذى وجه قضية نزع السلاح في معاهدة تلست الى هزيمة نابليون ( التى مكنتنا لحسن الحظ من كسب معركة ووترلو (. وكان رجلا صغير الحجم بالمقارنة . . ولان القضايا المعاصرة لمعاهدة فرساى قد رسمت بعناية فائقة » وقد كانت العسكرية الالمانية في السنوات التى تلت حرب ١٩١٤م الى سنة ١٩١٨م لم تكن من العقم وعدم الجدى لاى ضابط المانى كما كان يعتقد .

ولقد كان لنشأة رومل في مدينة شتوتجارت وهى مدينة محبوبة في احد اجزاء وطنه وفيها عاشت أسرته ضربة أخرى من ضربات الحظ بالنسبة له . . وهكذا

فبالرغم من اضطراره للانتظار حتى عام ١٩٣٣م. حتى يرقى لرتبة رائد الا أنه كان سعيدا . . وفي عام ١٩٢٧م. ذهب في جولة مع زوجته الى ايطاليا حيث استعاد ذكريات مهمته السابقة في منطقة لا ونجارون ، وهناك أكتشفت السيدة رومل بين مقابر المنطقة أسرة مولينو التى قيل أن أسرتها تنحدر من هذه الاسرة « ولقد اضطروا لاختصار استكشافهم لارض المعركة لان الايطاليين بهذه المنطقة غضبوا عندما شاهدوا ضابطا المانيا مرموقا يتجول في منطقة لها عندهم منزلة عاليه خاصة .

وفي جولة أخرى مع زوجته أخذ رومل أحد القوارب في نزهه خلال نهر الراين الى بحيرة كونستانس . . وبما أن الاثنان كانا من خبراء التزحلق وتسلق الجبال والسباحه، وركوب الخيل كما كانا مغرمان بتربية الخيول والكلاب ويفضلان حياة الريف على حياة المدينة ، فقد كانا يخرجان من شتو تجارت كلما استطاع ذلك كما كان

الاثنان أيضا محبان للرقص الا أنه لم يكن أحد منهما يهتم بالمسرح او السينما والحفلات الخاصة .

ولقد كان روميل يمارس العزف على الكمان في منزله على سبيل الهواية ، ويبدوا أنه كان يأنس لذلك كثيرا . . كما أنه كان قليل الشرب فلا يشرب أكثر من كأسين غير مدخن ، أما بالنسبة للطعام فلم يكن يهتم بنوع معين بالذات . . وأثناء وجوده بالمنزل كان مثالا للزوج النافع الذى يمكن الاعتماد عليه فقد يقوم بعمل أو أصلاح أى شيء كان ، ومثالا لذلك عندما اشترى دراجه ناريه ، عندها قام بفك جميع أجزائها ثم قام بتجميعها مرة أخرى دون أن ينسى اية مسمار أو « صامولة » على حد قوله .

وبينما هو في مدينة شتوتجارت كون روميل مع اصدقائه هارتمان والدنجر جمعية الرفاق القدامى لمعركة فرتمبرج وهى المعركة التى اشترك فيها الجميع ودخل هذه الجمعية لم يكن هناك تفضيلا للرتب العسكرية . . وكانت هذه من أهم اهتمامات روميل حيث كان يقضى أكثر وقت فراغه في اتصال مستمر عن طريق الخطابات الشخصيه بكل اولئك الذين خدموا معه في المعركة وحيث كان يبذل قصارى جهده في مساعدة اولئك الذين ضاقت بهم الحال في المانيا فترة ما بعد الحرب . . . وعندما حان وقت الجلسة السنوية حيث نظم استعراضا لهؤلاء الرفاق سنة ١٩٣٥م. عاد روميل لحضورها وفي ذلك الوقت كان روميل برتبة مقدم وكان يقود احدى الكتائب في منطقة جوسلار ، ولقد حضر الاستعراض القائد فرن سودن أيضا حيث جاء لتلقى التحية ثم عاد روميل للانضمام اليه على المنصة الرئيسية . . لقد كان شيئا رائعا من روميل أنه كان يفضل المشاركه مع رفاقه القدامى .

وهكذا مرت السنون بهيجة لا أحداث فيها مرضيه لاسرة روميل ، وكان الشيء الجديد هو ميلاد الطفل الوحيد لهم مانفريد في عيد رأس السنه عام ١٩٢٨م. بعد زواج دام اثنى عشر عاما .

وتقول ارملته انه فيما عدا تلك الاثار الناجمة عن جروحه لم تترك الحرب أى أثر لدى روميل ، وعندما كان يشير الى تلك الحرب وقليلا ما كان يفعل . كان تعليقه هو أنها عمل وحشى سخيف لا يود أى عاقل ان يراه يتكرر مرة أخرى . . ولم يكن روميل كغيره يحلم أثناء الليل ، كما أنه لم يكن يبدو عليه انه يشعر كغيره من الشباب المحاربين في كل الجيوش بعد عام ١٩١٨م. حيث كانوا يشعرون أن تلك السنوات الاربع أما أنها عبارة عن شيء من الهلوسة الدموية أو على العكس من ذلك

أن تلك السنوات كانت هى الحقيقة ولا شيء غيرها . . فقد ظل جاد الفكر ومع ذلك مرحا هادىء المزاج بسيطا ، يستمتع بالحياة الهادئه أما فيما عدا ذلك فقد كانت مهنته تتكفل بالباقى من وقته . وكانت مهنته كمعد للحروب تبدو متناقضة مع ذلك فهى المهنه التى يجيدها المحاربون المحترفون أكثر من غيرهم من المدينيين .

وفي اليوم الاول من شهر أكتوبر عام ١٩٢٩م. استدعى رومل للتدريب في مدرسة المشاه في مدينة دوسون حيث بقى أربع سنوات كامله وقد ظهر أثر هذه المحاضرات بالمدرسة في شكل كتاب له نشر تحت اسم « هجمات المشاه » وتقوم احداثه على تجاربه الشخصية في بلجيكا ، والارجون ، الفوسجز ، والكارب تيانز ، وايطاليا أثناء الحرب ، فقد كان الكتاب تحفة شخصية عن فنون المشاه التى تم فيها تفصيل كل العمليات الجانبية بطريقة حيوية بالاضافة الى وجود خرائط تخطيطية والدروس الفنية التى شرحت شرحا وافيا . . . وقد أصبح هذا الكتاب نصا يدرس في العسكرية السويسرية التى قام ضباطها باهداء رومل ساعة ذهبية محفور عليها هذا الاهداء . . . الا أن الكتاب قد جذب انتباه قراء آخرين قريبا من الوطن فكان له أثرا كبيرا على زيادة ثروته .

وفي ١٠ أكتوبر عام ١٩٣٣م. بعد أن أصبح رومل برتبة رائد اسند اليه قيادة السرية الثالثة من الكتيبة السابعة عشر مشاه وهى سرية جبال حيث كان كل الافراد بكل رتبهم العسكرية من خبراء التزحلق ، وكانت السرية في منطقة جوسلار وكان الثلج قريبا وفي اليوم الذى تسلم فيه القيادة اقترح الضباط ان يخرجوا الى الخلاء معا . . . وأراد الضباط القادة بذلك أن — يتأكدوا هل باستطاعتهم وهم في منتصف العمر أن يقوموا بسباق للتزحلق ولم يكن هناك ادوات للتزحلق وقد أنهكهم التعب الى أن وصلوا الى أعلا مكان بالجبل . . وعندها استعد الجميع للراحة والشرب والتدخين الا أن رومل بادرهم قائلا « اعتقد ايها السادة انه ينبغى ان نبدأ الرحلة الى أسفل » وقد كان النزول سريعا. وعند نهاية المنحدر تأكد لدى كبار الضباط أنهم من كبار المتزحلقين وقال رومل « لقد كان هذا شيئا رائعا يا سادة » دعونا نكرر هذه المحاولة » ولقد اعتبر هذا تمرينا رياضيا . وعندما أقترح صعودا ثالثا كان المتحمسون قليلون . وعندما وصلوا الى اسفل المنحدر للمرة الثالثة كان الجميع قد بدأوا عليهم الاعياء ما عدا رومل الذى قال ان شكل المنحدر يبدوا رائعا وأنه ينبغى عليهم ان يقضوا قرابة نصف ساعة أخرى في التدريب ، ففى الفرق البريطانية يمكن للفرد ان يرى الضباط يخرجون مسرعين من غرفة الانتظار عندما يتطلب الأمر عملا مع أحد القادة أما في فرقة جافرا

وفرقة الجبال فقد قيل لى أن العمليات التى تتطلب مترحلقين على الجليد كان يختار — لها متطوعون للاشتراك مع كبار القادة .

ولم يكن رومل يهتم بالعمل السياسى حتى أصبح هتلر مستشارا في ٣١ يناير عام ١٩٣٣م. فقد كان من تقاليد فئة الضباط الالمان ان يظلوا بعيدين عن المجالات الحسيسة لعالم السياسة وعالم التجارة . . .وفي السنوات التى تلت الهدنه مباشرة بدأ القائد فون سكت في تدعيم هذا التقليد وفي نفس الوقت بدأ في كسر الحواجز بين الضباط والجنود وكان الغرض من ذلك ان يخلق جيشا نموذجيا جديدا ولم يكن له أية نوايا في أن يسلم هذا الجيش النموذجى الى أهل السياسة في جمهورية ويمار فقد كان ذلك موكلا الى هيئة القيادة لتقريرة عندما يحين الوقت المناسب لانخراطة في السياسة . . . وكان غرضة ايضا ان يكون ولاء هذا الجيش الى زيه العسكرى فقط ، وهكذا فان أوامره بمنع الجيش من الاشتراك في السياسة ومنعه حتى من حق التصويت في الانتخابات بينما يؤكد ذلك للحلفاء من غير شك ، كانت في الحقيقة جزءا من خطة كبيرة كان يمكن ان تسبب لهم كثيرا من المشاكل بالتأكيد ان لم يكونوا قد وضعوا هذه الخطة في حساباتهم .

أما بالنسبة لرومل فلم يكن هناك أية ضرورة لاوامر الحظر من العمل السياسى فقد نشأ في مجتمع لا سياسى في ضاحية اقليمية المانية صغيرة وتعلم لكى يعمل في العمل العسكرى ، ولقد ذهب الى الحرب وهو دون الثالثة والعشرين من العمر . . .وقد كان في أقصى سعادته عندما عاد للعمل العسكرى بعد نزاعات المانيا بعد الحرب « الى العالم الوحيد الذى يشعر فيه أنه في بيته ولم تكن القهوة المنزلية من بين ما يستمتع به في البيت . . . وكان يقرأ قليلا ولم يكن يحمل فكراً سياسيا بأى شكل من الاشكال . وقد كان التعليق الوحيد الذى تذكره السيده رومل عندما هاجم رومل النازيين في أيامهم الأولى هو قوله « يبدوا انهم مجموعة من الاوغاد وقد كان مما يدعوا الى الاشمئزاز ان يحيط هتلر بمثل هؤلاء . وذلك لانه مثل قرابة تسعون في المائه من الالمان الذين ليست لهم اتصالات مباشرة مع هتلر وتحركاته ، كان يعتبره رجلا مثاليا ، ووطنيا له حصيلة من الأفكار يمكن ان تجعل من ألمانيا أمه واحدة وتصونها من الشيوعيه وربما يبدو هذا أنه تقييم ساذج ، ولم يكن ذلك أكثر سذاجة من تفكير اهل انجلترا الذين كانوا يرونه كرجل قزم له شارب يثير الضحك . وكلا الرأيين لا يعبر إلا عما يكنه كل من مشاعر نحو هتلر الا أن الالمان بعد ما ذاقوا مرارة الهزيمة وتجرعوا كأس الشيوعيه يصبح لهم العذر في أن يؤمنوا بما يريدون . . أما أولئك الذين رفضوا

ان يروا ايه ــ خطورة في ذلك الشكل المضحك لم يصدقوا الى أن أصبح الوقت متأخرا ما لم يرغبوا تصديقه لمجرد أن الشيء البديل كان كريها بشكل لا يمكن قبوله .

وبالاضافة الى ذلك ، فبالرغم من أن روومل كان ضابطا نظاميا فلم يكن من اولئك المتغطرسون المتكبرون من أهل بروسيا. ففكرة أن عريفا من النمسا يمكن أن يخلص المانيا لم تكن بالنسبة له مجرد وهم كما كانت بالنسبة لرؤسائه من الضباط ، فقد كان يحب الجنود . . أما الذين يكرههم فهم أولئك ذوى القمصان البنية اللون من نوع روين . . ولم يحدث أن قابل روين أو أى من جماعته الا أنه كان يشك في أنه يحاول مع جماعته أن ينشى تنظيما مناهضا . . . وهذا أيضا ما كان يفتقره معظم رجال الجيش علاوه على أنه كان يشمئز عندما كان يرى هذه الفئة من ذوى القمصان البنية حوله تنتابهم النوبات الهسترية وينقصهم الضبط ولهذا فلم يفزعه ما سمع من أن روين وبقية جماعته قد انغمسوا في حادثة ليلة ٣٠ يونيو سنه ١٩٣٤م. والمسماه « بليلة السكاكين الطويلة » فقد صدقت القصة التى تقول ان هذه الجماعة كانت تخطط للاطاحة بهتلر لتتسلم السلطة بنفسها ، وكان يعتقد بأنهم قد نالوا جزاءهم الرادع وقد أكدت لى مدام روومل مع آخرين ان تلك الحادثة كان لها صدى قليل على الاقل في أقاليم المانيا عنها خارج الحدود . . كما ان تفصيلات الاغتيال قد تسربت تدريجيا الى خارج البلاد .

ولم يتضح من الصدام الاول بين روومل والاشتراكية القومية من الناحية العملية ما يؤكد انه كان يتعاطف مع النازيين . . . فقد كان روومل يقود فرقة جافر « الفرقة الجبلية » في منطقة جوسلار . . وفي عام ١٩٣٥م. عندما اختيرت ــ المنطقة كمسرح للاحتفال بعيد الشكر ليحضره الفوهرر شخصيا . وقد أعد كل شيء على الوجه الاكمل بما فيه من فرق موسيقية واعلام بالاضافة الى القرويين من المناطق المجاورة بملابسهم القومية . وكان من الطبيعى ان تقوم بعرض عسكرى. . وعند مراجعة تفاصيل هذا العرض قيل لروومل عن طريق أحد المسئولين من القوات الخاصة انه سيتقدم فرقته طابور من رجال الفرقه الخاصة وسيكون هذا الطابور مسئولا عن حماية هتلر . . وكان رده على ذلك أنه في هذه الحالة فان فرقته لن تشترك في العرض . . وطلب اليه أن يذهب لمقابلة هيملر وجويلز في فندق المنطقة . وقد كان في غاية الادب ــ والتلطف في الحديث اليه كما دعاه الى تناول الغداء . . . وعندما شرح لهم أنه قد اعتبر هذه الترتيبات المقترحة بمثابة اهانة له ولفرقته وعندها وافقا على أنه كان على حق . . وأن هذا يرجع الى خطأ أحد المرؤسيين المتطرفين في الحرص . . وبطبيعة الحال الغيت هذه الاوامر في الحال وعاد روومل الى بيته ليخبر زوجته بوجهة نظره فيما تم قائلا

أنه لم يرتاح لرؤية هيلمر الا أن دكتور جوبلز كان رجلا لطيفا للغاية . . وظل هذا الانطباع لديه طويلا فكلما تقابلا في السنوات التى تلت ذلك كان جوبلز يغير طريقه لينقض على الحنية الصغيرة التى كانت مع رومل ويأخذها على سبيل الدعاية فقد كان رومل من الشخصيات التى يود جوبلز أن يفوز بصداقتها ، واذا ما استحال ذلك فلا أقل من أن يظل هناك نوع من المحبة بين الشخصيتين . وأما عن لقاء رومل الاول بهتلر فقدكان لقاءا رسميا خالصا . . فقد أدى التحية ثم قدم الى هتلر ، وتصافحا ولوحظ نوط الاستحقاق الذى يحمله ثم تقبل التهنئة على مظهر فرقته .

وفي الخامس عشر من أكتوبر ١٩٣٥م. وآنذاك كان رومل برتبة مقدم بعث به الى الفيلق الحربى أستاذا في مدينة بوتسدام . . وكانت هذه هى أول مرة يصبح فيها رومل قريبا من المهام الكبيرة . . فمنذ فترة وجيزة قبل ذلك كان له حظ الحصول على شهادة من كلية الأركان حرب . . كما انضم الى هذه النخبة . . الا أن البعض قد نصحه أن يظل بين فرقته حيث الفرصة أكبر للترقى وذلك لما يحمله من مؤهلات بالاضافة الى وسام الاستحقاق الذى يحمله . . وبما أنه من هذا النوع من الضباط العسكرين الذين لا يرضون بعسكريتهم بديلا فقد استهوته النصيحه . . وقد عاش في مدينة برتسدام مع زوجته وابنه الصغير عيشه هادئه بالقرب من الكليه لا يختلط كثيرا بمجتمع مدينة برلين كما لم يكن له أى أصدقاء أو معارف بين كبار النازيين . . وحتى كبار الضباط فلم يكن يتقابل معهم على المستوى الاسرى . . وكما كان الحال في مدينة شتوتجارت كان كل اصدقائهم من الضباط العاديين وزوجاتهم فقط.

وكان من الطبيعى أيضا أن يعلموا بما يجرى على المستويات العليا بشكل أكبر من ذى قبل . . فمثلا علمهم بالمنافسة التى كانت تزداد بين هيئة القيادة والنازيين ، واستنادا الى حقيقة أن هتلر قد أصبح القائد الأعلى لكل القوات المسلحة الالمانيه بعد وفاة هدزبرج وأن هيئة كبار الضباط قد أقسمت يمين الولاء له فان رؤساء الحزب قد انقضوا عليهم ليجعلوا منهم نازيون كبار وليدمجوا ضباط الفيرماخت في النظام الجديد . . . وقد كانوا يرون بكل الوضوح أن أية منظمة مستقلة في تقاليدها القديمة تحظى بالولاء الغريزى لكل الالمان ، فيما عدا الصغار منهم يمكن أن تنقضى عليهم في يوم ما لتسلم زمام الامور . . وقد تمكن هتلر بدهائه الشديد من أن يوقع بين الجانبين حيث كان يرى في صراعهما مصلحة له .

وبالنسبة للجيش فبالرغم من انشغاله منذ مارس ١٩٣٥م. بتوسعاته الهائله وأمتنانه لهتلر الذى منحه الفرصة للتوسع بمساحات تفوق كل الاحلام لم تكن لديه أية أفكار عن استعداده للخنوع لرجاله الموثوق بهم وقد كانت هناك فئة قليلة جداً

من الضباط ذوى الشخصية والسلطة مثل الفريق أول لودويج بك وكان رئيسا للاركان الذى لم يفرق بين الفوهرر وباقى أتباعه والذى أعتبر من وجهة نظر أخلاقية أن الاشتراكيه القومية ومؤسسها من الكوارث القومية . . وبالرغم من أن بك قد استقال في عام ١٩٣٨م. فقط محتجا على أقتراح غزو تشيكوسلوفاكيا الا أنه لم يكن له أى تصور غير سليم منذ البداية . . كما كان هناك آخرون مثل الفريق أول ويرنر فون فوبتز وكان يشغل منصب القائد العام الذى كان يكره بل يحتقر كل من النازيين وزعيمهم الا أن هذا كان يرجع أساسا الى أنهم كانوا يهددون سيادة الجيش كما أنهم كانوا من ذلك النوع من الناس الذى لا يستطيع أى ضابط المانى أن يرتبط بهم أو أن يقيم معهم أى نوع من الصداقة ، الا أنه أيضا كان هناك نوع من الضباط الذين أتو من منطقتى الكيتلز والجودلز والذين كانوا على استعداد للتضحية بشرف المهنة من أجل الحصول على الترقية — وذلك برغم انهم كانوا يعلمون جيدا بأن اليوم سيأتى قريبا عندما يعاملهم هتلر كسعاة للبريد ولكن بالزى العسكرى .

ولقد وصف اللواء والتر وارليمونت وجهة نظر معظم القادة العسكريين في قوله « ان أى فرد من هيئة الضباط القادة قد اكتشف بالتدريج أنه من الضرورى وجود نوع ما من النفوذ المتعادل ، وأنه بدأ ينظر الى هتلر ومكانته التى تناقض مع أتباعه على أن هذا هو الأمل الجديد لألمانيا فبالاضافة الى برنامج اعادة التسليح فان احتلال ارض الرين مرة أخرى قد دعم من سمعة هتلر الشخصية لدى فرق الضباط لان هذه الخطوة قد تمشت مع السياسة الجوهرية للقوات المسلحة ؟ ولو كانوا يقرأون المستقبل لعلموا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيرا فقد وقعوا فيما يسميه المثل العربى « كالمستغيث من الرمضاء بالنار » الا أن هذا الاعتقاد لم يبدوا عجيبا في ذلك الوقت مثلما يظهر الان ، ألم يكن هتلر نفسه هو أحد الجنود الذى يفخر كثيرا بفترة خدمته في الجيش ؟ الم يقف وراءهم ضد طموحات الروهر ؟ الم يكن يعلم ان الجيش والجيش وحده هو الذى احتفظ بالشعلة العسكرية حية أثناء سنوات الاستسلام الطويلة. وأن رفاقه النازيون السفاحون هم الذين ساعدوه للوصول الى السلطة ، لكن هل هناك من يعتقد انه يفضلهم على الضباط الالمان وهم اساتذة مدرسته القديمة ؟ . الم يكن يستثمر الوقت فقط حتى التخلص منهم كى يعتمد على حماة المانيا الحقيقيون ؟.

تلك كانت وجهة نظر أى من الضباط القادة . . ولقد وصلت أيضا الى الضباط التقليديين وبما أن روملِ هو أحدهم فقد قبل هذه الفكرة للدرجة التى ينظر بها الى مثل تلك الامور . فقد كان هناك اختلاف واضح في فهمه بين الفوهرر وبين اتباعه . . واستمر ذلك حتى فتح عينيه من خلال تجربته المريره وكان ذلك بعد معركة العلمين

حين احترم وأعجب بهتلر . . أما النازيون فلم يكن لهم بهم حاجة .

وهكذا فلم يدهشه سماع نبأ اقتراح الجيش النظامى بتولى مهام « جيش الانقاذ » في عام ١٩٣٥م. وأنه قد اختبر لقيادة هذه الفرق . . ولقد اعترف أنه كان يسعده أن يجعل منهم أكفاء الا أنه قد أدرك ان المهمه لن تكون بالسهله ولا بالمرحه بالنسبه له وفشلت المحاولة . . ولم يكن هناك أى احتمال لاى فرصة في انجاحها .

ومع ذلك فلم يكن روميل يستطيع تجنب الاتصال مع النازيين ، فبينما كان مدرسا بالكليه العسكرية كلف بمهمة خاصة وكانت المهمه هى مرافقة جماعة « شباب هتلر » بهدف غرس روح النظام فيهم . . وقد كانت المهمه تروق له كثيرا . . فهو مولع دائما بالشباب ويبذل قصارى جهوده معهم . . وكان معظم الصبيه بميولهم الغريزيه تجاه البطوله معجبون بل مبهورون به . . فقد كان بالنسبة لهم عسكريا شهيرا ومع ذلك فهو يتحدث اليهم كزملاء او كرفاق وكانت النتيجة جيدة ككل ، أما بالنسبه للنواحى البدنية فقد كانت النتيجه رائعه .

ومما يثير التأمل والتفكير هو « ماذا يمكن أن يحدث لو أطلقت لروميل اليد الطولى مع شباب هتلر . . لا بد وأنهم كانوا سينشأون شجعانا أقوياء كما كان معظمهم بالفعل . . وكان لا بد وأنهم سيحاربون ويقدمون أراواحهم رخيصه في الايام الاخيره للهزيمة كما فعل الكثير منهم بالفعل في القوات الخاصة تحت قيادة العميد كورتماير من الفرقة الثانية عشر لشباب هتلر في مدينة كان . . ولا بد وأنهم كانوا سيقفزون على دباباتنا مثل الذئاب حتى أن أحد قواد الدبابات البريطانيين قد قال « لقد اضطررنا لقتلهم دون أن يكون لنا رغبة في ذلك » وللحق نقول انهم كان يمكن ان لا يكونوا اولئك النمور المستأسده المتعصبة من الشباب كما أصبحوا بعد ذلك . . ومن المؤكد أنهم لم يكن للاحياء منهم الان ان يكونوا تلك الجماعات من الشباب الالمانى الخطر الممتعض المتجهم الوجه الذين لا يستطيع أى انسان أن يحتفظ بقواه العقليه العادية أو أن يحول طريقه تفكيرنا . وقد تأسس الفيلق الافريقى على نفس النحو ومن نفس الشباب وقد كان الجنود الذين خدموا فيه شجعانا أقوياء لهم ثقه كبيرة في أنفسهم بل كانوا أيضا مغرورين الى حد كبير . . الا أنه يمكن للفرد مقابلة الاحياء من الفيلق الافريقى وأيضا من الفرق الخاصة ليرى بنفسه مدى الفرق بين الفريقين .

ولم يكن هناك ايه فرصة متاحه للقاء روميل بهؤلاء النازيون ، حيث أنه أسرع بالوقوف ضد زعيمهم بالدور فون سكيراك وكان هذا الاخير متحدثا لبقا أنيق الملبس ، وأكثر ثقافة من معظم هؤلاء النازيين ، حيث أنه ابن لمدير مسرح ويمار وأحد شعرائه

ويعتبر أكبر ممثلى هذا الحزب ومن أبرز أعضائه وأكثرهم – مثاليه . . . ومن ناحية أخرى فقد هاجم روميل فون هاسل عندما قال فيه بأنه ليس أكثر من حزبيا متوحشا ذو حديث طنان منمق . . . . . . . . . تعكس ملامحه كل الدناءه والخسه « والمؤكد أنه كان من النوع الذى يتجاوب مع عواطف الشباب الالمانى وبأنه من الواضح تماما أنه كان مخلصا للفوهرر حيث كان يبعث اليه بقصائد الشعر بقصد مديحه ولم يكن من غير الطبيعى أن يستاء لحلول أى ضابط نظامى في فرقته لم يكن على الاقل عضوا بالحزب. . ولقد اختلف روميل معه على أحد الموضوعات التى كان يمكن أن تدهش أى أنسان لا يعلم الكثير عن نشأة روميل من مدرسى مدرسته فمنذ دعى الى تدريب « شباب هتلر » كان روميل يعارض فون سيكداك الذى كان يرى التركيز على – الرياضة والتدريب العسكرى ولا يهتم بالتعليم وتطوير الشخصيه . . وقد كانت معارضته شديده حين كان يتحدث الى الصبيه الذين تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشر والذين كانوا في طريق التحول الى جنود حيث قال لهم بأنهم نمط صغير على طراز نابليون «كما أنه لم يكن ليشجع شابا في الثانية عشره الذى وصل بالزى الرسمى يشعر كما لو كان قائدا عاما . . فقد كان شباب هتلر يحتقرون المدارس والمدرسين وكانوا يرفضون ان يعاملوا كطلبه في المدارس . . وفي محاوله له لكى يستقيم هذا الوضع أعد روميل مقابله بين بالدور فون سكيراك والدكتور راست وزير التعليم الا أن المقابله لم تؤد الى نتيجه ، فقد كان فون سكيراك متكبرا متعجرفا اما راست فقد كان أحمقا . . وعندها أخبر روميل فون سكيراك انه اذا ما كان مصرا على تدريب هؤلاء الفتيان كجنود فعليه اولا ان يذهب هو نفسه كى يتعلم الجندية بنفسه أولا. . . أما فون سكيراك فبالرغم من أنه قد ذهب بلارجعه الا أنه قد عارض بشده أن يفقد نفوذه على شباب هتلر اذا ما راه احد مذعنا لاوامر مجرد رقيبا مدربا بالجيش.

وفي نفس الوقت فمجرد أن سنحت له الفرصة في التخلص من روميل . . فيما أنه كان من المقربين الى هتلر فلم يكن من الصعب أن يظهر روميل على أنه ليس نازيا كفؤا لدرجه ان يمنح الثقة بتدريب شباب هتلر وتم عزل روميل من هيئة اساتذه الكلية الحربية ولم ينشأ عن ذلك أى نزاع بين الحزب والجيش . . وعاد روميل الى بوتسدام ولم يمنح الشارة الذهبيه لفرقة شباب هتلر وكان هذا شيئا متعمدا بالطبع .

الا أنه بعد ما انهى فترة الثلاث سنوات لعمله في بوتسدام في التاسع من نوفمبر ١٩٣٨م. قد عين في اليوم التالى لقيادة الكلية العسكرية في منطقة ديزنبوستاد ، فقد رقى في العام السابق وهكذا انتقل من رتبه النقيب الى رتبه العقيد في مدى تسعة عشر عاما وهى فترة تعتبر سريعة للترقى في فترة السلم الا أنها لا تعتبر منطقية بالنظر لما

يشهد به ملف خدمته والتوسع الكبير في الفيرماخت منذ عام ١٩٣٥م. ولا يمكن لاى فرد ان يرجع هذا الى نفوذه في القيادة العليا للجيش في الوقت الذى كان ما يزال غير محسوب لدى النازيون .

ويفحص ملف خدمته نجد أنه قبل ان يغادربوتسدام قد نحى من الكلية العسكريه الى عمل مؤقت غير من مستقبله ككل ، ربما للاحسن وربما للاسوأ فقد تطلب الامر تكليف احد الضباط لقيادة الفرقه التى تتولى الحماية الشخصية لهتلر أثناء مسيرته الى سودتنلاد في أكتوبر ١٩٣٨م. وكان كتابه « قوات المشاه » قد نشر في عام ١٩٣٧م. وكان هتلر قد قرأه وأعجب به كثيرا فقام بتعيينه كمرافق خاص له بنفسه واختار مؤلف ذلك الكتاب ولاول مره جيء بروميل الى مكان قريب للرجل الذى جعل منه قائدا برتبة مشير والذى قتله بعد ذلك .

وهكذا فان كثيرا من الدلوان قد انزلت في بئر شخصية هتلر العميقة . . فعرف الكثير عن خيانته وقسوته ومكره وتعطشه للدماء وتسلطه الغريب وجنون عظمته لدرجه انه ما يزال الان غموض وحيد وهو كيفية استطاعته لفرض نفوذه هذه المدة الطويله ليس على جماهير الشعب الالمانى فحسب فهذا مفهوم حيث كان بالنسبة لهم هو الشكل المضمون ( ولكن أيضا على بعض الرجال الاذكياء والمحترمين الذين كانوا على اتصال يومى به ؟ .

ولم يكن روميل بعالم النفس المدرب كما لم يكن صديقا لهتلر الا أنه كان شديد الذكاء دقيق الملاحظه ذو حكم صحيح على الرجال العاديين . وفي تلك الفترة سنحت له الفرصه لدراسة الفوهرر دراسة مركزة وقد كانت الانطباعات التى تكونت لديه عنه في تلك الفترة يمكن أن تضيف القليل الى معلوماتنا الا أنها كانت معلومات أكيدة وقد دونها في مذكرة له أحتفظ بها أبنه فيما بعد . . وقد قال « ليس هناك أدنى شك في أن هتلر كانت له قوى مغناطيسيه وربما منومه تنبع من عقيدته الواضحه بأنه ملهم من الله او القوة المهيمنة على تصريفه الامور على الارض ( لقيادة الشعب الالمانى حتى الشمس » ( ولقد كان روميل حتى ذلك الحين يشك بأنه ان لم يتمكن من قيادتهم الى النصر فلا بد وأنه يملك القدره على قيادتهم الى الهلاك شريطة أن النهاية ستكون مثيرة ).

وكانت هذه القوة أكثر ما تظهر عندما يعقد أى اجتماع له . . ففى البداية يبدو هتلر بنظرة خالية من أى تعبير وأنه يتلمس طريقه مثلما يفعل الانسان عندما يدور بعينيه من أجل اعادة ترتيب بعض الصور الغير مرتبه ليظهر منها شكلا ما .

وفجأه تحضر حاسته السادسة ( وهذا تعبير خاص بروميل ) ثم يبدأ في الاستماع بامعان . . ثم يقوم ببعض الردود الصادرة من الاعماق والتى ترضى ولو للحظة الراهنه جميع اولئك الذين يستمعون اليه » وفي مثل تلك اللحظات كان يتحدث وكأنه نبى « ولقد أدرك روميل » انه كان دائما يتصرف بالحدس أو البديهه وليس بالمنطق « وقال أيضا » الا أن هتلر كان يمتلك مقدرة خارقة في فهم النقاط الاساسية في أى نقاش ثم يستخلص الحل من هذه النقاط .

وهذه الحاسة السادسة نفسها هى التى كانت تمكنه من أن يحس بأفكار من يحدثه وتساعده على معرفه الوقت المناسب الذى يمكن فيه أن يدخل السرور على قلبه . . ولقد كانت طريقة تملقه له بارعه . . وهكذا عندما يستقر له رأى ما يبدأ في استشارة من يعلم عنه تمام العلم أنه سيشير عليه بنفس رأيه هو ثم يتظاهر بأنه قد أقتنع برأيه حتى ولو كان هذا الرأى لايناسبه . . وعندما يتخذ القرار يختال هذا الذى كان يناقشه زهوا بأن الفوهرر قد أخذ برأيه وأن هذا الرأى كان له تأثير أكيدا عليه .

أما الشيء الثانى الذى أثار روميل فهو قدرة هتلر على التذكر فلقد كان له ذاكرة قوية مثل اللواء سموتس حيث كان يحفظ بطريقة عملية وعن ظهر قلب أى كتاب يقرأه وكانت صور الكتاب تكاد تكون مطبوعة في ذهنه وهو نفس ما يحدث مع اللواء سموتس . . ولقد كانت قدرته على استيعاب الاحصاءات قوية بشكل ملحوظ حيث كان يمكنه استعادة جميع الارقام الخاصة بتنظيم القوات ، وعدد دبابات العدو المحطمه والمخزون من الذخيرة والوقود . . . الخ بشكل يترك أثرا بالغا حتى على أكثر القواد تدريبا في هذا المجال .

أخبرنى المراسل الحربى الالمانى البارون فون رايسيبك باحدى القصص التى تناولها في كتاباته لكى يبين لى من خلالها ان هتلر لم يحدث أن فقد هذا الحس ولا هذه الملكه وهى التى اودت بالجيش الالمانى الى كارثه . . ففى أوائل الربيع من عام ١٩٤٥م. زار هتلر احدى مواقع الجيش على الجبهة الشرقيه وسأل قائد هذا الموقع» متى نتوقع الهجمه التاليه للروس ؟ » فأجاب القائد بتاريخ معين وأبدى أسبابه لذلك فأجاب هتلر « لا ، بل سيكون بعد ذلك باسبوع » وقدكان ثم عاد فسأل » كم عدد طلقات المدفعيه المتوسطة التى أعددتها ؟ » فأجاب القائد رقم ما . فرد هتلر « لا ، لقد أرسلت لك أكثر من هذا العدد وينبغى عليك أن تقوم بكذا وكذا وعليك الاتصال تليفونيا لتسأل قائد مدفعيتك » وكان هتلر على حق وكان قائد الفرقه على خطأ . . وكانت هذه أحدى الحيل القديمة المعروفة وهى مفاجأة الفرق بالزيارة والتفتيش على قواد الفرق ، الا أن هتلر كان بارعا في ذلك ولا يحتاج الى من يلقنه هذه الحيل .

وكانت أكثر الخصائص التى يتميز بها هتلر وكان لها بالغ التأثير على روميل حيث كان يعطيها أكثر من قدرتها هى شجاعته البدنية المثيرة الى حد كبير . فعندما كان الالمان على وشك دخول « براج » في الثالث عشر من مارس سنه ١٩٣٩م . كان روميل قائدا للفرقة المرافقة لهتلرمرة أخرى وسأله الفوهرر « ماذا كنت تفعل لو كنت مكانى أيها العقيد ؟ » ورد روميل » لو كنت مكانك لاخذت سيارة مكشوفة وسرت بها خلال الشوارع حتى أصل الى هرادشين دو ن أية حراسة » . وقد كانت هذه نصيحه لا يمكن إلا للقليل من الرجال المسئولين شخصيا عن سلامه هتلر أن يتقدموا بها كما كانت نصيحة لا يقبل بها الا القليل من الرجال الذين هم في مكانه مثل مكانة هتلر ، الا أنه قد أخذ بها ولقد عرضت آلات السينما هذا المشهد بناء على اقتراح روميل .

وفي فترة ما بين الحربين كانت منطقة ويزنيرستات وهى منطقة جبلية في جنوب غرب فينا من أجمل المناطق التى كانت لها أجمل الذكريات بالنسبة لاسرة روميل .. لقد كان لروميل رأيا مستقلا . . وكان يقوم بعمله المفضل بعيدا عن أى تدخل من أيه سلطة عليا وكان هذا هو تدريب زملائه الضباط في الفنون الثانويه والسلوك العسكرى وعاش مع زوجته وابنه في بيت جميل تحيط به حديقة كبيرة وكانت لهم نزهات عديدة في الريف الجميل حيث كانت له فرص كثيرة في الاستمتاع بآخر هواياته وهى التصوير الفوتوغرافي حيث كان يتقنه بكفاءة عاليه كما أظهر موهبة في اختيار الصور التعبيرية ، وفيما عدا ذلك كانت أسرة روميل قانعة راضية بالحياة المنزليه التى تلائمهم تماما وكانت أيام الصيف تمر سراعا . . أما بالنسبة لشبح الحرب فلم يكن روميل هو وحده الذى يفكر من بين الالمان بعد ميونخ وحتى بعد براج أن هتلر سوف يفلت بشكل ما » وقد أبدى اللواء توماس وهو رئيس القيادة الالمانيه العليا في المجالات – الاقتصادية ملاحظة منذ بدء الحرب قال فيها » ان كل المانى ذكى قد أستطاع أن يخلص الى أن القوى الغربية قد رأت في المانيا حصنا أمام البلاشفة ورحبت باعادة تسليح المانيا ، وهذه الملاحظه تبين الى أى مدى يمكن أن هذه السكنات المضلله . . وحتى في نهاية سنه ١٩٣٩م. وبالتحديد في ٢٣ أغسطس عندما رقى روميل الى رتبه الفريق وأرسل به الى هيئه القيادة مع الفوهرر في موقعه كي يكون مرة أخرى مسئولا عن سلامة هتلر ، وعندها لم يكن روميل متأكدا أنه قد عاد مرة أخرى الى الحروب ولم تدهشه التسوية التى تمت في الساعات الحادية عشر بنصف قدر ما أدهشه التحالف مع روسيا ، فقد وقع هذا التحالف في نفس اليوم .

وقد جعل هذا التحالف وقوع الحرب شيء حتمى ، ففى الساعة الرابعة والاربعون دقيقة صباح أول سبتمبر شنت أون غارة المانية على بولندا . . وقد صح بذلك ما قاله

لويد جورج في مذكرته الى مؤتمر السلام في الخامس والعشرون من مارس سنة ١٩١٩م.
ان اقتراح اللجنة البولنديه بوضع مليونين من الالمان تحت سيطرة شعب من جنس مختلف لم يثبت كفاءته ومقدرته على حكم نفسه بشكل مستقر خلال التاريخ ، لا بد وأن يؤدى في رأيي آجلا أو عاجلا الى حرب جديدة في شرق أوربا . . . . . »

ومن السذاجه التظاهر ان روميل كان يعانى من وخز في الضمير بسبب غزو بولندا ، فكم رحب باعادة التسليح سواء سرا او علنا وذلك لانه كان يشعر بان المانيا لن تتوقع الا القدر اليسير من التقدير والعناية من جانب غزاتها حتى يحين الوقت وتصبح قوية بالدرجه التى يمكنها ان تتحدث اليهم حديث الند للند ، وكان يعتقد ايضا ان الممر البولندى لابد أن يختفى ولا بد من استعادة دانزج الى الريتش بالطريقة السلميه الوديه ، أن أمكن ماذا والا بالقوه المسلحه اذ اما دعت الضروره . . وكانت الحقائق الخاصة بحياة أسرة زوجته في غرب بروسيا وأنه قد قابلها في دانزج وأنه قد تخرج من الكلية العسكرية في دانزج تشكل في مجموعها حافزا شخصيا مباشرا في هذا الموضوع الا أن رأيه في هذا كان يشاركه فيه الاغلبيه الساحقه من الالمان وبالاضافة الى ذلك من العداله أن نتذكر أن في تلك الحالة كما هو الحال في سودتنلاند وتشيكوسلوفاكيا فان الرجل الالمانى حتى المثقفون منهم قد ابتلعوا طعم الدعاية التى قدمت لهم بمهارة عن طريق جوبلز حيث أن الرجل الالمانى لم تسنح له الفرصة بسماع الرأى الاخر . أما الرجال من أمثال اللواء بيك ، الريتش فون هاسل الذين يمكنهم استعراض الشئون الاوربيه على نحو نزيه ومن وجهة نظر دولية فقد كانوا قلائل كما كانوا غير قريبين من بعضهم البعض كما هو الحال في أى بلد من البلدان وهذا لايبرر الاعتداء الالمانى بأى شكل من الاشكال انما يفسر فقط السبب في عدم شعور الجندى الالمانى المحترف بالرعب أو الخوف مثلما حدث في بقية انحاء العالم .

ومن مقر أقامة هتلر كان روميل يتابع بعين الصقر الحمله الخاطفه التى شملت بولندا في أربع أسابيع ، قبل أن يصل معظم الجيش البولندى الى مناطق تركيزه . . ففى الثانى من سبتمبر كان في مدينة بروزو وفي ١٠ سبتمبر وصل الى كيلز وفي اليوم الثالث عشر الى لودز وفي الخامس من أكتوبر الى وارسو التى استسلمت استسلاما مشروطا في الثلاثون من سبتمبر وبعد يوم أو يومين بعد ذلك كان في طريقه عائدا الى برلين ولم يفشل في أن يستثمر الدرس المستفاد في فنون الحرب الحديثه . . وقد أكتشف أهمية التعاون الجوى القريب من القوات البرية ، والقصف الارضى عن طريق الطيران المنخفض ، والغريب أن هذا هو الدرس الذى تعلمه سلاح الجو البريطانى على كره منه . . كما أكتشف أيضا أن نشر الفوضى والاضطراب في المناطق الخلفيه

من القوات يمكن أن يضعف المعنويات للعدو أكثر منه تكبيدا للخسائر . . ولقد راعى في مجال الحرب الالية أن يستفيد من الاندفاع واستغلال النجاح في ذلك للوصول الى العمق حتى ولو كان ذلك على حساب المخاطرة بقطع خطوط الامداد والمرور بنقاط المقاومة ثم تركهم للمشاه بعد ذلك للتعامل معهم وهؤلاء سيلحقون بهم فيما بعد ( وقد كان هذا مجرد تكيف مع التسلسل الفنى لاسلوب الهجوم بالمدرعات التابعة للوندورف في مسيرة ما رس ١٩١٨م. ، كما هو الحال فيما تم بتجربته الخاصة في رومانيا وايطاليا ) . . كما أكتشف أيضا أنه لا بد من استخدام الدبابات بأعداد كبيرة وكى لا تتشتت عند استعمالها فيما يسمى « بالاعداد الاقتصادية » . . وقد رأى أيضا أنه بالنسبه لرجل من نفس طباعه فان أى فرقة مدرعه لا بد أن تكون هى مركز القيادة.

وقد أكدت الحمله على صدق رأيه من قبيل المصادفة فيما قاله بشأن شجاعة هتلر الشخصيه. وقد قال يوما لزوجته « أننى اختلف معه كثيرا انه دائما ما يريد أن يتقدم الفرق الأماميه . . ويبدو أنه كان يستمتع بوجوده تحت وابل النيران » . . أما أثناء غزو نورماندى فلم يجد روميل من الفوهرر مايظهر شجاعته الا أنه قد راجع نفسه منذ فترة طويله قبل هذا التاريخ وعدل عن رأيه في ذلك وأقامه على أسس أخرى .

## الفصــــل الرابع

## « فــرقة الشــبح »

ان فترة القتال التى أمتدت للخمسة أسابيع التى سبقت سقوط فرنسا لأولئك الذين لم يشتركوا فيها وكأنها شيء لا يصدق . . لقد كانت كمن يشاهد أحد المبانى المعروفة وهو يقصف بالقنابل شديدة الانفجار في اللحظة التى يتشقق فيها قبل أن يتفتت ويتحول الى رماد .

واذا لم تكن قد خانتنى الذاكرة فقد أخذت الطائرة من نوع ك. ل. م عائدا الى الهند بعد زيارة خاطفة لمدة أسبوع في انجلترا حيث هبطت الطائرة في جودبور في صباح العاشر من مايو . . وكنت قد تناولت غذائى يوم الاحد السابق وكان يوما من أيام الربيع الساحرة في مدينة بوا حيث تفتحت زهور الكستناء . . ويومها كنت أجول بخاطرى بين سيجارى المشتعل وكوب آخر من النبيذ حسبما تعودت عندما أريد أن أستمتع بشيء ما حيث لم يكن هناك أدنى شك أن الحرب « الكاذبة » كانت تقترب من نهايتها . . الا أن هذا كان مجرد نذير شخصى غامض لم يكن ليشاركنى فيه الا القليلين في باريس . . فقد قال لى ساقى الفندق وكان شابا رزينا عندما غادرته كى آخذ قطار الليل الى روما باللهجة الفرنسية « هذه المرة قد — وقعوا في أيدينا ولن يكون هناك مثل هؤلاء الاربعة عشر » . . . وكان قد وضع شريط صليب الحرب في ثقب أحد أزرار قميصه .

وعندما جلست في النادى الامريكى في مدينة سيلما بعد حوالى أسبوع وسمعت عبر الاذاعة الاسماء المألوفة القديمة التالية ، كامبراى — ماركرينج — بيرون — آراس — مابوم — لاباس كانال — بيتون .

كما سمعت بعدها بقليل الاسماء — آبيننز — أبيقيل — فوكامب — سانت فاليزى وجميعها أسماء لها أتصال بمعارك تحقق فيها التقدم على خرائط المخابىء فقط أو في مناطق خلفية كان الفرد يخرج فيها للراحه بعد شهور من القتال الدامى ، بدا لى أن ما يحدث مستحيل الوقوع في مناطق أعرفها جيدا . . فهل قامت القوات البريطانية حقيقة بالقتال عبر هذه الاراضى التى سبق قصفها بالمدافع وهل دفع بهم حقيقة في جوف الليل ليخرجوا من الاماكن التى كانوا بها خلف الاسوار الشائكة لسنوات طويلة .

أما بالنسبة لمدينة دونكرك فكان الامر يختلف . . كان المرء يرى الشواطىء وطوابير

الرجال الطويله تمتد على طول الشواطىء حتى البحر وبالنسبة لى على الاقل كانت الاسابيع السابقة تشبه حلما مزعجا كان الانسان يعمل فيه بشكل غير مرضى ، كنت قد اتفقت مع بعض الرفاق في مقر القيادة على أن « الامور تسير على نحو سيء » الا أنني كنت أتوقع أن أستيقظ فيها في أية لحظه.

أستغرق ذلك وقتا طويلا بعد أن غمر فيضان النصر كل الاراضى الضائعه عندها بل في اليوم التالى فقط بدأت أستشعر وأدرك شكل الحياه خلال تلك الاسابيع اليائسه التى سببت لى ارتباكا شديدا . . ولقد عرفت ذلك من الجانب الاخر .

فقد فتحت أنا ومانفرد رومل المجلد الضخم المغطى بالقطيفه ، وكان على مائدة الطعام التى يغطيها قماشا أحمرا في المنزل الصغير في هبرلينجن ببى أو لم حيث تطيل علينا صورة زيتيه كبيره لرومل بالزى العسكرى على حائط الحجرة وكان هذا المجلد يسجل قصة فرقة بانزر السابعة أو « الفرقه الشبح » يوما بيوم وجولة تشيربورج دون قيد أو شرط وقبل رومل في الولاية العسكرية استسلام « الادميرال » أمير البحر دابريل مع أربعة قواد فرنسيين بالاضافة الى ثلاثين ألف أسير حرب.

ولقد أدركت أنه أكثر ما يبعث على الملل هو متابعة أحداث هذه الفرقة على ذلك النحو من التفصيلات . . وربما استطاع أحد المؤرخين الحربيين القيام بذلك في يوم ما على الوجه الاكمل بالرغم من أنه يبدو من غير المحتمل أن يهتم الفرنسيون بخوض تلك المعارك مرة أخرى ، كما لا يتحمل البريطانيون هذه المشقة علاوه على عدم اهتمام الامريكيين بذلك أوأن الالمان يمكن أن ينظروا الى الخلف مرة أخرى لقتالها . . ومع ذلك فبعد أن قضيت عطلة نهاية الاسبوع في دراسة هذا المجلد صفحة صفحه يمكنني المخاطرة بالاعتقاد أنه حتى هذا التقدم الذى أحرزه القائد باتون لم يظهر عمل المدرعات بشكل جرىء او بأنه قائد أكثر استعدادا للقيام بالغارات وأسرع في استثمار تقدمه . . ولقد قال القائد توما أن رومل كان رجل من رجال المشاه بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى وأنه لم يكن يستوعب فنون المدرعات ولكنه كان يفهم وسائل عملها فقط ( وبهذا فانه يعترف أنه كان من أبرز رجال المشاه ) .

وقد كان ينبغى على القائد فون أن يعرف ذلك حيث أنه قد حارب في مائة واثنين وتسعين ( معركة دبابات خلال الحرب الاهلية الاسبانيه فقط ، معظمها ضد المدرعات الروسية بقيادة المشير كنييف وبعد قيادة كتيبه دبابات بسرعة ومهاره في بولندا أصبح ضابط القيادة المسئول عن قوات التعبئه . . ولكن عندما — يقرأ الفرد قصة « الفرقة الشبح » لا يدهشنا أن رومل قد علمنا حيله أو حيلتين في أفريقيا عن كيفية استعمال الدبابات .

وبعد عودته من بولندا بقى في مقر قيادة الفوهرر وأسندت اليه مرة أخرى مسئولية المحافظة على أمنه . . الا أنه كان متعطشا للقيادة القتالية وكان قد عرف هتلر في تلك الفترة بشكل يسمح له بطلب ذلك أما بالنسبة لهتلر فقد كون من جانبه فكرة عن روميل بأنه ليس من أولئك الضباط المتعجرفين والذين كان يشعر نحوهم بعدم الارتياح وبالتالى كان يعاملهم بطريقة صارمه ربما لانه علم أنهم يحتقرونه فيما بين أنفسهم .

كان هتلر يتساءل : « ماذا يريدون؟ » . . . وكانت الاجابة الطبيعية « قيادة فرقة بانزر » ( فرقة الشبح ) . . وقد تولى روميل الفرقة السابعة بانزر في مدينة جود سبرج على نهر الرين في الخامس عشر فبراير ١٩٤٠م. خلفا للقائد ستوم الذى كان عليه أن يخلفه مرة أخرى عندما مات ستوم بأزمه قلبية في بداية معركة العلمين . . . وظلت السيدة روميل مع أبنها مانفرد في منزلهم في وينر نيوستاد .

وقد كان هناك وقتا كافيا أمام روميل ليعرف كل ضابط وجندى بالفرقة بنفسة وليقترب بصفة شخصية من الضباط على الاقل وذلك قبل أن يقوموا بأية تحركات وقد أستطاع في مدى شهرين من التدريب المكثف أن يجد الوقت ليعد نظرياته الخاصة بالاساليب الحربية للدبابات على الارض ولتطبيق الدروس التى تعلمها في بولندا . . . وعندما صدر الامر بالتقدم الى بلجيكا كانت الفرقة في أتم لياقة حربية كما كانت تعلم أنها تحت قيادة أحد القادة الذين اذا ما أخطأوا فان يخطىء بسبب تردده عندما يقرر الهجوم .

وفي العاشر من مايو كان قد تم عبور الجبهه على بعد حوالى ٣٠ ميل جنوب لييج . . وفي الثالث عشر من مايو كان أمام الفرقة أكبر المهام وهو ضرب أحد ممرات مدينة الميوز . . وقد قاتل البلجيكيون قتالا مريرا من منازلهم التى تحولت الى حصون دفاعية مثلما كانوا يحاربون من بعض الحصون الصغيرة . . وكانوا يقيمون مدافعهم المضادة للدبابات في مواقع مؤثرة بالاضافة الى غطاء كثيف من مدفعية الميدان . . وكان ينبغى على روميل أن يقوم – ببناء أحد الجسور تحت قصف النيران الشديده فشمر عن ساعديه ونزل حتى وسطه في المياه ليساعد في نقل كتل كبيرة من الاخشاب وقال « سأقوم بمساعدتكم » وبقى معهم حتى تأكد له أن العمل قد انتهى ولم يكن من عادة قواد الفرق المشاركه في الخطوط الامامية بالقيام بمثل هذا العمل.

الا أن تلك القصة قد أنتشر ت في وقت قصير بين جميع أفراد الفرقة فاستعاد بذلك روميل سمعته القديمة عندما لم يكن يطلب من رجاله ما لم يقم هو به بنفسه . .وعند

المساء قام الفرنسيون بهجمة مضادة فاشتبكوا مع الدبابت والمشاه الاأن هجماتهم باءت بالفشل . . وما أن حل الليل الا وكانت الدبابات الامامية مع دبابة رومل تحتل قيادة الفرقة .

وفي اليوم التالى كان رومل على وشك ان ينتهى . . فقد نزل بدبابته الى أحد الكثبان الرملية وأصبح بذلك تحت وابل النيران المضادة للدبابات . . وتعطلت الدبابة وأصيب رومل في وجهه وتقدمت القوات الفرنسية الوطنية لاسره في اللحظة التى أسرع اليه العقيد روثنبرج وهو آمر الفرقة بانزر الخامسة والعشرين والذى منح وسام الاستحقاق وصليب الفروسية خلال عملياته والذى مات بعد ذلك في روسيا تقدم اليه بدبابته وقام بالاغارة عليهم حيث لاذوا بالفرار.

وفي اليوم الخامس عشر من مايو كانت الفرقة السابعة متقدمة أمام فرقة بانزر الخامسة وتمثل الجناح الايمن لها ، وفي أثناء الليل أسر رومل حيث كان في المقدمة بطارية فرنسية عند تقدمها الى مكان يعتقده قائدها أحد خطوط الامداد والتموين .

وفي الليلة التالية اخترقت الفرقة امتداد خط ما جينو في المنطقة الحصينه غرب كلير فاى . . وكانت المواقع الخلفية المجهزه بالمدفعية والمدافع المضادة للدبابات قد تغطت بسحب كثيفه من دخان ونيران المدفعية ، كما تغطت كل القرى حتى الجناحين على نفس النحو . . وفي الساعة الحادية عشر بعد الظهر بدأ الهجوم على ضوء القمر خلف فرقة الدبابات والدراجات النارية التى تولت — القيادة . . ثم تلى ذلك بقية أفراد الفرقة . . . وكانت الاوامر العليا تنص على أن — لاينبغى للدبابات ان تطلق نيرانها أثناء تحركاتها ولم يعبأ رومل بهذا الامر وقام بتشجيع رجال دباباته على اطلاق النيران قائلا بأن عدم الإلتزام الدقيق بالامر وضياع الذخيرة تبعا لذلك يمكن تعويضها بالتأثير المعنوى في مثل هذه الظروف ، وقال « اننا سنقوم — بهجمتنا مثلما يفعل رجال الاسطول وهو اطلاق النيران المكثفة على الميناء ثم الاستداره من اليمين ، وعندما اخترقوا أفيسنس وعبروها عند منتصف الليل وتركوها وهى مازالت محتلة بالقوات الفرنسية تطلق النيران في كل اتجاه بالاضافه الى استمرار القتال في الشوارع — عندها اطلقت الدبابت الالمانية نيرانها أثناء تحركها على البطاريات التى تقبع على الجانبين . . ولقد اكتسحت أحدى الفرق الفرنسية الالية وهى تتراجع تجاه الغرب وهى على طول الطريق المزدحم بالاجئين ، كما سحقت أيضا الدبابات الواقعة على جانبى الطريق قبل ان يتمكنوا من الدخول في المعركة . . . . ولحقت المدفعية بالدبابات.
الى أفسنس أثناء الليل وأسرت ثمان وأربعين دبابة وهى مازالت جديدة لم تمس وهرب رجال المشاه الفرنسيون بعد أن القوا بسلاحهم وهم ينشرون الرعب والفزع أمامهم

أثناء الهرب. . مع أنهم لو تماسكوا لوقع الالمان في مأزق وذلك لان مدفعية دباباتهم والمدفعية المحمولة والمضادة للدبابات للفرقة المتحركة لم يكن لها أن تقوم بأى عمل في أفيسنس أمام الدبابات الثقيلة للدبابات الفرنسية .

وسألت أحدى السيدات الفرنسيات روميل وهى تربت على زراعه عندما كان يقف بجوار دبابته في أحد الشوارع الريفيه فيما وراء أفيسنس « هل أنتم انجليز ؟ . . وأجاب روميل بالفرنسية فهو ملم بقدر ما من عدة لغات مع أنه ليس من رجال اللغه لا يا سيدتى انى المانى » فصاحت السيدة وهى تلقى بردائها فوق رأسها « أوه هؤلاء البرابرة » ثم جرت لتدخل الى منزلها .

وفي نفس الوقت تعطلت كافة المواصلات حتى أن الفرقة الخاصة برجال المشاه لم تتمكن من الاختراق . . ومع ذلك أصرروميل على مسئوليته الخاصة أن يشن الهجوم الكامل بالفرقة من ناحية الغرب في محاولة للوصول الى السامبر حتى يتمكن من حماية أحد رؤس الجسور ويحتفظ به مفتوحا . . وبدأ الهجوم حوالى الساعة الخامسة والنصف صباحا « بعد ليلة كاملة من القتال » اندفعت الكتيبة بانزر الخامسة والعشرون في اتجاه لونديرسيز حيث كانت تقاتل فرقة « الحرس » في الحرب العالمية الاولى . . الأن الطوابير المتحركة تصدت لهم من ناحية الجناحين ولكن المشاه الفرنسيين رضخوا للاستسلام عند الظهور المفاجىء للمدرعات الالمانيه . . وفي حوالى الساعة السادسة صباحا كانت مدينة لوندرسيز قد احتلت وأسر اعداد كبيرة داخل ثكناتهم ، كما أحتل أحد الجسور فوق السامبر وهو بحالة سليمه ودون أى خلل به . . وأمر روميل الفرنسيين بالقاء أسلحتهم ثم أمر بمرور احدى الدبابات عليها لسحقها وتقدمت الكتيبة حتى وصلت الى « القلعه ج » التى دخلها روميل وأصبح — التقدم بعد ذلك بمجموعتين فقط من مجموعات الكتيبة مع جزء في المؤخرة وعندما اتخذت الكتيبة بانزر الخامسة والعشرون مواقعها على أحدى الهضاب شرق القلعه ذهب روميل بنفسه في احدى السيارات المصفحه ليأتى ببقية الفرقة .

وطوال اليوم كانت الكتيبة بانزر الخامسة والعشرون تهاجم بشدة بواسطة الدبابات الفرنسية . . وفي المنطقة الخلفية أعاد الفرنسيون احتلال بومبرديل الا أن الفرقة تمكنت من ردهم عنها ثانية أثناء تقدمها . . وفي مساء السابع عشر من مايو كان الموقع قد تطهر تماما بما يسمح لمدفعية الفرقة من التقدم للمواقع الامامية واحتل أحد الجسور الاخرى فوق السامبر عند منطقة برليمونت ، مما مكن الفرقة بانزر الخامسة التى أصبحت في المقدمة أن تتقدم وتعبر من الناحية اليمنى .

واذا ما نظر المرء الى الخريطة فانه سيلاحظ أن رومل قد تقدم في خط ضيق بطول حوالى ثلاثون ميلا وعرض ميلين وكان هذا الخط يشبه أصبعا يشير الى قلب فرنسا « وكانت المسافة من أفيسنس الى القلعة فقط حوالى خمسة عشر ميلا » وكان روما بهذا قد قام بمخاطرة كبيرة لانه كانت هناك قوات فرنسيه قريبة تحاصر جناحيه الا أنه قد قام باختراق المنطقة المحاصرة وأنقذ بذلك خط العبور الجنوبى للسامبر ، وكان لهذه العملية تقدير كبير لما لها من أهمية كبيرة في امكانية تقدم الحملة وقد منح روما وسام صليب الفروسية لنجاحه وشجاعته الذاتية .

ويمكن لنا أن نتبين مدى هذا الاداء البطولى عندما نعلم أن كل الخسائر الاجمالية للفرقة كانت عبارة عن خمس وثلاثون قتيلا ، وتسعة وخمسون جريحا فقط بينما امكنها أسر أكثر من عشرة آلاف أسير في يومين كما احتلت وقامت بتحطيم مائه دبابة وثلاثين عربة مدرعة وسبع وعشرون مدفعا .

وبالرغم من صعوبة الحصول على البنزين كما كانت دبابات العدو تطلق نيرانها على جناحى الفرقة ، تمكنت الفرقة الخامسة بانز من التقدم بنفس السرعة ، وفي الخامسة من صباح يوم العشرين من مايو عندما مرت بمدينة كامبراى كانت قد عبرت قناة فورد في ماركوينج واحتلت احد المواقع جنوب الاراس . .وفي الطريق تمكنت من أسر عدد كبير من القوات الفرنسية وهم يقبعون في ثكناتهم مرة أخرى . . وكان معظم رجال الفرقة قد تركوا على مسافة بعيدة ، وكان على روما أن يعود مرة أخرى كى يأتى بهم وكان معه اثنتين من الدبابات وطاقم الاشارة الخاص به وعربة مصفحة . . وفي طريقه الى آراس كامبراى فاجأته قوات العدو وتحطمت دبابتيه وحوصر لعدة ساعات.

وكان للقتال حول الاراس في اليوم الواحد والعشرين من مايو اهمية كبيرة حيث كانت هذه المنطقة هى التى أطلق فيها روما نيرانه على القوات البريطانية لاول مرة في كلا الحربين . . ومما يبعث على السرور أن يسجل روما أنه قد وجد هذه القوات من أقوى الفرق التى واجهها من قبل . وعند خروجه من منطقة الاراس في اتجاه الجنوب والجنوب الشرقى هاجمته كتيبة المدرعات التابعة للفرقة المدرعة بالجيش الاول حول اكيدرن واجنى . . وقد تمكنت من سحق فرقته الثانية والاربعين المضادة للدبابات وقتل كل اطقم المدافع وذلك لأن الالمان قد فوجئوا بعدم قدرتهم على اختراق طابور الدبابات الذى كان في المدى القريب للنيران . . وقد توقف الهجوم بنيران المدفعية من احدى كتائب المدفعية ومن احدى بطاريات المدفعية المضادة للطائرات بمدافعها من عيار ٨٨ مليمتر وهو سلاح كان بلا شك أحد المفاجآت البغيضة لنا . .

ومع ذلك فقد استدعى ستوكاس قبل أن تنسحب المدرعات البريطانية مرة أخرى الى الاراس .

وفي نفس الوقت أمر رومل الكتيبة بانزر الخامسة والعشرين التى تقدمت كالعادة حتى وصلت الى المرتفعات جنوب منطقة اسكارب كى تعود لمهاجمة الدبابات البريطانية في المؤخرة . . وفي معركة الدبابات التى تلت ذلك بالقرب من منطقة آجنس فقدت الكتيبة الخامسة والعشرين ثلاث دبابات من طراز مارك الرابع ، وستة من طراز مارك الثالث وبعض الدبابات الخفيفة وبالرغم من أن البريطانيين قد فقدوا سبع دبابات وستة مدافع مضادة للدبابات فان المحصلة كانت أسوأ ما حدث . . واضطر رومل الى القتال الدفاعى حيث وقع في مأزق عندما قتل أحد الضباط والذى كان بجانبه يمسكان باحدى الخرائط لتصفحها .

ومما أكد أن هذا اليوم كان يوما عصيبا حقيقة أن الفرقة قد فقدت مائتين وخمسين رجل ما بين قتيل وأسير فقط بينما محصلة الأسرى البريطانيين لم تزد على خمسين بالرغم من أن الفرقة قد ادعت أنها قد قامت بتحطيم ثلاثا وأربعين دبابة بريطانية .

وكانت الايام القلائل التالية عصيبة هى الأخرى . . فقد عبرت الفرقة منطقة اسكارب في الثانى والعشرين من مايو الا أن السجلات اليومية قد أثبتت أن هجمات الدبابات البريطانية قد أمكن سحقها بصعوبة بالغة وأن الالغام قد زرعت في طريقها وأن مدينة مونت سانت الوى قد أسرت ثم فقدت ثم احتلت مرة أخرى وهكذا . . وفي طريق تقدمها الى قناة لاباس في اليوم الرابع والعشرين كان القناصة البريطانيون في أوج نشاطهم بين الشجيرات والاعشاب جنوب القناة لذا كان من الصعب القضاء عليهم . . وبالرغم من وجود هؤلاء القناصة فقد أمكن حماية رؤوس الجسور على كلا جانبى منطقة جوينشى في اليوم السادس والعشرين حيث عبرتها أول مجموعة دبابات والمدافع في اليوم السابع والعشرين . . وفي اليوم الثامن والعشرين كانت الفرقة قد اتخذت مواقعها على طول خط المواجهة للمنطقة الشرقية في اتجاه مدينة للى ،وفي اليوم التاسع والعشرين صدرت الاوامر للفرقة للراحة غرب منطقة الاراس . . وقد احتفل رومل بأول أيام فترة الراحة بعد اسبوعين من القتال المستمر باستكشاف منطقة للى حيث ركب سيارته اليها اشباعا لحب استطلاعه المألوف . . وعندما رأى أن الشوارع كانت ملأى بالجنود البريطانيين والفرنسيين أدرك بأنه قد وقع في خطأ كبير . . وبما أنهم قد فوجئوا به كما فوجىء بهم الا أنه بعد ثانية واحدة أو ثانيتين استطاع أن يستدير بسيارته ويجرى هاربا قبل أن يتمكن أحد من التفكير في التعامل معه على وجه السرعة . . واذا ما قمنا باحصاء عدد المرات المسجلة والتى استطاع فيها النجاة من الموت أو الأسر

خلال تلك الفترة ، فضلا عن المخاطرة العادية التى يتعرض لها أى قائد فرقة يصر على قيادة مجموعة الحراسة المتقدمة لفرقته شخصيا أثناء تعاملها مع العدو ، فان المرء يشعر بأننا كنا أقل تعاسة عندما أفزعنا أورين روممل في أفريقيا .

وفي مدى أيام قليلة صدرت الاوامر للفرقة أن تنهى فترة راحتها مرة أخرى لتؤدى مهمة خاصة وكانت النهاية تلوح في الافق . . وكانت القوات الفرنسية على وشك أن تخرج من الحرب أما البريطانية فقد طردت بالفعل من فرنسا . . وبين التاسع والعشرين من مايو والرابع من يونيو شن أكثر من ثلاث مائة ألف رجل من القوات البريطانية هجوما على دانكرك بفضل رفض هتلر للسماح للمدرعات الالمانية بالتصدى لهم . . وهناك لقيت فرقة الجبال الواحدة والخمسين التى رست على الارض متأخرة وكان عليها في ذلك الوقت أن تعود عن طريق البحر مرة أخرى من فيكامب آند سانت فالليرى . . وكانت مهمة روممل ايقافها فكان عليه أولا أن يعبر السوم ويخترق ما تبقى من خط ويجن .

وكان روممل في سباق مع الزمن ولم يضيع أى منه — فبعدما قام باستكشاف شخصى مع باقى قواد الفرقة والكتيبة عبر السوم في صباح السادس من يونيو ، وقد واجه في ذلك اليوم واليوم الذى تلاه مقاومة لم يكن أمامه إلا أن ينظم الهجمات حتى يتمكن من القضاء عليها وبعد ذلك توجه في حينه شرق روين وهامته في السماء .

وتحركت الفرقة ليلا وعندما قعقعت الدبابات وخشخشت أصواتها بين القرى الساكنة هلل الفلاحون الفرنسيون في وجوه الالمان متمنين لهم حظا سعيدا حيث كانوا يعتقدون أنهم بريطانيين واستمر الالمانيون في سيرهم ليحولوا دون الدخول مع الاهالى في حديث . . وفي ليلة التاسع من يونيو وصلوا الى السين وهو على بعد عشر أميال جنوب غرب الروين . . وفي صباح اليوم التالى ارتفعت الروح المعنوية حتى امكنهم الاعداد لمعركة عند يفتوت . . وكانت المقاومة شديدة . . وفي الساعة الثانية وخمسة عشر دقيقة بعد الظهر كانت الفرقة قد قطعت العشرين ميلا من يافتت حتى بيولت ووصلت الى البحر بين فيكام وسانت فيلارى وكانت قد أحكمت قبضتها كما كانت مدفعية الفرقة في مكان متميز في المقدمة .

وفي منطقة فيكانت كانت عملية الشحن تسير على قدم وساق وكانت السفن راسية في عرض البحر في حماية المدمرة عندما ظهرت الفرقة بانزر السابعة والثلاثين تدعمها المدفعية وتعاملت معهم . . فتقدمت مدمرة بريطانية للاشتباك وقد ثبت من التقرير انها اصيبت في هذا الاشتباك كما حدث نفس الشيء الى البوارج الاخرى ، وظل الميناء

الصغير تحت وطأة نيران المدفعية الثقيلة . . . وفي مثل هذه الظروف فان مسألة تعبئة السفن في ضوء النهار شيء مستحيل .

وكان موقع سانت فاليرى هو الجائزة الفعلية لان في هذا الموقع كان مقر قيادة اللواء فورتشن وهو آمر الفرقة الواحد والخمسين — كما كان الموقع أيضا هو المكان الذى كانت تعد فيه معظم أفراد الفرقة نفسها للاقلاع . . وفي أثناء ليلة العاشر من يونيو صبيحة اليوم الحادى عشر احتل رومل منطقة مرتفعة الى الغرب التى أمكنه منها أن يطلق نيران مدفعيته على الميناء وفي الساعة الثالثة والنصف من مساء نفس اليوم قاد بنفسه الكتيبة الخامسة والعشرين بانزر مع جزء من كتيبة المشاه السادسه للهجوم تحت غطاء من المدفعية .

وفي العام المنصرم على مأدبة العشاء للفرقة الواحد والخمسين قال المشير اللورد مونتجمرى أنه كان يحس وهو في الفرقة عند العلمين بأنه يتوق لعمل مجيد يمكنه من ان ينتقم لمأساة سانت فاليرى وأنه في هذه الموقعة كانت فرقة الجبال التى أعيد تكوينها قد وجدت نفسها أخيرا وهى تتقدم للهجوم على أنغام فرقة موسيقى الغرب . . وبالرغم من أن موقعة سانت فاليرى كانت أحدى المآسى لؤلئك الذين أتوا بعد ذلك من أبناء العم هاربر في فترة الحرب ما بين عام ١٩١٤م الى عام ١٩١٨م ومن حق الفرقة أن تدعى أن أعدائها من الفرقة السابعة بانزر لم يكونوا تحت تأثير فقد الروح القتالية أو المعنويات في تلك الأيام من شهر يونيو سنة ١٩٤٠ وتقول الوقائع « ان العدو كان يرد الهجمات بشكل مستميت بالمدفعية أو المدفعية المضادة للدبابات . . وفي النهاية بالمدفعية الالية والاسلحة الصغيرة . . وكان هناك قتال عنيف بصفة خاصة حول منطقة ولوتت وفي طريق سانت سيلفين سانت فاليرى » وكان هذا الذى قدمته المدرعات البريطانية حول منطقة الاراس من بين العوائق القليلة جدا التى اعترفت الفرقة بأنها قد واجهت فيها قتالا ضاريا .

وعند المساء كان رومل قد أسر حوالى ألف أسير والاهم من ذلك أنه قد أصبح في موقع هام يسيطر على غرب سانت فاليرى يمكن له منه أن تقوم مدافعه بمنع أى شحنات من الميناء . . ومع ذلك فقد استمر القتال شديدا عند المساء ، فصدر الامر لفرقتى المقدمة ومن بعدها بقية الفرقة للقيام بالمساعدة في القتال ورفض طلب رومل الكتابى الى القائد فورتشن بالانسحاب والسير بالفرقة الواحدة والخمسين تحت الاعلام البيضاء الى جهة الغرب واستطاع الالمان مشاهدة المتاريس وهى تقام على حواجز الامواج بالميناء وأن المدافع والرشاشات كانت توضع في مواقعها .

وعند الساعة التاسعة مساء بدأ القصف الشديد بالقنابل ثم تلا ذلك نيران مركزة من جميع أطقم المدفعية الخفيفة والثقيلة للفرقة على الجزء الشمالى من سانت فاليرى والميناء واسقطت ألفين وخمسمائة قذيفة على هذه المساحة الصغيرة . . وفي نفس الوقت اشتركت في الهجوم الكتيبة بانزر الخامسة والعشرين مع كتيبة المشاه السابقة وفرقة الاستطلاع السابعة والثلاثين . . وتقدمت الخطوط بالقرب من سانت فاليرى . . ولكن « بالرغم من النيران الشديدة فان القوات البريطانية العنيدة لم تستسلم . . وقد كانوا يأملون بالرحيل خلال الليل إلا أن العدو منع من الشحن بسبب المدفعية ، وفي ساعات الصباح الاولى كانت القوات البريطانية تحاول بكل الطرق أن تقوم بالابحار من الساحل المنحدر ناحية الشرق من سانت فاليرى تحت ستار من نيران المدمرات — الا أن فرق المدفعية قد حالت دون ذلك في البداية ثم جعلته مستحيلا في النهاية . وكان هناك قتال بين المدمرة واحدى بطاريات الميدان المضادة للطيارات عيار مدفعيتها ٨٨ مليمتر . . . . . هاجمت فرقة الرشاشات الخامسة . . . . ثم هجوم بعض قوات الكتيبتين السادسة والسابعة مشاه فتم احراز بعض التقدم وكسب مزيد من الاراضى بالقرب من سانت فاليرى. . . . ومن الناحية اليسرى اندفع روميل مع الكتيبة بانزر الخامسة والعشرين التى يقودها العقيد روثنبرج مع جزء من الكتيبة السابعة مشاه الى سانت فاليرى نفسها واضطرها للتسليم عندما رأى قائد العدو أن المزيد من المقاومة شيء مستحيل .

وأسر اثنى عشر ألف أسير في سانت فاليرى كان منهم ثمانية آلاف من البريطانيين كما كانوا يشتملون على قادة فيلق الجيش الفرنسى التاسع وثلاثة من الفرق الفرنسية بالاضافة الى الفريق أول فورتشن نفسه كما تم الاستيلاء على ثمانية وخمسون دبابة وست وخمسين مدفع وسبعة عشر مدفع مضاد للطائرات واثنان وعشرون مدفع مضاد للدبابات وثلاثمائة وثمانية وستون رشاش وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون بندقية ( علاوة على ذلك ما كان بالميناء من البنادق ) بالاضافة الى ألف ومائة وثلاثة وثلاثين شحنة . . وقد ادعت مدفعية الفرقة أن طرادا مدرعا قد غرق كضحية غير متوقعة لاحدى فرق البانزر الا أن القوات البحرية قد نصحتنى أن هذا ادعاء ليس له ما يبرره.

ولم ينس اللواء فورتشن وكان دائما ما يتحدث عنه لزوجته وابنه مانفريد بتعاطف شديد على أنه القائد الشجاع لاحدى الفرق القوية الذى صادفهم سوء الحظ . . وقد تصادف أن سمع بطريقة ما أن اللواء فرتشن قد رفض أن يعاد الى وطنه حيث كان يشعر أنه يستطيع أن يقدم الكثير لضباطه وجنوده من رجال الفرقة الواحدة والخمسين اذا ما ظل بينهم في الاسر وقد زاد هذا من احترام روميل له . . وقد ظهر أن اللواء

فورتشن نفسه أيضا كان دائما ما يذكر روميل . . ومنذ فترة غير طويلة كان هناك أسير الماني أعيد من جزر القنال وجيء به الى هارلنجتن لكى يرى السيدة روميل وليقول أنه قد قابل القائد فورتشن وأنه طلب منه زيارتها ويعبر عن تعازى القائد لها لوفاة زوجها اذا ما أمكن ذلك ، ولم اتمكن من التحقق من مدى صحة هذه الرواية من الفريق فورتشن قبل وفاته الا أنه يبدو أنها كانت صحيحة حيث أنه ليس من السهل على جندى المانى أن يختلق مثل هذه القصة . . وأنى لامل أن تكون حقيقة فأنا من هؤلاء الاشخاص من الطراز القديم الذين يأسفون على الابطال والفرسان ويعتبرون ان خسارتهم من بين الخسارة الكلية للحرب ولحسن الحظ أن روح الفروسية لم تنتهى وما زالت تزدهر في أماكن غير متوقعة كما سيظهر في جزء تال من هذا الكتاب .

وقد تم استسلام سانت فاليرى فى اليوم الثانى عشر من يونيو . . وفي اليوم السابع عشر من يونيو وهو اليوم الذى طلب فيه بيتسان الهدنة بعد ثلاثة أيام من دخول الالمان لباريس. وكانت الفرقة بانزر السابعة تتقدم عبر شبه جزيرة الكونتنتين لمهاجمة تشير بورج . . فتحرك أحد الطوابير على الساحل خلال كاوتنس ، كما تحرك آخر خلال سانت لو وهو اسم لم يعرفه على الخريطة الا القليل رغم أنه يعتبر الان اسما مألوفا لعديد من الامريكيين مثل مدينة ديزويد . . ودون أية مساعدة استطاعت الفرقة التقدم لمسافة مائة وخمسون ميلاولم تصادفها أية مقاومة تذكر الا أنه قبل منتصف الليل بقليل في اليوم السابع عشر قامت بقصف موقعا فرنسيا قويا عند لوفسس الا أن الفرقة عادت ادراجها بسبب النيران الشديدة من المدفعية والمدافع المضادة للدبابات. . وكان هنا للمرة الثانية أحد الرجال الفرنسيين المجهولين مازالت روح القتال تسرى في عروقه .

وقرر روميل بطبيعة القائد الحذر خاصة عندما لا يكون هناك أية دواعى للمخاطرة أن يؤجل الاشتباك ويستأنفه في ضوء النهار ، عندما يمكنه تقدير قوة خصمه وفي الوقت نفسه أمر بتحريك قوة مشاه وكتيبة مدفعية مع بعض البطاريات ذات المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة والثقيلة وعند الساعة الثامنة صباحا اخترق صفوفهم واستأنف تقدمه الى تشيربورج . وفي الساعة الواحدة والربع عندما أصبح على مسافة ثلاثة أميال فقط جنوب غرب المدينة فوجىء بعوائق في الطريق محصنة تحصينا قويا . . وفي نفس الوقت بدأت نيران المدفعية الثقيلة تقصف من هذه المواقع . . ومع ذلك فعند الساعة الخامسة مساء احتل الموقع رقم تسعة وسبعون غرب تشيربورج وفي فترة المساء احتلت كتيبة المشاه السابعة بقيادة العقيد فون بسمارك مع مجموعتين من البانزر المنطقة المرتفعة آت كيركيفيل ثم تقدمت الى بقية ضواحى المدينة وقبل منتصف الليل وصلت هذه القوات الى محطة السكة الحديد .

وأثناء الليل انتقلت مدفعية الفرقة لبداية قصف تلك الحصون في صباح اليوم التالى . . وقد فتحت نيرانها عند أول ضوء وتمكنت من أسكات أكثر هذه الحصون شغبا ، بينما تقدمت المشاه لمسافات أبعد داخل أطراف المدينة .

وقد اطلق على اللواء كولنز من الفيلق السابع للولايات المتحدة « جو الخاطف» لانه قام باحتلال تشيربورج في مدى عشرين يوما بعد أن وطيء أرض نورماندى ومع هذا فكان عليه أن يقاتل من أجلها . . ولم يكن هناك قتال للضباط الفرنسيين الكبار الذين كانوا في شيربورج في يونيو ١٩٤٠م ، ومما يدعوا للشفقة أن نعتقد أنهم كانوا يعلمون أى شيء عن طلب بيتان للهدنه والا فليس هناك عذرا بأنهم قد استسلموا لحصونهم مع ثلاثين ألف رجل لفرقة مدرعة واحدة بعد اثنى عشر ساعة من دخولها من منطقة مدفعيتها الحصينة .

وهذا ما حدث فعند الساعة الثانية من مساء التاسع عشر من يونيو خرج الضباط العسكريين وضباط الاسطول الفرنسى ليعرضوا استسلاما غير مشروط وأوقف القتال ، وعند الساعة الخامسة من بعد الظهر وقعت الوثيقة الرسمية للاستسلام وفي الميناء كانت هناك أحدى مركبات للفرقة الالية البريطانية وهى بحالة سليمة دون أى تلفيات.

وانسحبت الفرقة قبل أن تتسلم زمام الامور وتحصى الأسلحة في الحصون . لكنها قامت بأسر ما يلى في العمليات من بداية العاشر من مايو :

١ قائد الاسطول الفرنسى « نورث»
٤ قادة بحريين آخرين
١ قائد فيالق .
٤ قادة فرق بهيئة ضباطهم

٢٧٧ مدفع
٦٤ مدفع مضاد للدبابات
٤٥٨ دبابة وعربة مصفحة .

من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ شاحنة
،، ١٥٠٠ ،، ٢٠٠٠ سيارة
،، ١٥٠٠ ،، ٢٠٠٠ عربة تجرها الخيول والبغال
،، ٣٠٠ ،، ٤٠٠ حافلة
،، ٣٠٠ ،، ٤٠٠ دراجة نارية

كما كان معظم الاسرى البالغ عددهم ٩٧٤٦٨ أسير تضاف الى المجموعة التى تتبعها . . كما اسقطت ٥٢ طائرة كما استولت على ١٥ طيارة أخرى وهى جاثمة على الأرض وحطمت اثنى عشر طائرة أخرى .

ولقد كانت هناك غنائم أخرى لا يمكن حصرها لان الفرقة قد انتقلت بسرعة كبيرة . . كما لم يكن هناك متسع من الوقت لحصر الخسائر في القتلى والجرحى التى تكبدها العدو ولو بشكل تقريبى . أما خسائرها خلال تلك الفترة فقد كانت ثمانية وأربعون ضابط قتيل ، سبعة وسبعون جريح ومائة وثمانية رقيب وثلاثمائة وسبعة عشر جريح ، وخمسمائة وستة وعشرون قتيل من رتب أخرى ، والف ومائتان اثنان وخمسون جريح وثلاثة ضباط ، ٣٤ عريف وأكثر من مائتان تسع وعشرون من رتب أخرى في عداد المفقودين .

ولقد فقدت من الدبابات ثلاثة من طراز مارك واحد وخمسة من طراز مارك اثنين ، وستة وعشرون من طراز مارك ٣ ، ثمانية من طراز مارك أربعة .

وتعتبر أرقام الخسائر في الارواح والدبابات ضئيلة اذا ما قورنت بالانجازات التى تمت . . وفي نفس الوقت فاذا ما وضع المرء في اعتباره أن روميل كان دائما شديد الشح بحياة الرجال نجد أن هذه أرقام جديرة بالاهمال . . فهى تبرهن على أن الفرقة قد قامت بقتال مرير ولم تكن المسألة مجرد مطاردة عدو مهزوم عبر فرنسا .

## الفصـــل الخامس

## ( لاأحد أعمى الى هذا الحد )

## أو

## ( ليس هناك من بهذه الغفلة )

ان روح الخير التي ترعى البريطانيين كان عليها أن تضاعف الجهد في عام ١٩٤٠م .. وبالرغم من وجود النائب البريطانى مستر تشيرشل فلم تؤد لهم عمل أحسن من ما قامت به عندما رأت أن الفرنسيين لم يستمروا في حربهم في شمال أفريقيا . . ولو كانوا قد فعلوا ذلك لاقتفى هتلر أثرهم . . ولتدخلت أسبانيا أو اضطرت لان تسمح للقوات الالمانية بالمرور . . ولسقط جبل طارق . . ولاقفل الجزء الغربى للبحر الابيض المتوسط. . ولم يكن من المتيسر للقوات الفرنسية المحتلة أن تقف في وجه المدرعات الالمانية . . وحتى ذلك الجبان جرازيانى كان يمكن أن يخرج من مأمنه ليشق طريقه نحو القاهرة في أيام عيد الميلاد اذا ما أيدته فرقتين من فرق بانزر الالمانية . . ولضاعت القاعدة البريطانية الاخيرة المؤثرة داخل المدى الضارب لأوربا . . كما أن فقد قناة السويس كان يمكن أن يسبب اغلاق الطرف الاخر للبحر الابيض المتوسط. . وكان الطريق سيصبح مفتوحا الى سوريا والعراق وايران وكل منطقة القوقاز. . وبالنسبة لتركيا فقد كان يمكن أن تقع في مأزق كبير أو أن تضطر الى الانضمام الى المحور. . تلك كانت آراء علماء أكثر مني خبرة في فنون الحرب. . ولو كان نصف ذلك فقط قد تحقق لخرجت هذه الروح الخيرة بكلتا يديها مملوءتين.

وقد كان رجال الاسطول الالمانى فقط هم الذين أدركوا ادراكا كاملا هذه الاحتمالات البراقة . . فقد اقترح الادميرال البحرى رادر دون أى تقدير لعملية « بحر الاسد البريطانى » وهى عملية الهجوم على بريطانيا في السادس من سبتمبر سنة ١٩٤٠م فقد وجدوا أن الطريقة المثلى لهزيمة بريطانيا هى عزلها عن البحر الابيض المتوسط . . وفي السادس والعشرين من سبتمبر كان الادميرال أكثر وضوحا فقال « أن البريطانيين دائما ما كانوا يعتبرون أن البحر الابيض هو محور لامبراطوريتهم العالمية . . . . . . . . وسريعا ما ستصبح ايطاليا الهدف الاساسى لهجماتهم . . . . . . وأن بريطانيا دائما ما ستحاول خنق الضعفاء وأن الايطاليين لم يدركوا بعد خطورة موقفهم عندما رفضوا مساعدتنا . . . . . . . . ولهذا السبب فان مشكلة البحر الابيض لا بد أن تنتهى خلال شهور الشتاء . و لا بد من احتلال جبل طارق . . . . . وكذلك

قناة السويس. ومن غير المؤكد امكانية انجاز كل هذه المهام بواسطة الايطاليين وحدهم حيث لا بد من مساعدة القوات الالمانية . ومن الضرورى أيضا تقدم القوات من السويس عبر فلسطين وسوريا حتى حدود تركيا . . واذا ما وصلنا الى هذه البقعة ستصبح تركيا في قبضتنا . . وستظهر مشكلة روسيا على ضوء مختلف . . فان روسيا تخشى المانيا بادىء ذى بدء . . وليس من المؤكد ما اذا كان التقدم ضد روسيا من جهة الشمال سيكون من الضرورة بمكان . . . . . . وبالنسبة لمسألة جنوب غرب غرب أفريقيا فهى مسألة لها أهمية بالغة . . فكل الدلائل تشير الى أن بريطانيا بمساعدة فرنسا الديجولية وربما معها أمريكا أيضا تود أن تجعل من هذه المنطقة وكر للمقاومة ولاقامة القواعد الجوية لشن الهجمات ضد ايطاليا . . . . وبهذه الطريقة يمكن أن تهزم ايطاليا » واذا ما تسنى للقائد البحرى رادر ان يزور أطلال هتلر ، وكيتل وجودل فسوف يلقى اليهم بتحياته قائلا : « حذارى ان تقولوا أننى لم أخبركم ».

وقد أضافت محاضر الجلسة قوله « ان الفوهرر يوافق على الخطوط العريضة للفكرة ». اذا لماذا لم نتابعها حتى النهاية ؟ . . أولا : لم يكن واسع الافق . . ثانيا : أنه لم يكن معتقدا تمام الاعتقاد أنه لن يكون عند بريطانيا استعداد للتفاهم حتى نهاية صيف عام عام ١٩٤٠م . . ثالثا : واذا ما تمسكت بالعناد فانه كان يأمل أن « يجر فرانكو الى فلك التحالف ضد بريطانيا » كما جاء في تقرير سيانو بعد اجتماع برنر في الرابع من أكتوبر . . وأخيرا كانت النحلة الروسية تطن في رأسه قرب نهاية سبتمبر . . وكانت أولى تلك العوائق هى عجزه الذى شاركه فيه المشير كيتل والعقيد جودل والعقيد هولدر وهم مستشاريه العسكريين أما ثانيها فكان وهما خاصا حاول مستر تشيرشل جهده لتبديده . وقد كان يمكنه الحيلولة دون وقوع الضربة التى وقعت على الفرنسيين اذا ما عقد سلاما سريعا . . وقد كان يمكن لأغلبية الفرنسيين أن يستقروا ولو على الاقل بصفة مؤقتة بقبول الهيمنة الالمانية على أوروبا . . ولم يكن هناك أية مشاعر عدائية ضد الجيش الالمانى بل على العكس فقد كان ينظر اليه باعجاب يحسد عليه . . واليوم يحتفظ حتى القدماء من الذين اشتركوا في المقاومة بعدائهم لكل من ( أ ) دارنرد وزملاءه ( ب ) البوليس السرى النازى ( ج ) ـ القوات الخاصة . . وكان الجيش الالمانى هو أسوء عامل من العوامل الاربعة . . وكان التعبير الفرنسى الذى يقول » لا يمكن القول أن هؤلاء القادة ليست لديهم القدرة الكافية » ما زال يقال في ذلك الجزء من فرنسا الذى أكتب فيه هذه المقالة وكان سلوكهم مستحبا بالمقارنة بسلوك المتحررين الامريكيين . . أما عن آخر خطأ قاتل فلم يكن له أى علاج الا الشتاء الروسى والجيش الاحمر .

ولم ينس هتلر شمال افريقيا تماما بالرغم من انشغاله بروسيا . . وقد بذل ترن تروب مجهودات مكثفة لجر فرنسا للحرب وقد أعدت خطة لاحتلال جبل طارق سميت « بعملية فلكس » وكان مشروع جورنج المفضل بالاقتحام الثلاثى للمغرب وتيبودتانيا والبلقان كان يشكل ضغطا عن طريق مؤلفة مما يمكن وضعه في الاعتبار على أقل تقدير . . وعلاوة على ذلك بالرغم من عدم معرفتنا ذلك في حينه فان الجنرال فون توما وهو رئيس قوات التعبئة في مقر قيادة الجيش قد بعث به في شهر أكتوبر لمقابلة القائد جرازيانى ومناقشة امكانية ارسال القوات الالمانية الى ليبيا . . وكتب الى جنرال فون توما معترضا على الاقتراح الذى قال عنه انه قرار سياسى بصفة أساسية ليؤكد أن موسيلينى لم يغير من تحالفه مع أى جانب ضد آخر . . وكان رأيه ان ليس أقل من قوة مكونة من أربع فرق بانزر يمكن أن تكون لها قوة مؤثرة وأن هذه القوات يمكن عليها بصعوبة اذا كان لذلك أن يكون امام القوة البحرية وأن هذه القوات لا بد من أن تحل محل الايطاليين . . وقد عارض كل من جرازيانى وبادليو لمثل هذا التعبير والحقيقة أنهم لم يكونوا يريدون القوات الالمانية على الاطلاق .

وقد أضاف القائد فون توما أن المسرح الافريقى هو المكان المناسب الوحيد لذلك النوع من الحروب الذى قام بتنفيذه القائد ليتوثوريك في شرق أفريقيا خلال الحرب العالمية الاولى . . وقد ادعى أن المشير فون بروشتش والعقيد هولدر وهو رئيس أركانه قد وافقا معه ضد ارسال القوات الالمانية الى أفريقيا وهو ما كان محتملا . . وقد عارض الاثنان خطة فون مانستين في إختراق فرنسا من خلال غابات الاردنز بدلا من الاختراق من خلال البلاد المنخفضة وقد رفض هتلر نفوذه عليهما وفقد هتلر أعصابه ويشعر فون توما أن سبب ذلك أنه لم يبعث به الى أفريقيا كقائد الا عندما يخسر الحرب هناك ( وقد كان وصوله الى العلمين في ٢٠ سبتمبر ١٩٤٢م حيث أسر ) ويعتبر ذلك نكاية في هتلر .

ولا يبدو أنه قد خطر له حتى بعد انهاء الحرب اذا ما كانت دوافع هتلر سياسية أو عسكرية ، وقد كان على صواب هو وفون بروشتش ، أما هولدر وفون فقد كانا على خطأ . . ومما لا شك فيه أن هتلر كان يفرض نفوذه على مستشاريه العسكريين مما جعل القائد فون توما يفخر بأنه استطاع أن يلفت نظره ان خبرته الكبيرة في أسبانيا مكنته من أن يعلم أن القوات ــ الايطالية ليست لها أية قيمة عسكرية وأن جنديا واحدا من البريطانيين هو خير من اثنى عشر جنديا ايطاليا ، وأن الايطاليين يمكن أن يكونوا عمالا مهرة الا أنهم لا يمكن أن يكونوا جنودا محاربين : فهم لا يألفون الضجيج وهكذا . . . الخ . . . . تلك النصائح التى أشار بها عليه ولم يكن هناك غير القائد

فون توما الذى يمكنه أن يفترض أن القائد وافل هو الذى يجرؤ على الهجوم على مثل تلك القوة الكبيرة التفوق او أن جيش جرازيانى يمكن أن يتعثر بالكيفية والسرعة التى حدثت؟ .

وعندما ضاعت أول فرصة ذهبية بالفعل وانهزم جرازيانى بدأ هتلر في التحرك . . فبعد أن قدم لموسولينى الوحدات الالمانية المضادة للدبابات بعد سقوط سيدى برانى مقترحا ( وهو أمر دقيق من أحد الدكتاتوريين الى ديكتاتور آخر ) وضع القوات الايطالية تحت امرة القيادة الالمانية استيقظ تماما على احتلال البردى وأمر رئيس اركانه أنه مخول باتخاذ كل القرارات التى تمكنه من أن يحول دون فقدان شمال افريقيا . . . . . فأرسل اليه بالأمر « ان الفوهرر ليعد على تدعيم الايطاليين. ويجب نقل التشكيلات الالمانية باقصى سرعة ممكنة ، على أن تكون مجهزة بالمدفعية المضادة للدبابات والالغام ، والمدفعية الثقيلة و الخفيفة والمضادة للطائرات والمدرعات الثقيلة . . . . مع ضرورة ارسال الاجهزة عن طريق البحر ، والمحاربون عن طريق الجو . . . . . . . و أن لا تنتقل الوحدات حتى منتصف فبراير ثم تبقى لفترة خمسة أسابيع أخرى من وقت شحن هذه الأجهزة .

وفي أحد المؤتمرات بين هتلر وموسيلينى وكبار معاونيهم في التاسع عشر والعشرين من يناير قرر الايطاليون أنهم سيجعلون فرقهم الثلاثة في طرابلس على أتم الاستعدادات وسينقلون فرقة مدرعة بالاضافة الى فرقة متحركة من ايطاليا على أن يكتمل التحرك في حوالى العشرين من فبراير « وقد رحبوا كثيرا بارسال الفرقة الخامسة الالمانية خفيفة الحركة » . وقد كان من المقرر أن يتم التحرك فيما بين الخامس عشر من فبراير والعشرون منه . أما بالنسبة للمعدات فكان من المقرر شحنها في وقت سابق على هذا التاريخ . . وفي أحد المؤتمرات المحلية الاخرى في الثالث من فبراير أخبر هتلر هيئة قيادة الجيش بأن « فقد شمال أفريقيا يمكن أن يقاوم عسكريا الا أنه ينبغى أن يكون له تأثير نفسى قوى على ايطاليا . . وان بريطانيا يمكن أن توجه مسدسها صوب رأس ايطاليا . . . وأن القوات البريطانية في البحر الابيض المتوسط يمكن أن لا تقف مكتوفة الايدى . . وأنه سيكون للبريطانيين الحرية في استغلال اثنتى عشر فرقة في سوريا يمكن أن يستخدموها بطريقة تشكل خطرا كبيرا » ، وعلينا أن نبذل أقصى جهودنا للحيلولة دون ذلك . . . . وينبغى علينا أن نقوم بمساندة مؤثرة في شمال أفريقيا » وكان على الطائرات من طراز لوفت وافي التى صدرت لها الاوامر بمساندة الايطاليين ان تتدخل بشكل أكثر ايجابية مع الطائرات من طراز ستوكاس ومجموعة من الطائرات المقاتلة كى تقصف القوات البريطانية في شحنات مستعملة القنابل الثقيلة . .

وكان عليها أن تعمل بالتعاون مع القوات الجوية الايطالية لحماية عمليات » النقل والتعطيل الامدادات البريطانية البحرية والبرية ولمقاتلة الاسطول البريطانى . الا أن اولى هذه المحاولات يجب أن تجرى لاحتلال القاعدة الجوية في مالطا .

وقال هتلر انه حتى اذا كان هذا التدخل كافيا لتجميد تقدم البريطانيين فان « وحدة الاعتراض » وهى الفرقة الخامسة الخفيفة ما زالت غير كافية وتجب تدعيمها بوحدة مدرعة قوية . .كما أنه يجب الاسراع في ارسال القوات الالمانية واستخدام النقل الجوى اذا ما دعت الضرورة لذلك .

ولا غبار على كل ذلك . . ومع ذلك فسيتبين أن التفكير كان دفاعيا محضا . . وقال هتلر الكثير عن ذلك في رسالته الى موسيليني في الثامن والعشرين من فبراير فكتب يقول « لو صبرنا لخمسة أيام أخرى فانى متأكد أن أية محاولة بريطانية جديدة للتقدم نحو طرابلس ستبوء بالفشل . . انى ممتن لك أيها الزعيم حيث امكنك وضع وحداتك المتنقلة تحت تصرف القائد روميل وأنه لن يخذلك وانى مقتنع من أنه سيحظى بولاء وحب قواتك في المستقبل القريب . . كما أننى أعتقد أن مجرد وصول الكتيبة الاولى بانزر سيمثل دعما ممتازا لمركزك » وقد تأكد على الاقل ذلك الجزء الاخير من النبوءة سريعا .

وهكذا ادرك هتلر أهمية عدم فقد شمال أفريقيا ولم يبدو بالنسبة له ولا بالنسبة لاركان حربه أنهم قد أدركوا امكانية غزوها والنتائج البعيدة التى يمكن أن تترتب على توجيه ضربة ناجحة لمصر فمثلا لم يأخذ هولدر شمال أفريقيا على محمل الجد من البداية ولم ينظر الى الامر أكثر من كونه تحرك سياسى للابقاء على الابطاليين في الحرب . . وعلى هذا فان الانفاق على ثلاث أو أربع فرق لا يمكن ان يعتبر تكلفة باهظة . . وقال هولدر في أحد تحقيقات أنه » بالطبع اذا سنحت الفرصة لعمل هجومى او اذا اقتضت الظروف ذلك فسنقوم به إلا أننا ننظر الى الامر كله على أنه قتال لكسب الوقت وقد تحدثت أخيرا الى روميل في هذا الموضوع في ربيع ١٩٤٢م وقد أخبرنى في ذلك الحين أنه سيغزوا مصر وقناة السويس ثم تحدث عن شرق أفريقيا . . ولم يمكننى أن أخفى ابتسامة ساخرة بشكل ما وسألته عما يحتاج لهذه المهمة فكان يعتقد أنه يلزمه فيلقين مدرعين آخرين . . فسألته : واذا ما حصلنا عليهما كيف تمدهم وتطعمهم ؟. وكانت اجابته على ذلك « هذا شيء غير هام بالنسبة لى . انها مشكلتكم » وبعد أن ساءت الاحوال في افريقيا استمر روميل في طلب المزيد من المساعدة أما من أين تأتى هذه المساعدة فلم يكن ذلك بالنسبة له ذا بال . . وبدأ الايطاليون في الشكوى بعد ذلك بأنهم بدأوا يفقدون بوارجهم البحرية في العملية . . واذ ما نجح التاريخ في اعادة

كرخيوط الاحداث التى تمت في أفريقيا فانه بذلك يكون قد انجز احدى المعجزات لان روميل قد جعل الامور تختلط ببعضها على نحو فظيع مما أشك معه أنه يستطيع أى أنسان أن يعرف للاحداث رأسا من ذيلا .

وقد مات روميل الا أن أعادة سرد التاريخ ليس شيئا صعبا كما يتخيل العقيد هولدر ، كما أن حكم التاريخ ليس كما يبدو محببا الى نفسه كما كان يعتقد . ان التاريخ لا يقدر الرجال الذين في مواقع الاحداث والذين يسمحون لاحكامهم أن تصدر تبعا لاهوائهم الشخصية وأن كراهية هولدر لروميل كانت واضحة او ظاهرة من الطريقة التى كان يتحدث فيها عنه ومن الاستبدال البارع لفيلقين مدرعين بدلا من كتيبتين مدرعتين اللتين طلبهما روميل حقيقة . . وكما يتضح أيضا مما هو محذوف . . ويقول هولدر ان الحوار الذى دار « في ربيع عام ١٩٤٢ . » وأحجم عن ذكر أنه في ٢٧ يوليو ١٩٤١م طلب روميل الاذن في شن الهجوم يستهدف به قناة السويس وحدد لهذه المهمة موعدا في فبراير ١٩٤٢م وأنما كان طلبه في ربيع ١٩٤٢م فقد طلب عندئذ ثلاثة فرق المانية فقط من وحدات متكاملة بالاضافة الى ثلاثة فرق ايطالية أخرى . وقد أبت قيادة الجيش تزويده بالوحدات الالمانية الاضافية ، كما أن هولدر أو أحد مساعديه قد كتب تعليقات غير مهذبة على هامش الخطة . . ومع ذلك فلو كان روميل حصل على أربع فرق المانية اضافية « وقد كان مثتين منها يشاركان على الجبهة الروسية ، أرسلت المانيا ثلاثة فرق الى تونس في ثلاثة أسابيع بعد نزول الحلفاء الى شمال افريقيا في نوفمبر ١٩٤٢ م » فمن الغريب أنه كان سيصل الى القاهرة والقناة في بداية سنة ١٩٤٢م.

أما بالنسبة للامداد والتموين ، فقد فشل هولدر مرة أخرى في ذكر أن روميل قد رأى ما لم يستطع القادة الالمان والايطاليون أن يروه حتى أصبح الوقت متأخرا ، وهو أن الحل لجميع مشاكل الامداد والتموين ولكى يمكن السيطرة الحقيقية على البحر الابيض المتوسط هو احتلال مالطا .

وأخيرا فانه ربما كان من الطبيعى أن يحجم هولدر عن ذكر ما وصفه به روميل بأنه رجل دموى أحمق أو ما يرادف هذا التعبير بالالمانية وأنه قد سأله عن ما قام به في الحرب غير الاستلقاء على ظهره في كرسى أحد المكاتب . . ومع ذلك فلا يعتقد أنه قد نسى تلك العبارة .

ان قصة الحرب في شمال افريقيا هى قصة معركة لا نهاية لها بين روميل الذى رأى وأثبت امكانية تحقيق نجاح كبير هناك ، وبين قادة عليا رفضت أن تأخذ الحملة

على شمال افريقيا مأخذ جد . . وفي تلك المعركة واجه رومل كثير من الانتقادات فقد توغل كثيرا في الصحراء . انه لم يكن ضابطا قياديا وبالتالى كان كل المحترفين ينتقدونه . . ففى المناسبات القليلة التى رأى فيها هتلر لم يتمكن من رؤيته بمفرده الا نادرا وعندما كانت تسنح له الفرصة كان يجده غارقا لاذنيه في التفكير في روسيا عندها يربت هتلر على كتفه ويعده بالامدادات اللازمة ، الا أنه كان يشعر أن كل ذلك سينتهى الى لا شئ بواسطة حاشية هتلر بمجرد مغادرته له ، وفوق كل ذلك فان كتل وجودل وهولدر كانوا يغارون من مكانته عند هتلر وعامة الالمان ، كما كانوا يغارون من سجله العسكرى ودون شك كانوا يغارون من محالفة الحظ له في أن تكون له قيادة مستقلة بالاضافة الى صلته بالفوهرر . وكانت أسهل طريقة لتشويه سمعته هى الاعلان أنه بالرغم من أمكانية قيادته الحكيمة في الميدان فلم يكن رجلا يمكن الاعتداد بأرائه في المسائل الحربية الكبيرة .

وأما عن رومل فقد كان له في كيتل وهولدر أسوأ رأى . ولم يكن وحده في ذلك فقد قال الامير فون بسمارك عن كيتل بأنه « أبله معتوه » وقد وصفه فون هاسل « غبيا ضيق الافق ليست له أية دراية بالسياسة . . . . . ذليلا خانعا مستسلما في موقفه بالنسبة للحرب » وقد وصفه سيده الفوهرر بأنه « رجل له عقلية أحد حراس دور اللهو » أما بالنسبة لهولدر الذى تبين أنه من الضباط المتغطرسين المتعالين فقد قذف فون هاسل في سنة ١٩٤٠م بأنه « رجل ضعيف محطم الاعصاب. . . . . . . . كالخادم الذى يجرى وراء الكرة ليأتى بها لهتلر » . أما بك وهو سلفه الذكى في رئاسة الاركان فقد كان يعتقد أنه مجرد أحد الفنيين الاكفاء دون أن يكون له شخصية. ويبرهن ملفه في المؤامرة ضد هتلر أنه كان يرتعد طول الوقت خوفا من عزله الا أنه غير مستعد للقيام بأى عمل حاسم . ولقد كان جودل بماله من رأس مفكر وشخصية في الحزب يعالج أمر الحرب كما يعالج دورا في لعبة الشطرنج . أى أن عمله كان اعداد الخطط وليس مناقشة الاوامر وقد عرف الثلاثة بتأييدهم لسياسة هتلر الخاطئة في روسيا مثلما كانت في أى مكان آخر . . وقد حوكم كل من كيتل وجودل واعدما شنقا في مدينة نورنبرج. أما هولدر الذى قال عنه فون هاسل أنه قد وقع الاوامر التى تتضمن المعاملة الوحشية للروس ، فقد كان أسعد حظا ، ربما لانه قد قضى بعض السنوات في معسكر لحشد القوات ، وربما لأنه قد عرف عنه أنه أحد الذيول ، وربما لأن الحلفاء كانوا يحتاجونه كأحد الشهود ضد رؤسائه السابقين وبالتالى يمكن التأثير عليه واستخدامه لمصلحتهم .

وقد كان رومل يحتقر اولئك الثلاثة قائلا بأنهم « من الجنود الذين يحملون الكراسى

للقادة» كما كان يحتقرهم لتبعيتهم للحزب . وعندما جاء ليعرف ماتم بناءعلى أوامرهم ، احتقرهم أيضا لأنهم لم يكرموا ( فير ماشت الالمانى ) وكما سيتضح فيما بعد فلم يكن خائفا من أن يحتج على فظاعتهم أمام هتلر نفسه . . واذا ما جاز الحكم على انسان عن طريق اعدائه فان هؤلاء الثلاثة يمكن أن يكونوا خير شهود للدفاع عن رومل وكان من حسن حظ الحلفاء أنهم يتخذون موقفا دفاعيا داخل مقر قيادتهم في ذلك الوقت.

وكانت كل هذه المتاعب والالام عندما كان رومل في أوج علاقته الطيبة بالفوهرر ، وبطلا أمام عامة الالمان فقد رقى الى رتبة الفريق في الشهر السابق ، وعين لقيادة ( القوات الالمانيه في ليبيا ) في الخامس عشر من فبراير ١٩٤١م. وقد كانت الاشارة الوحيدة لهذا قد جاءت على لسان المشير فون بروششش في لقاء وداعه في برلين ( ولم يكن رومل قد رأى هتلر ) وقال له فون بروشتش أن مهمته هى مجرد مساعدة الايطاليين الذين كانوا يحتفظون بالقيادة العليا للعمليات في شمال أفريقيا ، ويمنعون تقدم القوات البريطانية الى طرابلس . وقد كانت القوات الالمانية حقيقة عبارة عن وحدة أعاقة « وكان من الافضل له أثناء تجواله أن يعود ليكتب تقريرا عما اذا كان في حاجة ضرورية حقيقة لهم أم لا . وكان على القائد شموندت وهو المساعد العسكرى لهتلر أن — يذهب معه ، « لكى يعد تقريرا خاصا مستقلا بالطبع الى الفوهرر » وقد حاول شموندت أن يثبت أنه صديق وفي لرومل ، ومما يؤسف له أن رومل قد أحبه ووثق به بأكبر قدر ممكن . وقد عين بناء على اقتراح من شقيق كيتل كى يخلف العقيد هوزباخ وهو ضابط بروسى مسن والذى استقال بشكل مخزى عندما كان المقدم فون فرتش قد أحيط بأطار تهمة اللواط الكاذبة بواسطة هملر ، وكان شموندت ضابطا نظاميا صغيرا ، حسن الصورة ، ذكيا ، طموحا « ولطيفا » . ولم يكن اصدقاؤه يعرفون أنه أحد رجال النازى المتطرفين ، ولكن سواء كان ذلك عن اقتناع أو بدافع الاعتداد بالنفس فقد أصبح أحد هؤلاء الرجال . وبمعنى آخر فقد أصبح من المعجبين الدائمين بهتلر نفسه . . أما بالنسبة لرومل الذى كان يبدوا أن شموندت مغرم بعبقريته فقد استنتج نفس الفارق الذى استنتجه رومل بغريزته بين الفوهرر وأتباعه ، وكان هتلر لسوء الحظ طبعا محاطا بمجموعة من الاوغاد يمكن تفسير وجودهم بأنهم تراث قد صحبه من الماضى ولكن يا له من رجل عظيم : وأى سيد عظيم هو يتمنى أى فرد القيام بخدمته : . وبما أنه كان يعيش على اتصال شخصى غريب من هتلر وكأحد الشهود لكثير من الاحداث ، فهل كان يمكن أن يتسنى له تصديق كل ذلك ؟. ان هذا يبدو غير مصدق . ولم يكن من غير المصدق بالنسبة لرومل نفسه الذى عندما

قام بخدمته كان لا يرى الا الوجه الحسن لهتلر ». وهكذا أقام الاثنان صداقة وهما في طريقهما الى أفريقيا وأثناء بقاء شموندت هناك . وكانما يشتركان في اعمالهما ، ومنذ ذلك الحين عندما كان يرغب في لفت الانتباه الشخصي للفوهرر نحو شيء ما فان رومل كان يكتب مباشرة الى شموندت . وقد كان كل من كيتل وهولدر يشكان أن هناك من تخطاهم بالرغم من أنهما لم يستطيعا اثبات ذلك . وأن الشك بطبيعته لم يجعلهما في وضع أحسن بالنسبة لرومل .

وهذه العلاقة مع شموندت تفسر سبب حجب مخاوف رومل عن هتلر لان شموندت لن يسمح بسماع أى كلمة ضد الفوهرر حتى من رومل . ومهما كان الخطأ فهو خطأ الجورنجز ، هيلمرز ، بورمانز ، كيلتلز ، جودلز ، وهولدرز. ومع أنه قبل أيام قليلة فقط من محاولة العشرين من يوليو سنة ١٩١٤ عندما كانت علاقة رومل بهتلر غير طيبة بسبب تشاؤمه عن نتائج الحرب ، أرسل شيموندرز له برقية تقول « تذكر أنه يمكنك الاعتماد على « وقد كان شموندت بالحجرة مع هتلر عندما انفجرت القنبلة ومات بعد ذلك بشهرين . هل كان ذلك بسبب جروحه ؟. هذا ما قيل . الا أن رومل لم يتأكد له ذلك .

وفي هذه الفترة كان رومل مثل كثير من الضباط الصغار ومثل بعض الضباط القادة الذين يتعين عليهم أن يعرفوا الكثير ، قد أفشى السرية عندما سمع بتعينه فكتب الى زوجته ليخبرها بوجهته فكتب لها « الان سيمكنني أن أقوم بشيء يخلصني من آلام الروماتيزم التى تنتابنى » وبما أن السيدة رومل قد تذكرت أن الطبيب الذى كان قد عالجه من الروماتيزم أثناء الحملة على فرنسا قد قال : « أنت في حاجة الى أشعة الشمس أيها القائد ، وينبغى عليك أن تكون في أفريقيا » ولم يكن الاستنتاج شيئا صعبا على الفهم . ومع ذلك فقد أمكنه أن يعود الى منزله لساعات قلائل بعد زيارته لبرلين ثم اتجه مع شموندت الى روما في طريقه الى أفريقيا وشمسها . وتبعهم الدنجر الامين وبصحبته قطته الصغيرة .

## الفصـــل السادس

# انتصارات وهزائم الصحراء

## (١)

## روملل في مواجهة وافل

لقد مضى الان ما يربو على العامين على وجود روملل في شمال أفريقيا ومن السهل تتبع الخط البياني لاقداره في النجاح أو الفشل ( وأقدارنا في الاتجاه المعاكس ) خلال تلك الفترة . . فهناك نجاحا مذهلا لانتصاره الاول في أبريل عام ١٩٤١م يتبعه انحسار قليل لفشله في احتلال طبرق في الاول من مايو . . وهذا لا يقاس بهزيمته من الهجمات البسيطة من اللواء وافل في منتصف مايو ومنتصف يونيو . . ثم تأتى سلسلة من الانتصارات والهزائم الخاطفة مثلها مثل الارقام الغير منتظمة المسجلة على مسجل الزلازل ، في نهاية نوفمبر وفي بداية ديسمبر تنتهى كلها الى نهاية واحدة وهى هزيمته على رقعة كبيرة بواسطة القادة اوكلنك ، وريتشى حيث تقهقر الى حدود برقه . . وفي نهاية العام اقترب مرة أخرى من الخط المتأرجح ، ثم تلا ذلك ارتفاع سريع آخر على الرسم البيانى عندما قام على غير المتوقع بهجمة مضادة في يناير وفبراير سنة ١٩٤٢م وأعادنا بدوره الى الوراء حتى منطقة الغزالة. وسواء على الرسم البيانى أو على أرض المعركة فقد أصبح على مسافة ثلثى الطريق الى أقصى مدى استطاع أن يصل اليه في أبريل السابق على ذلك .

وفي نهاية مايو بعد سقطة أولية استمرت لمدة أيام قليلة فقط كان يمكن أن تؤدى الى كارثة ، يبدأ أكثر نجاحاته روعة ، حيث استطاع في شهر أن يصل ويتخطى طبرق ، والجبهة المصرية ، وجبهة مرسى مطروح والباجوش والضبعة حتى العلمين وبوابات الاسكندرية نفسها . . وكانت الذروة . وهناك أوقفه القائد اوكلنك وبدأ الانحسار التدريجى تقريبا الا أنه كان انحسارا ينذر بالشؤم . وقد حولته انتصارات اللواء مونتجمرى في علم حلفا في أغسطس وانتصاراته في العلمين في أوائل نوفمبر الى منحدر استمر دون تعرج حتى الثانى عشر من مايو سنة ١٩٤٣م عندما ألقى الناجون من فيلق أفريقيا بأسلحتهم في تونس وكان روملل قد طار بنفسه الى المانيا قبل ذلك بشهرين في محاولة فاشلة لاقناع هتلر بالسماح له بانقاذ هؤلاء الرجال على على الاقل .

ومن السهل تتبع هذا الخط البيانى : أما المعارك فلا. كما أنى لا أعتقد في امكانية محاولة وصفها بالتفصيل مرة أخرى وللذين يريدون معرفة مكان الكتيبة

الرابعة المدرعة عند أول ضوء من صباح السادس والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٢م ، يمكنهم الرجوع الى المؤرخين المسئولين أو الى السجلات العسكرية لمختلف الفرق ، ولهؤلاء الذين يريدون رؤية الصورة الكبيرة فلا يمكنهم الا قراءة أو اعادة قراءة كتاب الن مورهيد المسمى ( الثلاثية الافريقية ) والكتب الخاصة لبعض المراسلين الاكفاء الذين صحبوا القوات البريطانية . فقد كانوا يكتبون تحت تأثير وقع الاحداث مما جعلهم يتشبعون بروح الحرب في الصحراء . . الا أنه طالما أننا نكتب عن قصة رومل أثناء وجوده بالفيالق الافريقية فلا يمكننى استبعاد ذكر معاركه في شمال أفريقيا . وعلى القارىء أن يسترجع مواقع بنغازى ويقوم بالسفر على الاراضى المألوفة وعلى نفس الطريق الساحلى القديم ونفس الطرق الصحراوية القديمة . ومن باب التغييرات يقطع جزء من هذا الطريق في شاحنة المانية .

وعندما تحدثت مع الن مورهيد بشأن تفكيرى في تأليف هذا الكتاب اقترح على على أنه ربما كان من المفيد أن أتصل بأحد الفنانين الذين عملوا بالحرب الالمانية ويدعى ويسلز ، وقد كان ويسلز مع رومل في شمال أفريقيا وكان ألن يجد في رسومه بالالوان المائية للصحراء الغربية أروع ما شاهد من رسوم . . ولسوء الحظ فقد أضاع عنوان هذا الرسام . وقبل أن يجده كنت قد سافرت الى المانيا ، لكى أبقى مع فرقة الفرسان العاشرة في ايرزلون ولأقوم بجولة من هناك . وبمجرد وصولى قال لى الضابط المسئول عن الفرقة العاشرة وهو أيضا زميل قديم بمركز الدراسات العليا التاسع والعشرين وهو معسكر اعتقالنا في ايطاليا قال « ربما أود أن أقابل أحد فنانى الحرب الالمان ويدعى ويسلز الذى كان مع رومل في شمال أفريقيا فاذا ما أردت ذلك فانه يعيش في ايزلون ».

وقابلت ويسلز في نفس ذلك اليوم في فترة ما بعد الظهر وهو حقيقة فنان كبير وتبعث رؤيته على الراحة . . وعندما أخبرته عما يجرى في ذهنى سألنى اذا ما كنت أعرف أن اللواء فون ايزبيك الذى كان قائدا في وقت ما للفرقة بانزر الخامسة عشر في الصحراء ، وأن اللواء فون رافنشتين قائد الفرقة الواحدة والعشرين يعيشان في ايزلون على بعد خمسمائة ياردة من المنزل الذى كنت فيه ويبعد كل عن الاخر مسافة عشرين ياردة .

وبالرغم من أننى قد خدمت في حربين ضد الالمان الا أننى لم أتعرف على الكثيرين منهم . ولم أقابل أى قائد ما عدا رومل وكان اللقاء رسميا ولعدة ثوان . . ان تحاملى على تلك الفئة التى تعتبر مسئولة مسئولية كبيرة عن بقائى لمدة عشر سنوات في وظيفة عقيمة وغير مجدية هذا التحامل يعتبر في حجم تعامل سائر الناس على الاقل . ومع هذا فانى أعترف أننى قد وجدتهما متجانسين روحا وطبعا .

فبالنسبة للقائد فون اسبيك فقد كان شبحا مثيرا للشفقة لا نسان هادىء يعيش وحيدا في غرفة صغيرة تستعمل للنوم والجلوس معا في الطابق العلوى يزينها على الجدران لوحات زيتية لا سلافه من القرن السابع عشر والثامن عشر ، وبدأت أفكر في أحد العسكريين شيبس ، وكان هذا قد جرح في وجهه من احدى الشظايا لقنبلة بالقرب من طبرق في سنة ١٩٤١م وأرسل بعد شفائه الى الجبهة الروسية ، واعتقل للاشتباه فيه بعد العشرين من يوليو عام ١٩٤٤م والقى به في أحد المعسكرات الحربية أيمكن أن يسعده الحظ بالبقاء حيا حتى الان ؟ . . ربما اذا ما احيل أحد القادة الى التقاعد قبل الأوان بلا معاش وبلا أى مستقبل أو مصلحة ممكنة خارج القوات المسلحة قد كان محظوظا ويعيش في المانيا هذه الايام .

وكان القائد فون اسبيك عبر الطريق في المكان المقابل كأحد خيول الطبقة الراقية الا أنه كان يتميز بلون مختلف وفي حالة مختلفة . وهو أحد ضباط الحراسة نحيلا ، حسن الصورة يبدو أنه أصغر بكثير من الخمسينيات. . اذا ما رآه أى فرد في حلته الزرقاء جميلة الهندام ، وحذائه اللامع ، محلى بدبوس من اللؤلو في رباط عنقه ، يمشى الى نادى ضباط الحرس أو الى نادى الفرسان في لندن ، يمكن أن يحكم عليه الفرد بأنه أحد القادة الشبان الناجحين . . فبعد حربين مدمرتين فقد كان يبدوا عليه أنه لائق من الناحية البدنية والعقلية لقيادة حرب أخرى . .وفي كلا الحربين فقد أبلى بلاء حسنا . . وفي يونيو ١٩١٨ بعد ثمانية عشر شهرا من منحه وسام الاستحقاق لشجاعته وحسن أدائه في المعارك ، وفيما بين الحربين تقاعد ليصبح رئيسا لاحدى وكالات الانباء في ديوسبرج وبقى في هذه الوظيفة حتى طرده النازيون . . ثم أعيد التحاقه بالجيش برتبة عقيد في سنة ١٩٣٩م حيث اسندت له قيادة احدى وحدات بانزر في بولندا ، وبعد اشتراكه في الحرب في بلغاريا واليونان في مارس وأبريل سنة ١٩٤١م ، خرج الى الصحراء لقيادة احدى كتائب من الفرقة بانزر الواحدة والعشرين . وقد حل محل الفرقة قبل معركة طريق الحلفاية بالسلوم في يونيو.

وقد كان فون رافنشتين هو الرجل الذى قاد اختراق رومل الشهير في الرابع والعشرين والخامس والعشرين من نوقمبر ١٩٤١م — وقد وصل مستقبله الى نهاية مفاجئة عندما جاء أول ضوء ليوم الثامن والعشرين من نوفمبر اندفع الى وسط الفرقة النيوزيلاندية دون قصد . وقد قال لى « لقد كان شيئا رهيبا » لأننى كنت أحمل خريطة رئاسة أركان الحرب بكل تنظيماتها ولم يكن لدى أى وقت للتخلص منها . . وعندما أدركت أنه ليس أمامى أى مخرج ، قررت أن أطلق على نفسى الاسم العقيد شمدت ، وكنت آمل أنهم لن يلاحظوا شارة رتبى الا أننى أخذت الى القائد فراى

برج ، وهل تعلم كيف نقوم نحن الالمان بذكر اسمائنا في حالة تقديم أنفسنا ؟ . . ضربت مؤخرة حذائى وانحنيت وقبل أن اعتدل اعلنت أننى اللواء فون رافنستين.

وقد وصل اللواء فون رافنستين في النهاية الى كندا وفي الطريق نظم محاولة كان يمكن أن تكلل بالنجاح لأسر السفينة ، ولكنها اكتشفت بواسطة قائد السفينة في اللحظة الاخيرة وكأحد أسرى الحرب القدامى المتهمين في وقت ما بالهرب من أحد معسكرات السجن فقد قدمت له دلائل كاملة على هذه المحاولة . ومع أنه لم يعاد الى وطنه الا في عام ١٩٤٨م فان اللواء فون رافنستين لم تكن له أية شكاوى. فلم يكن في الامكان ان يعامل معاملة خيرا من هذا . وبعد الحرب ، منح حريته الكاملة على وجه التقريب ولقد قال « لم تكن هناك أية قصور فما زال يمكننى أن أعطيك احد سيجار الهاقانا الجيدة : فمازال عندى عدد قليل منها .»

وهو الان يعيش في أتم راحة في بيته في ايزرلون مع أن هناك اسرتين أخرتين يشاركانه فيه . فهو يملك أثاث وفير وتتدلى صور أسلافه على حوائط المنزل . وتعيش معه زوجته وهى سيدة نبيلة برتغالية جميلة تتحدث الانجليزية والفرنسية بشكل يفوقه هو شخصيا . . وهو يقوم بعمل ما . فقد أصبح مرة أخرى رئيسا لوكالة أنباء في ديوسبرج. وجميع الشواهد تدل على أن القائد فون رافنستين لم تسؤ حاله بشكل يدعوا الى الشفقة. وطالما أنه قد قام بخلق المشاكل للفرقة الهندية الرابعة « ولى أيضا » في منطقة سيدى عمر قبل أسره مباشرة ، فاننى اقترح أن ارسل له صورة أخذناها أثناء هجمته الفاشلة علينا ، والصورة تمثل سبع دبابات مشتعلة .

وهناك القائد فريدز بايرلين الذى قابلته بشكل أكثر ألفة خلال مكاتب قسم التاريخ الامريكى في فرانكفورت وهو عينة أخرى . رجل قصير قوى ممتلىء ، الجسم ، ذكى ، ملىء بالنشاط والحماس ، مازال في الخمسين من العمر وقد حارب في الحرب الاولى وعمره ستة عشر عاما كأحد الجنود البريطانيين واشترك في الهجمات الا لمانية حول منطقة كمل في مارس ١٩١٨ ، وفي المعارك الحاسمة على السوم وحول البابوم وكامبراى في الصيف. وبعد الحرب لم تكن له أية نوايا عسكرية في البداية . وعندما لم يجد أى عمل خير من ذلك أعاد التحاقه بالجيش سنة ١٩٢١م. وبقى في كلية الحرب من ١٩٣٢م حتى ١٩٣٥م بعدها عين في فرق البانزر .

وليس من المحتمل أن يكون هناك في كلا الجانبين من عاصر الخدمة بشكل نشط ومستمر في الصحراء الغربية فيما عدا رومل نفسه غير فريدز بايرلين فقد جاء الى أفريقيا من جيش جادريانز في روسيا في أكتوبر سنة ١٩٤١ وتركها فقط في مايو

١٩٤٣م عندما أصيب وطار قبل النهاية مباشرة . وكانت تلك الشهور التسعة عشر عبارة عن شهور معارك وكانت تقريبا متوا صلة. فقد كان رئيسا لهيئة قيادة الفيالق الافريقية حتى مايو ١٩٤٢م ، عندما أصيب القائد جوزى وأصبح قائدا بالنيابة لروميل نفسه ( وقد كان روميل قائدا للفيالق الأفريقية فقط لكنه قد اسند اليه قيادة فرق بانزر في أفريقيا ، وكانت تشمل فرقتين ايطاليتين في صيف ١٩٤١م ) وقد ظل محتفظا بهذه الوظيفة الجديدة حتى النهاية فيما عدا خمسة أسابيع محمومة بعد أمر القائد فون توما عند العلمين ، عندما قاد الفيالق الافريقية أثناء التقهقر.

ومن الواضح أنه لم تكن هناك هيئة قيادة في حملات شمال أفريقيا خير من القائد فون ثوما ومع ذلك ، كما كشف لى في أحد الاكواخ الصغيرة في أحد مراكز التحقيق الامريكية في أوبرا ورسيل وبسط الخريطة العادية للصحراء من منطقة اجدابيا الى العلمين فقال » ان هذه كانت أول مرة يسأل فيها عن أفريقيا وأننى كنت أول ضابط بريطانى يقابله وهو يخدم في هذه المنطقة . وقد كان أيضا سلطة على روميل نفسه ولم يكن يعيش معه تلك الشهور على مقربة كبيرة منه بل أنه كان يعرفه فقط في السابق أيضا في مدرسة المشاه في درسدن من عام ١٩٣٠ الى عام ١٩٣٣م. وقضينا يوما طويلا معا في تساؤلات عديدة كان كل سؤال يبدأ بالعبارة « هل تذكرَ ؟ » وانى اعتذر لميلى واعجابى بالقادة الالمان . وانى اعتقد انه لا ينبغى لى أن أكون هكذا لكننى في نهاية هذا اللقاء أحببت القائد بايرلين . ومن هؤلاء الثلاثة وأيضا من آخرين سيأتى ذكرهم فيما بعد استمعت الى وجهة النظر الالمانية للقصة .

لقد ذكرت في بداية هذا الكتاب ان القائد وافل أو هيئة أركانه قد أخطأوا حساب الزمان والمكان عندما اعتقدوا ان روميل لن يتمكن من مهاجمتهم في ربيع سنة ١٩٤١م ، على النحو الذى قام به . ولم يؤثر هذا الخطأ على شعبية مقر القيادة فلهيئة مخابراتنا عذرها عندما تعلم أن روميل لم يقم بمهاجمتهم على نحو مفاجىء فقط وانما فاجأ أيضا رؤسائه في برلين . وقد كان الهجوم في الواحد والثلاثين من مارس. وفي الواحد والعشرين من مارس أخبرته قيادة الجيش أن يعد خطة لاعادة غزو برقه واخضاعها لاعتبارات معينة في موعد لا يتعدى العشرون من أبريل ، وكان ينبغى أن تكون هناك خطة حكيمة مشوبة بالحذر . أمام القوات البريطانية القوية لم يكن له أن يذهب أكثر من منطقة « أجدابيا » حتى تصل قوات الفرقة بانزر الخامسة عشر. وقد قضى هولدر وهيئة أركانه أسبوعا او اسبوعين على الاقل في فحصها أو بعيون فاحصة ولكن بعداء ولم تسنح لهم الفرصة . وقد أعاد احتلال برقة فعلا قبل تسعة أيام من احتلالهم لها . باستثناء طبرق ووصل الى الحدود المصرية . وقد قام باكثر

مما يمكن أن يسمح له به في حالة انتظاره لاخذ الاذن بذلك متجاهلا بذلك أوامر الفوهرر نفسه . وبعدها ابرق اليه هتلر في الثالث من أبريل ليخبره أن يحترس وإلا يشن أى هجوم على نطاق واسع دون انتظار الفرقة بانزر الخامسة عشر . وعلى وجه الخصوص عليه الا يكشف جناحيه بالتخلى عن بنغازى وقد تجاهل مضطرا الشق الاخير من هذا الامر حيث ثبت أنه اجلى عن بنغازى في نفس اليوم الذى أرسلت له تلك البرقية . أما بالنسبة للفرقة بانزر الخامسة عشر فكل ما يمكن أن يقال انها قد وصلت. حيث كان ذلك موعد دخولها طرابلس .

وقد كتب أحد الضباط من ذوى النفوذ والذى كان يعمل في المخابرات في القاهرة آنذاك ، « اننى أعتقد ان هناك دراسة عسكرية عادية قد تمت واضعا في الاعتبار قوة الجانبين المتحاربين والزمان والمكان وجميع العوامل العادية ، وبتعبير علمى ، لقد كان تقييما جيدا حيث لم يكن لهجوم رومل أن ينجح . ولسوء حظنا فقد قامر وفاز. وكما جاء في الدراسة لم يكن يتسنى له أن يهاجم بهذه السرعة . . . .» وقد كان يمكن فريق أول هولدر أن يوافق على ذلك دون شك .

ولقد تبنى وجهة النظر نفسها العميد وليمز وهو ضابط المخابرات الاساسى للقائد مونتجمرى فيما بعد ، الا أنه كان في ذلك الوقت أحد قادة الفرق في الحرس الملكى في كتيبة الاستطلاع للفرقة المدرعة الثانية . فقال « اننى اعتقد شخصيا ان رومل قد بدأ بالتحرك ، وقد وجد أنه من السهل احتلال العقيلة » واننى لا اذكر ذلك جيدا وكان على أن أقوم بهروب سريع » ، وانها خطة استطلاعية وتطورت الى هجوم ناجح . . . . ولم يكن رومل ليجرؤ أن يهاجمنا بالسرعة التى قام بها بكل تأكيد » .

كان هذا اول ظهور لرومل على مسرح الصحراء وقد كانت السرعة التى اكتسح بها برقة لها تأثير كبير ، حتى على اولئك المحترفين وقد أثرت بشكل مؤلم على العامة الذين يقيسون المكاسب على الخريطة . الا أن الارض في المناطق الصحراية لا تعنى الا الشيء القليل ، وقد كان ينبغى أن يكون الاعتبار للمعارك البحرية وليس للمعارك البرية فبمجرد أن تصد مدرعات العدو ، يقوم طابور الدبابات الفائز بالتجول عبرها « الصحراء» بأسرع ولأبعد مسافة يمكن للوقود أو المسارات أن تسمح بها. وقد كان الشيء الاكثر ازعاجا هو نوعية المدرعات الالمانية المتفوقة الى أبعد مدى. وقد ظل هذا التفوق حتى أن وصلت الدبابات من طراز تشيرمن أمام العلمين . ولم يكن ذلك في تقدير كل من الحكومة أو هيئة قيادتنا الذين كانوا يعتقدون أن الكثرة العددية يمكن أن تغطى أى قصور في نوعية السلاح ولم تصح هذه النظرية على الاقل

في الصحراء ، فقد ساس روممل قواته الصغيرة بشجاعة ومهارة غير عادية وكانت خبرته العظيمة حقيقة جديرة بالذكر . فقد قام بقيادة فرقة مدرعة أثناء الحرب ، وأسبوع من القتال يساوى ستة شهور من المناورات . وكانت تواجهه قوات غير ذات خبره تقودها قيادة لم يسبق لهم حتى مشاهدة المناورات على نطاق كبير ، بسبب نقص الدبابات عندنا . وباختصار ، فقد كان روممل يعلم عن الامر « الحرب » وكان قواد مدرعاته كذلك وعلى الرغم من ذلك قال العميد وليماز « لقد كانوا يحاربوننا بأسلحة متفوقه تمكنهم من هزيمتنا وانى لا اعتقد أنه قد كان يمكن ايقافه بسهولة . فقد كان كل ما لدينا هو مدفعية مضادة للدبابات عيار ٢ رطل ومجموعة كبيرة من الدبابات البالية » وحتى لو كانت هذه الدبابات حديثة فلم تكن بنفس نوعية تلك التى كانت تملكها البانزر الالمانية .

وفي ميدان الفنون الحربية لعب روممل مباراته مع القائد وافل فان قرار احتلال طبرق كان قرارا جريئا في مثل تلك الظروف « ولكن الدفاع النشط عن موقعها العسكرى شكل تهديدا على خطوط مواصلات الاعداء التى كانت من المحتمل ان توقف تقدمه » . وقد تم ذلك حقيقة – وربما أنقذ ذلك مصر . وقد كان روممل يتحدث عن وافل موجها كلامه الى ابنه على أنه من القادة العظام ، « يتمتع بعبقرية عسكرية » وقد وجدت في مكتبه بين عديد من المجلدات عن شمال أفريقيا كتبها فروبنس وآخرون صفحاتها سليمة ، وجدت فيها نسخة يمكن تصفحها بسهولة مترجمة بالالمانية من مذكرة لوافل في فن القيادة صدر في زيورخ عام ١٩٤٢م.

ولان روممل كان يقدر مدى أهمية طبرق فقد شن هجوما كاملا ضدها في أول مايو بمجرد أن دعم بواسطة الفرقة بانزر الخامسة عشر وطبقا لما قاله الدنجر ، فبالرغم من أن الايطاليين كانوا يملكون الخطط الدفاعية الكاملة ، التى أعدوها بأنفسهم ، فقد انكروها ولم يقوموا بتقديمها وأيا كان ذلك فان الفرقة التاسعة الاسترالية لم يكن يرهبها روممل أو أى شخصية أخرى. فقد كانت تلك النوعية من القتال ، حيث كل ما يهم هو الاصرار ومباغتة المجموعات والافراد هى التى يتميز بها الاستراليون. ولقد تلقى روممل ( لكزة في أنفه ) وقد صد صدا عنيفا وتكبد خسائر فادحة في الرجال والدبابات . ولقد استفادت قيادة الجيش من هذا الارتداد كى تذكره بان « حيازة برقه سواء بطبرق والسلوم والبردية أو بدونهم هو أول واجب للفيالق الافريقية » وأن هذا التقدم المستمر الى مصر له المرتبة الثانية في الاهمية .

وفي منتصف مايو قبل أن يتم تفريغ مجموعة جديدة من الدبابات الانجليزية اعتقد القائد وافل بأن » هناك فرصة سريعة لمهاجمة قوات العدو المتقدمة على الحدود

المصرية بالقرب من السلوم في ظروف ملائمة » . وفي عملية صغيرة محدودة قام بها عدد ضئيل من قوات الاستطلاع والدبابات من طراز آى لاحتلال السلوم ومساعد. وفي اليوم التالى جلب رومل مدرعاته وأجبرهم على التقهقر . في السابع والعشرون من مايو دفع بنا رومل ما وراء ممر الحلفاية وهو المكان الوحيد ، باستثناء السلوم نفسها حيث يمكن للدبابات أن تصعد لارتفاع ٢٠٠ قدم على ممر طوله حوالى خمسين ميل جنوب شرق الصحراء .

وكان القائد وافل ما زال يصر على استعادة برقة ، أو على الاقل حتى طبرق . وعلاوة على ذلك فقد كان « مضطرا بالهجوم بأسرع ما يمكن » . ولم يكن من الصعب استنتاج من الذى كان يدفعه على ذلك من لندن . وكان عنده من الدبابات الجديدة ما يكفى لاعادة تجهيز الفرقة السابعة المدرعة التى كانت غير منتظمة التشكيل كفرقة منذ الانتصار على جرازيانى . فقد كانت الفرقة ينقصها الاجهزة لدرجة أنها لم تكن تملك الدبابات ولا أجهزة اللاسلكى لاستمرار التدريب . وكانت بعض دباباتها الجديدة من طراز لم يرى مثله في الشرق الاوسط من قبل ، وكثيرا منها كان ينقصها الفحص الدقيق وجميعها كانت تحتاج الى مصفاة للرمال وأغطية للتموين في الصحراء. وكان قادة الدبابات غرباء عن بعضهم كما كانوا غرباء عن مركباتهم ».

وقد قدرت المعدات الالمانية بمائتين دبابة متوسطة وسبعون دبابة خفيفة في مواجهة اجمالى دباباتنا وهو ما يقرب من مئتين لهذا يعتبر قرار الهجوم ، أقل ما يقال فيه أنه قرار شجاع جرىء . . وبالاضافة الى ذلك ، فقد كان على القائد وافل تجربة ضم كتيبتين مدرعتين احداهما مجهزة بدبابات الاستطلاع وسرعتها من ١٥ الى ٢٠ ميل في الساعة ومدى فاعليتها في نصف قطر دائرة مداها من ٨٠ الى ١٠٠ ميل والاخرى من طراز آى بسرعة خمسة أميال في الساعة ومدى نصف القطر الخاص بفاعليتها ٤٠ ميل فقط دون ان يعاد تزويدها بالوقود وكان الامر كمن يضع رجلا وصبيا صغيرا مربوطا احدى ساقيهما كل بالاخر في سباق لمسافة مائة ياردة . وفوق كل هذا فقد كان الالمان يخفون في جعبتهم شيئا آخر . وكان هذا هو المدفع عيار ٨٨ مليمتر ثنائى الغرض ومدفع مضاد للطائرات فائق السرعة يمكن استخدامه ضد الدبابات بذخيرة تخترق المدرعات فتسرى في دباباتنا كما يسرى الزبد في الخبز ، ويقول ملف رومل عن الفرقة الشبح ما يفيد ان هذا المدفع قد استخدم ضد الدبابات البريطانية بالقرب من الاراس . أما المخابرات البريطانية فتفيد بانه لم يستخدم واننا قد تعاملنا معه في السادس عشر من يونيو ١٩٤١م في الصحراء الغربية ، وعلى أى

حال فقد كان سلاحا مخيفا بدرجة كبيرة وظل شبحا مخيفا لكل قادة الدبابات ولاخرون غيرهم حتى نهاية الحرب .

وفي حادثة « عملية معركة الفؤوس(١)» بعد نجاح اولى كان فشلامسببا للاكتئاب، فقدنا فيه مائة دبابة . وعندها طورد البعض منا دون دبابات وبلا غطاء جوى في سوريا بواسطة الدبابات والطيران التابع لقوات فيشى الفرنسية . وقد كنا في ضيق عندما سمعنا أن ستة أسراب من المقاتلات واربعة أسراب قاذفات ، مائتى دبابة قد استخدموا فيما بدى لنا بأنها عملية غير مجدية على الاطلاق . وقد كان من المثير أن يخبرنى كل من القائد فون اسبيك والقائد فون رافنستين والدنجر كل على حده أن هجوما قد أخذ على محمل الجد من ناحية رومل الذى اعتبره ذو خطورة كبيرة . ويعتقد اللواء رافنستين أننا قد أخطأنا في محاولة الهجوم « على النقطة القوية الوحيدة » وهى ممر الحلفاية وخصوصا الدبابات ، وأن حركة الالتفاف حول النهاية الجنوبية للموقع الدفاعى كان يجب أن تكون على نطاق أوسع . ولو كنا قد علمنا عن المدفعية من عيار ٨٨ مليمتر التى زرعت هناك لكنا من المحتمل أن نكونقد تركنا الحلفاية ، وقد كانت طبيعة دباباتنا المتعددة الانواع هى التى جعلت من الضرورى على الدبابات من طراز آى التابعة للكتيبة المدرعة الرابعة بمداها المحدود ، أن تتجه مباشرة نحو الشمال الى كابوزو ، بينما بقية الفرقة السابعة المدرعة وصلت الى مدى شارد عن جناحيها وعلى الاقل من المريح أن نعلم أن « معركة الفأس » قدسببت للعدو بعض القلق .

وقد سمعت من الدنجر قصة قريبة عن تلك الفترة واننا لنذكر أنه عندما ذهبنا الى سوريا انكر الفرنسيون بشدة أنهم كانوا يساعدون الالمان . وقد قالوا انهم كانوا يقاومون تقدمنا لمجرد أننا كنا نغزو الارض الفرنسية وكان يمكن لهم أن يقوموا بمقاومة الالمان أيضا أو أية قوات غازية أخرى . ولقد قضيت ثلاثة أيام كأسير بعد أن تحولت عربتى الى حطام خارج مزة وسمعت هذا التفسير من هيئة الضباط بصوت عال يبدوا عليه سمة الاخلاص في مقر قيادة القوات الفرنسية . الا أننى لم أكتشف ما هية الحقيقة . وقد قيل لنا ان الفرنسيين قد أعادوا تزويد الطائرات.الالمانية بالوقود وهى في طريقها الى العراق لتدعيم تمرد رشيد عالى الكيلانى : ولم يكن يبدو في ذلك الوقت أن هناك أكثر من مجموعة قليلة من الالمان في ملابسهم العادية في بيروت أو طرابلس . وكانت قصة الدنجر هى أنه قبل أو بعد « معركة الفؤوس » هبطت طائرة فرنسية من سوريا على أرض البردية وأن الضباط الفرنسى الطيار قد اقتيد مباشرة

(١) معركة الفؤوس = هى المعركة المشهورة بإسم باتل إكس

الى روميل ، وأنه قضى معه أكثر من ساعة ثم قام بالاقلاع مرة أخرى. فاذا ما صح ذلك واذا ما كان الدنجر ايجابيا فمن المفروض ان هذا الطيار قد جاء من طرف اللواء دانتز وهو قائد قوات الفيشى الفرنسية .

وقد مضى بقية الصيف هادئا ، ويحاول كلا الجانبين أن يعيد بناء قواته ، وهنا كان روميل في وضع غير موات . وكانت عيون القيادة العليا الالمانية مركزة على روسيا بلا أى اهتمام بشمال أفريقيا . وكان من الضرورى أن يشن هجوما على قناة السويس أيضا ضد أيران ، ومع ذلك فيمكن أن يرجىء هذا حتى تهزم روسيا . وكان بالامكان فتحها عن طريق الاناضول والقوقاز . وكان بامكان الجيش الالمانى بليبيا أن يلعب دورا ايجابيا في الدعم دون انتظار لاية قوة جديدة . وفي نفس الوقت ، طالما أنه لا يمكن القيام بشىء بصدد امداداته دون أية عملية ضد مالطا ، كان على روميل ان يلزم نفسه بالتخطيط لاحتلال طبرق واذا ما سقطت ، لا ينبغى عليه أن يتقدم الى مصر. لكن عليه أن يتوقف عند السلوم واذا ما فشل الهجوم ، عليه أن يعد نفسه للتراجع الى الغزالة .

وقد كان روميل يعد بواسطة الخبراء البريطانيون والالمان ، مجرد رجل انتهازى عسكرى ومخطط ليس بمؤهل بتكوين أية آراء عن فنون الحرب وان استاذيته في « التخطيطات الحربية ، ربما كانت تفوق استاذيته في فنون الحرب . ومع ذلك فاذا ما كان غير قادر على استيعاب المبادىء العريضة لفن الحرب ، فمما يثير الدهشة أنه قد عين كأستاذ لهذا الفن في بوتسدام ومازال يبعث على الدهشة بشكل أكبر هو أنه لم يكن قد تعلم شيئا من هذه المبادىء خلال السنوات التى قضاها هناك .

وفي هذا الموقف قد أظهر استيعابا أكثر وضوحا من أعظم المحترفين في فنون العلوم الحربية . وكانت الخطة التى أعدها رسميا في يوليو سنة ١٩٤١م لاحتلال قناة السويس قد ذكرت من قبل . ويخبرنى اللواء فون رافنستين أن هذه الفكرة في الواقع قد ذهبت الى مدى أفضل . وكان هذا التقدم مقدمة الى تقدم آخر الى البصرة بهدف وقف تدفق الامدادات الامريكية لروسيا عن طريق الخليج العربى. وكانت امدادات روميل الخاصة ، بعد أول مرحلة قد تأكدت عن طريق سوريا بالرغم من أنه كان يعتقد أن تركيا يمكن اقناعها بالانضمام للجانب الالمانى اذا ما سارت الامور على نحو مرضى في كل من روسيا وشمال أفريقيا . وان لم يكن ذلك فليس أمامها الا أن تهاجم وتنهار .

وقبل أن يصرف أى انسان نظره عن مثل هذا المشروع بفرض أنه خيالى كما فعلت قيادة الجيش الالمانى ، الذين راقبوا الجزء الاول منه ، عليه أن يرجع ليقرأ

رسالة اللواء أوكلنك رقم (٣٨١٧٧) التى تغطى حوادث الشرق الاوسط من اول نوفمبر ١٩٤١م حتى الخامس عشر من اغسطس ١٩٤٢م. عندها سيرى كم كان حجم القوات التى عندنا والتى بمقتضاها يمكن احتلال سوريا. بعد أن احتلتها قوات الفيشى الفرنسية ، وكم كان حجم القوات التى لنا في العراق وايران ، وكم كان من السهل احتلال قبرص بالفرق المحمولة جوا في أى وقت قبل نهاية صيف سنة ١٩٤٢م. وكم كان مدى انشغاله الدائم بجناحه الشمالى وكان خوفه كما اعترف هو من الهجوم عن طريق القوقاز. ولكن أيا كان طريق الهجوم ، فقد كنا فئة قليلة على الارض لا نستطيع مواجهته اذا ما جاء بكامل قواته ، ومن المناسب ان نتذكر ارقام الامدادات الامريكية التى وصلت فعلا الى روسيا عن طريق الخليج العربى.

أما بالنسبة لمالطا فكان روميل دائما ما يخبر هيئة اركانه « وأسرته بعد ذلك » انه لم يكن يفهم سبب عدم احتلال القيادة العليا لها . وقد كان هذا يمكن ان يتم بسهولة وفي أى وقت خلال صيف ١٩٤١م عن طريق استعمال الدخان والفرق المحمولة جوا . وحيث أن ٣٥ بالمائة من امداداته وتعزيزاته قد غرقت في أغسطس وان ٦٣ بالمائه في أكتوبر فقد كان له اهتماما شخصيا بهذا الموضوع . ومع هذا فلم يتم ذلك الا في نهاية سنة ١٩٤١م عندما ارتفع رقم الخسائر الى ما يوازى ٧٥ بالمائة عندها استيقظت القيادة العليا وتنبهت لاهمية مالطا للسيطرة على البحر الابيض المتوسط . عندها ارسلت قوارب من طراز يو ومراكب مسطحة خفيفة وعززت بطائرات من طراز « لوفت وافي » في جزيرة صقلية . وكانت النتيجة انه في أوائل سنة ١٩٤٢م عندما أعد روميل الخطة لشن هجومه سيطروا فعليا على مركز البحر الابيض المتوسط. ( وكان جزء من هذا يرجع الى الايطاليين الشبان الذين شقوا طريقهم الى ميناء الاسكندرية وأغرقوا المدمرتين البريطانيتين الوحيدتين « كوين اليزابيث وافليانت » أثناء الرسو.

وفي هذا الوقت قد تأخروا كثيرا في تعزيز روميل بالفرق الالمانية الاضافية التى طلبها ولم يبد في الواقع أن لديهم أى فكرة في القيام بهذا الامداد . وبالرغم من أنهم قد أكتسبوا حياد مالطا وكما اعتقد كسيرلنج ، « الغوا وجودها كقاعدة للاسطول » فلم يقوموا بأى محاولة لاحتلالها . ولم يأذن هتلر الا في نهاية أبريل ١٩٤٢م تحت ضغط من القائد البحرى ريدر وبعد نقاش مع موسولينى بهجوم مفاجىء على الجزيرة بقوات المانية ايطالية مشتركة في بداية يونيو . « عملية هيرقل » وقد كتب ممثل الاسطول الالمانى في هذه الجلسة يقول » مع أن تأجيل عملية مالطا لم تكن عملية مستحبة فاننى سعيد برؤية هذا الاهتمام الزائد الذى أظهره الفوهرر بهذه المنطقة الهامة . . . . فان الامر كله يفرض أهمية الان بعد أن كان يعتبر آنذاك على أنه موضوع جانبى

ينظر للانتصار فيه كأنه هبة من السماء ، الا أنه لم يهتم بالعمل فيه بصفة جدية أى فرد من أجل ( حرب المسرح الايطالى ) .

وقد تأجل الهجوم مرتين ، وفي الدقيقة الاخيرة من الساعة الحادية عشر من بداية يوليو أجل هتلر أخيرا عملية هيرقل الى ما بعد غزو مصر . ولم يستشر احدا من الايطاليين او من قيادة اسطوله . ربما أنه قد استشار كيتل وجودل .

حتى في اوائل صيف ١٩٤١م فان كبار الضباط من الفيالق الافريقية الذين هم في حالة نشوى بعد انتصارهم الاول كانوا يشعرون ان شمال أفريقيا يعتبر كعملية جانبية بالنسبة للقيادة العليا ، ليس أكثر من « قطف ثمار القسطل من فوق النار بالنسبة للايطاليين » وعلى سبيل المثال كان هناك مسألة الامداد الجوى . لم لا يستطيعون الحصول على مزيد من أسراب المقاتلات ؟ . وقد قال اللواء فون أيزيبك « اننى أتذكر المشير ملش من قاعدة « لوفت وافي » وهو يقوم بعملية تفتيش في مايو سنة ١٩٤١م فقد كنا جميعا ندعوا ان سلاح الجو الملكى سيقدم لنا خدمة بشن غارة مكثفة اثناء وجودنا هناك ولحسن الحظ فقد تفضل علينا بذلك . وكان القائد ملش يرتدى زيا ابيضا جميلا . ولم يسعدنى شىء أكثر من رؤيته وهو يغوص في احدى الانفاق المستطيلة الضيقة. وعندما خرج كنت أكثر غبطة عندما تبينت ان هذا هو الخندق الذى كان الخدم قد القوا فيه بنافيات المطبخ » .

وسواء بتشجيع من قيادة الجيش أو بدون تشجيع منهم قرر رومل الهجوم وكان من الواضح ان اول الاهداف هى طبرق وقد كتب اللواء اوكلنك « ان تحررنا من الارتباك في المنطقة الامامية لمدة أربع شهور ونصف يرجع بالقدر الكبير الى المدافعين عن طبرق . وبما أنهم لم يكونوا يتصرفون كمن في موقع اشتد عليه الضغط. ولكن كقوة ملهمة مستعدة في أى لحظة لشن اى هجوم . فقد كانوا بقواتهم العادية يعادلون ضعف قوة العدو وبما أنهم استطاعوا ان يجعلوا العدو في حالة توتر شديد ومستمر .استطاعوا أن يصدوا اربع فرق ايطالية وثلاثة كتائب المانية من المنطقة الامامية من ابريل حتى نوفمبر .« وقد نجح اللواء وافل في الحصول على مقابل بقراره الذى أصدره على نحو سريع مضطرب في معركة خاسرة . فلم يحدث أى تقدم الى مصر طالما أن طبرق ما زالت صامدة .

ولم يكن الحصول على الاذن بمهاجمة طبرق شيئا يسيرا . وأراد رومل ان يختزله في اكتوبر او نوفمبر . وكان كل من هتلر وجودل وكيتل يعارضون أية محاولة حتى يأتى يناير من سنة ١٩٤٢م . فلم يريدوا اثارة أى شىء في شمال أفريقيا بينما لم يفضوا ايديهم من روسيا . اما الايطاليون الذين كانت مخابراتهم عن طريق عملائهم

في القاهرة والاسكندرية أحسن حالا من الالمان . فقد علموا بالهجوم المزمع للقائد أوكلنك . وقد كانوا هم أيضا يعارضون أى تحرك لرومل بالذات تحت قيادتهم. وصوت طائرات « اللوفت وافي » مجموعة صورة فوتوغرافية جوية لخط السكة حديد الذى كان يمتد غرب مدينة مطروح . وقد كان اللواء فون رافنستين حاضرا عندما القى رومل بهذه الصور على الارض . وصاح بلفظ « أنا لن أنظر اليهم » وجاء تقرير من القائد البحرى كانرى . وقد اخبره جندى بريطانى وهو بالمستشفى في مدينة القدس للمرضة التى تقوم على خدمته وقد كانت عملية لالمانيا بأن البريطانيين سيشنون هجوما كبيرا على رومل بعد قليل . وبناء على ذلك أخبر كل من هتلر وجودل ورومل بانه من الافضل له أن يظل ساكنا ويترك طبرق وشأنها ويستعد لمواجهة أوكلنك . ( ولم يبد انه قد خطر بذهنهم ان المواجهة ستكون شديدة ربما للضعف اذا ما بقيت طبرق في أيدى البريطانيين .)

وأصر رومل على احتلال طبرق ويبدو أنه لم يتقبل الاوامر وطار مع فون رافنستين الى روما لمناقشة الامر – وكان فون رافنستين في مكتب رشتلن وهو ضابط الاتصال الالمانى مع الايطاليين عندما « فجر الموقف فبعد ان هاجم رئتلن سيء الحل أنه جبان ( عميل الايطاليين ) امسك بالهاتف واتصل بجودل شخصيا وقال له « اننى اسمع بأنك تود أن اتخلى عن الهجوم على طبرق ، اننى في غاية الاشمئزاز » فأخبره جودل بالهجوم البريطانى . فرد رومل بأنه سيضع الفرقة بانزر الواحدة والعشرين والموجود قائدها معه في المكتب لردهم بينما يتقدم الهجوم على طبرق وكان جودل يأخذ بمبدأ الامان فسأل هل يمكنك أن تضمن بأن ليس هناك خطرا ؟ » فصاح اننى اضمن لك ذلك شخصيا » . عندها اذعن جودل للامر بعد أن قام بتغطية نفسه .

وتحدد موعد الهجوم في الثالث والعشرين من نوفمبر وكان كل شيء معدا لهذا وعندما انضمت الكنتيسة فون رافنستين والسيدة رومل لهما ، قرر رومل أن يبقى في روما للاحتفال بعيد ميلاده في الخامس عشر من نوفمبر . وقامت السيدات بارتياد المواطن التى تستحق المشاهدة . ويتذكر فون رافنستين أنهم قد عادوا الى فندق ايدن لتناول مأدبة تحتوى على ما لذ وطاب في حى سانت بيتر . واستمع رومل لبعض الوقت وهو صامت ثم اشترك في الحديث . فقال أنت تعلم يا فون رافنستين اننى كنت أفكر مرة أخرى فيما يمكن عمله بتلك القوات من المشاه . . . . . . ».

ولم ير رومل أى من مشاهد روما . ومع ذلك فقد رأى عند دعوته للقيادة الايطالية في عيد ميلاده شريطا عنوانه ( الى الامام من بنغازى ) الذى كان يصور التقدم الذى حدث في أبريل السابق – كما اظهر الايطاليين المنتصرين وهم يهاجمون

بالحراب ، كما عرض بعض الضباط البريطانيين من ذوى الاخلاق الوضيعة يعبث بهم بعض الايطاليين وهم يهرولون في فزع أمامهم . ولم يظهر الشريط أى جندى المانى وهو في حالة التحام عسكرى . بعده قال رومل لمضيفيه أنه مثير وتعليمى انى مندهش « ماذا جرى في تلك المعركة » .

وقد رويت قصة كيف أن غياب رومل فقط من مقر قيادته في البيضاء بالقرب من شحات هى التى أنقذته من الموت أو الأسر . وباختصار فان احدى فرق الصاعقة بقيادة الرائد جيوفرى كيز قد نزلت من احدى الغواصات وقابلها وقام بارشادها أحد الضباط الشجعان ويدعى جون هيسلدون ، الذى قتل بعد ذلك ، وقد كان يعيش خلف خطوط الاعداء متنكرا في شخصية أحد الاعراب . ويقول الرائد كيندى في كتابه ( مجموعة الصحراء المدى البعيد ) أن أول مبنى على اليمين عندما تدخل القرية من ناحية شحات عبارة عن مخزن غلال ، ثم يأتى طابور من المنازل ذات الطابق الواحد ، عندئذ يوجد مبنين كبيرين للتخزين في نهاية الطريق بين أشجار السرو وهذين المبنيين مظلمين وكئيبى المنظر الى حد ما . وفي هدا المنزل كان يعيش رومل سنة ١٩٤١م ..... وعند منتصف الليل كان كيز ومعه الرجلين كامبل ، وترى كانوا على عتبة الباب يطلبون الاذن بالدخول بصوت عال باللغة الالمانية . وفتح لهم الحارس ولكن عندما أصبحوا في الداخل أبديا العداء وأمكن التغلب عليهما وعلى الضجيج ظهر اثنان من الضباط على الدروج وامكن اطلاق الرصاص عليهم . وتمكن من اطفاء جميع الانوار بالمنزل وخيم السكون وبدأ كيز في البحث في حجرات الطابق الارضى أولا . فكانت الحجرة الاولى خالية لكن جاء من خلال ظلام الحجرة الثانية مجموعة طلقات نارية وسقط كيز مصابا اصابة قاتلة . كما اصيب كامبل أيضا وأسر لكن تيرى تمكن من الهرب ودفن الرائد كيز ( الذى منح لقب نائب القائد بعد وفاته ) في البيضاء على جبل جنوب القرية على بعد ميل مع أربعة من الالمان .

وكان رومل موجودا في روما ، وعلى أى حال فلم يكن له ان يؤسر في ذلك المنزل الكئيب بين أشجار السرو . ولم تكن هذه المبانى هي مقر قيادته ولكنها مقر قيادة الاركان حرب ( كيو ) الذى كان تحت قيادة المقدم أوتو . أما مقر قيادته فقد كان في الصحراء غرب مدينة درنة . وقد كان يأتى للبيضاء لكنه لم يكن يقض فيها الليل . وقد كانت اخباريات جون هاسلدون خاطئة ، وكان العرب اما يشاهدون رومل هناك نهارا أو انهم يخطئونه في شخص آخر. وسقط جيوفرى كيز بجرحه القاتل لكنه قد التقط ميتا على بعد ميل تقريبا . وكان مصابا اصابات بالغة في احدى ساقية أما الاخرى فقد كانت مصابة بعدة طلقات وقد تمكن من الزحف أثناء الليل . وقد قال لى الدنجر وهو الذى روى لى هذه القصة من الجانب الالمانى « لقد كان رجلا شجاعا ».

## ٢ ـ العملية الصليبية

و اذا كنا لم نتمكن من مفاجأة رومل في مقر قيادته ، فان بداية هجوم اللواء اوكلنك قد أخذه وقواته بالمفاجأة التامه . وعندما زحفت كتائبنا المدرعة بما فيها من سيارات مدرعه على خط المواجهه عند الفجر في الثامن عشر من نوفمبر ، حتى وصلوا من خلال الصحراء الى مواقعهم الحربية في طريق العبد .

وكانت « العملية الصليبيه » هى أول معارك الجيش الثامن . وقد بدأت ومعها آمال كبيرة . وقد توقع مستر تشرشل نصرا يوازى معركه بلنهيم أو معركه ووترلو ولسوء الحظ أنه قد تفوه بذلك . لان هذه الامال لم يمكن تحقيقها كاملة بل سريعا ما ضاعت في جانب الفشل . وقد كان هناك القليلون من خارج الجيش الثامن نفسه الذين علموا كيف أن النجاح الكامل كان قريبا جدا . ولان العبرة دائما ما تكون بالنتائج فان القليلين هم الذين تحملوا مشقه المقارنه بالارقام بالنسبه لارقام معركه العلمين . فمن بين القوة االاجماليه للعدو وقدرها مائة ألف كان ستون ألف بينهم واحد وعشرين الف بين قتلى وجرحى وأسرى في العملية الصليبيه ، وقد فقد الجيش الثامن القوى وعدد قواته مائه وثمانية عشر ألف ضابط وجندى . وعند العلمين واجه مائه وخمسين الفا من الجيش الثامن سته وتسعون الف من الالمان والايطاليين — وقتلوا وجرحوا أو أسروا من بينهم تسعه وخمسون الف ، وكان من بين هؤلاء اربعه وثلاثون الف ألمانى . وكانت خسائر الجيش الثامن تقدر بحوالى ثلاثة عشر الف وخمسمائه. وفي نوفمبر عام ١٩٤١م . دخلنا معركة مع أربعمائه واثنى عشر دبابه لرومل بينما كان عدد دباباتنا أربعمائه وخمسة وخمسون . وكان القائد مونتجمرى عند العلمين وبحوزته الف ومائة وأربعة عشر دبابه في مواجهة من خمسمائة الى ستمائه أكثر من نصفها دبابات ايطالية . . ومع ذلك فان الارقام لا تحكى القصة كاملة . فمن بين الالف ومائه وأربعة عشر دبابة التى بحوزة اللواء مونتجمرى كان معها مائة ثمانية وعشرون من طراز جرانتس ، ومئتان سبعة وستون من طراز تشيرمن المجهزة بالمدافع من عيار ٧٥ مليمتر والجميع بحالة جيدة للغاية . وفي نوفمبر ١٩٤١م لم يكن لدينا دبابة واحدة لها الصلاحية لقتال الدبابة الالمانية من طراز مارك ثلاثة ومارك أربعة. فقبل أن تتمكن دباباتنا التى لا يمكن الاعتماد عليها من الناحية الميكانيكية والتى كانت مدافعها التى تثير الشفقة من عيار ٢ رطل ، قبل أن تبدأ في ضرب دبابات العدو بشكل مؤثر كان عليها أن تقترب لمسافة ثمانمائة ياردة . وبينما هى تقوم بذلك كانوا طيلة هذا الوقت تحت وابل نيران المدفعية من عيار خمسون مليمتر ( من عيار ٤

أرطال ) وأيضا المدافع من عيار مليمتر مما تتمكن معه مدرعاتنا من الدفاع عن نفسها ولم يكن عندنا أية مدفعية مضادة للدبابات من النوع المؤثر على الاطلاق .

لماذا هاجم اللواء اوكلنك بفرقة ونصف مدرعة بدلا من ثلاث كان يعتقد شخصيا بضرورة الهجوم بها ؟ .

أولا : طالما أن هناك قوات قوية للمحور في برقة فقد كان هناك تهديد دائم على مصر ولم يأمل أن يؤمن جناحه الشمالى ضد أى غزو المانى محتمل من جهة القوقاز .

ثانيا : فان حكومة جلالة الملكة كانت تعتبر أنه من الضرورى أن يبدأ الهجوم في شمال أفريقيا في أقرب وقت ممكن . وكلمة « ممكن » كلمة مطاطة. خاصة في لندن .

وقد حاز القرار القبول ، ولم يكن هناك خطأ في الخطة العامة .،وكانت فكرة وضع القوات الرئيسية في الجنوب والضرب عبر الصحراء في اتجاه جالو لقطع خطوط اتصال رومل قد انقلبت رأسا على عقب . وكانت المتاعب الادارية كبيرة علاوة على ذلك فقد تعرض جناح القوات لأن ينكشف أثناء تقدمه الى هجمات مستمرة من الغارات الجوية الساحلية في الشمال . وقد كان يمكن صد هذه الغارات عن طريق تعزيزات من طائرات « اللوفت وافي » التى يمكن ان تنطلق من اليونان وجزيرة كريت. أما قواتنا فقد كان عليها ان تنقسم بما فيها سلاح الجو البريطانى وقد كان من الضرورى أن نترك قوة غطاء قوية لتحتل المنطقة الامامية ، ماذا والا فان رومل سيقلب علينا المائدة بان ينزل بنا الى السهول متجها بنا مباشرة الى الاسكندرية . وكان هذا ما ينوى عمله تماما اذا ما هاجمناه من جهة الجنوب . ولذلك كان الاقتحام بواسطة احدى فرق الجيش عند جالو يعتبر مجرد خداع . وقد كان ذا تأثير كبير . وقد اخبرنى اللواء بايرلاين أن تلك المنطقة كانت هى المكان الذى ظنوا أن المعركة الاساسية ستأتى منه .

وكانت الخطة الموضوعة هى التقدم نحو طبرق . بينما نناور من جهة الجنوب والوسط وكان الهدف الاول هو تحطيم قوات رومل المدرعة وكانت الفرقتين الخامسة عشر والواحد والعشرون بانزر هما العمود الفقرى لجيش العدو . وكان السؤال هو ماذا يمكن أن يضطرهم للاشتراك في المعركة في المكان الذى نختاره نحن ؟. وكان من الواضح حسبما تراءى للواء اوكلنك. هو تحرك واضح لرفع الحصار عن طبرق (وكان التخلى عن طبرق في الواقع مقصودا من أجل الهدف الأكبر وهو طرد رومل

من برقة وبالتالى من طرابلس الغرب . وبناء على هذا التخطيط فان الحامية العسكرية يمكن أن تشترك بقواتها في المعركة ) وطالما أن دباباتنا كانت أقل قوة من دباباته ، كان علينا أن نجرب أن نهاجم مدرعاته باعداد أكبر على الا ينبغى لفرقتنا المدرعة الوحيدة أن تقع فريسة للفرقتين بانزر معا وكان عنصر المفاجأة جيد التوقيت كما كان توجيه القوات المهاجمة شيئا ضروريا .

وباختصار كان الفيلق الثلاثين بقيادة الفريق ويلجوبى نوررىى هو الذى سيتولى شن الهجوم . وكان الهجوم يتضمن معظم القوات المدرعة « الفرقة المدرعة السابعة والكتيبة المدرعه الرابعه » ، مع كتيبتين من الفرقه الاولى للمشاه ، جنوب أفريقيا مع كتيبة الحراسة « المتحركه » الثانيه والعشرين التى كان عليها أن تتمركز حول قبر صالح لتضرب في الشمال الشرقى أو الشمال الغربى فعندما تفرغ من هزيمة مدرعات العدو عليها أن تخلص طبرق . وكانت حامية طبرق وهى الفرقه المشاه السبعين وكتيبة دبابات ومجموعة من كتيبه بولنديه » عليها أن تقوم بغارة عندما يرى القائد « نورريى» أن الوقت المناسب قد حان .

وفي الوقت نفسه كانت الفيلق الثالث عشر تحت قيادة الفريق جودوين اوستن بما فيهم الفرقة النيوزيلاندية والفرقة الهنديه الرابعة وكتيبة الدبابات الاولى للجيش ، كان عليها أن تتدخل لعزل قوات العدو واحتلال المواقع الدفاعية الامامية . بعدها تتقدم غربا نحو طبرق لمساعدة الفيلق الثلاثين وكان على الكتيبة المدرعه الرابعه من الفيلق الثلاثين أن تحمى جناحها الايسر . أما كتيبة المشاه الهندية الحادية عشر تحت الموقع الحصين في السلوم وكتيبة المشاه الهنديه الخامسة التى توجد في موقع يعلوها كان عليهما احتواء العدو من الناحية الامامية وتغطية قاعدتنا ونقطة تفريغ المؤن العسكرية على السكه الحديد .

وكانت ثلث قوة رومل من الالمان والثلثين من الايطاليين . وكانت تحتوى على ثلاثة فرق مدرعة ، وأثنين من الفرق المحمولة وخمس فرق من المشاه . وكانت الفرقتين بانزر الالمانيتين الخامسة عشر والواحدة والعشرين ، وفرقه المشاه الخفيفة التسعين تكونان مجموعة بانزر الخاصة بأفريقيا . وكان موقع الفرقة الواحدة والعشرين على بعد ١٢ ميلا جنوب كمبوت عبر كابوتزو . . . وكانت الفرقة بانزر الخامسة عشر مع الفرقة الخفيفة التسعين تتركز حول العدم الدوده وسيدى رزق . . أما الفيلق الواحد والعشرين فكان يتكون من أربع فرق مشاه ايطاليه تدعمها ثلاث كتائب مشاه المانيه لمحاصرة طبرق . . وكانت الفرقة المدرعة الايطالية عند بئر الغبى قد حفرت لمدفعيتها وثبتتها هناك أما الفرقة الميكانيكية فكانت عند بئر حكيم كما دعمت الجبهات

الدفاعية عند الحلفاية والسلوم وكابوتزو وبفرق المشاه الالمان . . وكانت الفرقه سافونا ومعها بعض المدفعية الالمانية تحتل سيدى عمر . أما البردية فقد كان بها حامية مشتركة من الالمان والايطاليين

وكانت التجهيزات للهجوم ممكنه . . وامتد خط السكه حديد لمسافة ٧٥ ميلا للامام في اتجاه غرب مدينة مطروح. واقيم خط أنابيب من الاسكندريه وكانت هناك نقطة مياه قد انشئت على مسافه عشرة أميال خلف نقطة التموين على خط السكة الحديد وتم تخزين حوالى ثلاثون الف طن من الذخيرة ، والوقود والمؤن في المنطقة الامامية قبل بدء المعركة ( وكانت هذه الكميات كافيه لتغطية الفرق ما بين النسبه اليوميه بين التوزيع والاستهلاك لفترة تمتد أسبوعا على أقصى تقدير » وهاجمت القوات الجويه الملكيه ومجموعة التجوال البعيد داخل الصحراء كان لدى اللواء كاننجهام ، وهو قائد الجيش الثامن معلومات دقيقة الى حد بعيد عن مواقع العدو ونظام سير المعركه . . وبفضل القوات الجويه الملكيه والاداره الممتازة والتمويه والامن ، لم يتمكن العدو من معرفة أى شيء عن قواتنا . . وبذلك أمكن تحقيق عنصر المفاجأة اللازمة .

وقد جرى القتال في المعركة التى تلت ذلك بشكل مستميت من كلا الجانبين المتحاربين . . فبالنسبة لجانبنا كان هناك ابتهاج وانتعاش ، وارادة للنصر لم أر لها نظيرا منذ المعارك النهائيه في نهاية الحرب الاولى . . وانى لا أذكر عريفا اسكتلنديا جريحا يصيح وهو يميل على جانبيه ومشيرا الى مدفعه وكانت فوهة المدفع مدلاة كساق نبات الكرفس المهروس نتيجة اصابة مباشرة عندما قال لى « اعطنى دبابة أخرى ، اننا نقوم بعملنا على الوجه الاكمل ، اننا نحول حياتهم الى جحيم ، وكان هذا على بعد مائة ياردة من العربة التى بها القائد ويلجوبى نورى ، وهو قائد الفيلق الثلاثين والذى قد أخطأ في وضع كل مقار القيادة الرئيسية ، لكنه أبدى بملاحظة يقول فيها هناك الكثير مما يمكن قوله عند القتال في معركة يساعدنا فيها معسكر واحد فقط للمعاونة وعلينا توفير وقت الكتابة . « وفي نفس هذا الوقت كانت كل مقار الفيالق الافريقية قد احتلت بواسطة النيوزيلانديون .

لقد كانت معركة جندى حقيقى « كان صراعا عنيفا بلا شك » تشويش ومطاردة تشبه تتبعنا لقواتنا كما كنا نتابع خطوطنا في سنة ١٩١٨ باستعمال أجهزة الهوائى. وكانت سرعة سير المعارك كبيرة وكان تغير المواقف سريعا وكذلك تحت سحابات الدخان الناتجة عن تناثر الشظايا واحتراق الدبابات ووسط انتشار الغبار الناتج عن المركبات الهادرة ، في مثل هذا الجو الذى كان يصحبه التقارير المتناقضة عن سير

المعركة لدرجة أنه لم يكن هناك من يعلم ماذا يجرى اذا كان على بعد ميل واحد فقط . . وحتى هذه الايام فمن الصعب تتبع المعركة عن طريق متابعة مواقعها على الخريطة ساعة بساعة . . فبين آونة وأخرى ترى في ظلمة هذه السحب من الدخان والاتربة نجد أمامنا فجأة أحد الابطال مثل « جوك » كامبل وهو يقود دبابته في سيدى رزق بسيارته المكشوفه ، فائزا بأوسمه الاستحقاق قرابة ستة مرات . . وهناك مئات آخرين الذين لم نتمكن من تسجيل أعمالهم البطولية . . فمثلا كم منا قد سمع بالطريقة التى احتل بها الفريق دنسريد وهو قائد فرقه الكتيبة الهنديه من الجغبوب فقد احتل مدينة جالو عندما سافر وحده الى الحصن واستطاع أن يجعل ستون ضابطا ايطاليا كانوا يتناولون العشاء يرفعون أيديهم مستسلمين وهو لا يملك الا مسدسا واحدا .

وكان قلب المعركة في سيدى رزق حيث هى مفتاح الطريق الى طبرق . . وكانت هنا أعنف المعارك ، دبابه في مواجهة دبابه ورجل في مواجهة آخر. وكانت الذروة عندما اندفع رومل بشكل مسرحى مؤثر بقواته المدرعة عبر الاسلاك الامامية في بئر الشقة . وكان هذا بعد ظهر الرابع والعشرين من نوفمبر . . وقد وصف آلن مورهيد حيوية هذه الغارة في كتابه « سنة من المعارك » . لقد كانت هذه الغارة على مواقعنا الخلفية وما تتبعها من تشتت وفرار آلاف العربات في الصحراء ، مثل قطيع من الاسماك البحرية أمام سمكة القرش .

لماذا اذاً تخلى رومل فجأة عن المعركة الاساسية واندفع شرقا بفرقته المدرعة ؟ هل كان قد أعد خطة أو كان مجرد أنه « يدور بيده في الإناء » هل كانت ضربة كبار المحترفين أم أنها مجرد مقامرة يائسة ؟ . . وقد ناقش الامر كل من اللواء فولر والفريق سير جيفار د مارتل مع آخرين ووصلوا الى استنتاجات مختلفة اذ أن الاجابة ضرورية لكل من يريد تقييم رومل كقائد . . ومرة أخرى عندما مروا في أطار ميل أو ميلين لم تقف دباباته لتطلق النيران على مخازن تموين ذخيرتنا وعلى الفرقة الثالثة والستون على بعد خمسة عشر ميلا جنوب شرق بئر الغبى والفرقة الخامسة والستون على بعد خمسة عشر ميلا جنوب شرق قبر صالح. وبدون كل هؤلاء لم يكن من الممكن للفرقة النيوزيلاندية أن تبقى وبدونهم أيضا كان الفيلق الثلاثون مضطرا الى التقهقر من سيدى رزق . ولم تكن هناك لحمايتهم الا كتيبة الحرس فقط.

ان الاسئلة الثانيه يمكن الاجابة عليها ، أولا لان الرد سهل . فبالرغم من أن مستودعات الذخيرة كانت توجد على بعد مسافة ستة أميال مربعة فان القوات الالمانية لم تعلم بمكانها . وكان القائد بايرلين يصيح قائلا يا الهى في السماء الا تريد أن تدلنى

على أمكنتها ؟ » وكذلك اللواء فون رافنستين لم يكن خيرا منه حيث قال كيف كان لى أن أظن اننى رأيت وأدركت كتيبة الحرس ولم أسائل نفسى عما كانوا يعملون هناك اننى لا أعتقد حتى بأننى قد أطلقت عليهم الرصاص . وقد عاد كل منهم الى نفس الموضوع وتقريبا بنفس الكلمات. » لو كنا نعلم اماكن تلك الذخيرة ، لكسبنا المعركة » . وبالفعل فقد كان يمكنهم ذلك وأيا كان المسئول عن اخفاء وتمويه على تلك الاماكن الضخمة من البترول والماء وباقى المخزون فله أن يحصل لنفسه على قدر من التقدير ولو أنه متأخرا . . وكذلك استحقت التقدير القوات الجوية الملكية حيث استطاعت أن تبعد طائرات الاستطلاع الالمانية عن المنطقة

أما بالنسبة للسؤال الكبير فقد كان القائد بايرلين يعلم ما كان يدور في ذهن رومل تمام المعرفة . فقد كان لا يزال ينوى احتلال طبرق لكنه لم يستطع أن يحقق ذلك في الوقت الذى كانت تهاجم فيه قواته نفسها . فاذا ماشن الهجوم على الفرقة السبعين فانها ستنسحب الى خطوط داخل نطاق المنطقة. وقد كان تقدم الفرقة النيوزيلاندية على طول كابوزو يعتبر مفاجأة غير سارة بالنسبة له واذا ما ركز كل قواته ضدها ، فانه سيتمكن من تحطيمها بلا شك ويفتح بذلك الطريق الى مواقعه الامامية مرة أخرى . الا أن هذا سيعطى الفرصة لكل من تخلف من الفرقة السابعة المدرعة في اعادة تنظيم نفسه وفي نفس الوقت كانت هناك الفرقة السبعين في جناحه واذا ما شن الهجوم على الفرقة المدرعة السابعة جنوب شرق سيدى رزق ( كما يعتقد القائد مارتل أن يظن فيما ينبغى عمله ) ويمكن للفرقة النيوزيلاندية أن تنضم الى الفرقة السبعين. واذا ما آثر السلام وعاد الى الغزالة ، فهذا يعنى التخلى عن المواقع الامامية، وعن مخازنه هناك وعن خنادقه على طول الساحل . اذا فقد كانت قواته في الفرقتين بانزر وهل هناك أى طريقة يمكن له بها ان يستخدمها . وليس مجرد ان يخرج نفسه من موقف حرج او بمتابعة معركة متواصلة ، ولكى يستعيد المبادرة ويحول الهزيمة الى نصر بضربة واحدة ؟ . . نعم فقد قرر أن يندفع من ناحية الشرق الى مواقعنا الخلفية وبالتالى قطع اتصال خطوط مواصلاتنا لدرجة ان القائد كاننجهام طلب ايقاف المعركة والانسحاب من حيث جاء فعندها يمكن التعامل مع طبرق ، بعد أيام قليلة من الوقت الذى حدده من قبل .

وقد قال اللواء فون رافنستين الذى كان سيتحمل مسئولية قيادة الهجوم مع الفرقة بانزر الواحد والعشرين ، وعندما كان يمليه أوامره « لقد سنحت لك الفرصة لانهاء هذه الحملة الليلة » . وقد كان عليه أن يندفع في خط مستقيم خلال الاسلاك الامامية ومن خلفها ، ( دون أن يلتفتوا يمينا او يسارا ) ثم يرجعون الى البحر عند

السلوم . وفي نفس الوقت كان على احدى « المجموعات القتالية » التابعة لاحدى الكتائب المتحركة مع مجموعة من المدرعات ان تهاجم مقر قيادة القائد كاننجهام في مادالينا وكان على مجموعة قتالية أخرى من الفرقة بانزر الخامسة عشر أن تتبعها وتنقض على الموقع فتأسر محطة تموين السكة الحديد في بئر الحمسة حيث كان هناك كميات كبيرة من مخزون البترول . واذا لم تكن هناك أية قوات فيما بين الموقع والاسكندرية حسبما ظن روميل ، فعلى الفرقة بانزر الواحدة والعشرين ان تنضم اليهم ثم تقوم على الاقل بغارة سريعة على مصر وعندها يمكن وبمثل هذا الانزعاج والاضطراب والفوضى الضرورية والمتعددة للجيش الثامن أن يستغل هذا الاضطراب فيتقدم عائدا الى مواقعه الاصلية ، وفي الواقع انه قد كان هناك أحدى كتائب الفرقة الهندية الرابعة خلف احد حقول الالغام في بداية الموقع . وبعد ذلك لم يكن هناك سوى فرقة أفريقيا الجنوبية الثانية عديمة الامكانيات والتى لم تكن قد رأت طلقة مدفع حتى ذلك الحين. وكانت أقرب الكتائب للفرقة الهندية في مدينة مرسى مطروح .

ولا يمكن لاحد القول ان خطته ليست خطة جريئة حيث اعدت أثناء معركة ضارية . لماذا اذن فشلت الخطة ؟ . . . والاجابة أنها قد نجحت ولكن الى حد ما ، ولقد رغب القائد كاننجهام ان يوقف المعركة في الثالث والعشرين من نوفمبر. وقد كان يمكنه القيام بذلك بلا شك في الليلة التالية . أن لم يتوجه اليه اللواء اوكلنك بالطائرة من القاهرة للحيلولة دون ذلك . . ففى رسالة كتبت في مقر قيادة الجيش الثامن المتقدم في ليلة الرابع والعشرين من نوفمبر ، يقول اللواء اوكلنك ، بعد دراسته للاخطار التى يمكن ان تنجم من الاستمرار في المعركة ؛ « ان المهمة الثانية هى الاستمرار في تكثيف الهجوم بكل الوسائل المتاحة لنا . وليس هناك ادنى شك أن هذه المهمة الثانية هى الاصوب والسبيل الوحيد . وعلينا ان نقبل بالمخاطر التى تترتب عليها. وعليه فعليك مواصلة الهجوم على العدو بلا توقف ، مستعملا كل ما تصل اليه يدك من موارد ومعدات حتى آخر دبابة . . . . . . . . » وقد وصف بحق القائد فوللر ما جاء في هذه الرسالة بانها « مثل رائع » لمدى تأثير القيادة على العمليات الحربية .

وعلى العكس فقد استطاع أن يحد من تقدم روميل أحد صغار الضباط . فقد كان كالعادة في المنطقة الامامية ، وفي ضحى يوم ٢٥ نوفمبر تلقى اللواء رافنستين وهو يقبع خلف منطقة الحلفاية مع حوالى عشرون أو ثلاثون دبابة وهى جملة ما تبقى له من قواته المكونة من ستون دبابة . تلقى الاوامر من روميل بالاستعداد لمهاجمة مصر . وفي الساعة الثانية بعد الظهر جاءت برقية لاسلكية تقول « تلغى جميع الاوامر التى صدرت لك. وعلى الفرقة بانزر الواحدة والعشرين أن تخترق خطوط

الفرق الهندية في اتجاه البردية « فبعد هجمتيه الفاشلتين والعديمة التأثير في فترة الصباح وما بعد الظهر على الكتيبة الهندية السابعة ( ومقر قيادة الفرقة الهندية الرابعة ( خلف حقول الغامهم في سيدى عمر ساوره الشك في امكانية اختراق الخطوط ، ومع ذلك فقد أرسل أحد ضباطه على رأس طابور من عربات النقل الثقيلة ، على أمل أن يفهم العدو في الظلام على أنه طابور دبابات لكى « تفتح ثغرة » بين السلوم وكابوز وثم تستأنف السير من خلفهم .. وفي صباح اليوم التالى وهو اليوم السادس والعشرين أصبح في بردية . . وهناك وجد رومل جالسا ، في نوم عميق داخل سيارته المدرعة ، فقال فون رافنستين سيدى القائد « انه يسعدنى أن أخبرك أننى قد وصلت بفرقتى « فانفجر رومل صائحا » ماذا تفعل هنا ؟ الم أعطيك الامر أن تستعد للمهاجمة من الحلفاية في اتجاه مصر ؟ « فأخرج فون رافنستين نسخته من البرقية اللاسلكية وانفجر رومل صائحا للمرة الثانية » لقد خدعنا ، انها أمر من البريطانيين . .لابد أنهم قد اكتشفرا شفرتنا السرية ».

وبالفعل فان البرقية جاءت من المقدم ويستفال الذى أصبح فريقا ثم رئيسا لاركان المشير فون رونشتد بعد ذلك ، والذى لم يكن في ذلك الحين سوى احد المسئولين الالمان عن مقر القيادة الخلفية بالقرب من طبرق . وقد اطلع على جميع التقارير الجوية وأدرك ان خطة رومل لغزو مصر يستحيل تنفيذها فألغى الامر على مسئوليته الخاصة ، ولقد كان رومل عظيما بالقدر الذى جعله يهنئه فيما بعد فقال « لقد فعلت ماينبغى عمله أنى ممتن لك » وهكذا كان على ما يبدوا أنه فون رافنستين . . وفي نفس الفترة كانت الصيحات تتعالى لطلب النجدة من الفرقة تسعين خفيفة الحركة ، وهم يقاتلون باستماته لايقاف زحف النيوزيلانديين في سيدى رزق واثناء ليلة السادس والعشرين وليلة السابع والعشرين من نوفمبر تم احتلال سيدى رزق. كما تم احتلال الدودة بواسطة الفرقة سبعين عصر نفس اليوم كما انضم لاول مرة الجيش الثامن لحامية طبرق . وقام القائد جودوين اوستن بنقل مقر قيادة الفيلق الثالث عشر الى طبرق ، ومن ثم أمكنه ان يرسل ببرقيته التى تقول « لقد تم الخلاص لنا . طبرق وانا ».

وفي السابع والعشرين من نوفمبر وصلت برقية تخبر اللواء ريتشى الذى حل محل اللواء كاننجهام ، بأن الفرقتين بانزر كانتا في طريقهما للعودة الى الوطن بأقصى ما لديهم من سرعة .

وهكذا انتهت الرحلة تجاه الشرق . وقد نتج عن ذلك بعض الخسائر ناهيك عما سببته من ازعاج وجزع في المناطق الخلفية . ( فقد قيل ان بعض سائقى الشاحنات لم يتمكنوا من التوقف — أو يرفعوا أقدامهم عن دواسات بنزين السيارات حتى وصلوا

الى القاهرة . وربما كان هذا من قبيل المبالغة لكن الكثيرين منهم كانوا يسرعون على شكل جماعات على مشارف مرسى مطروح..

وقد فشل روميل في استعادة تقدمه بصفة عامة ، وبما أنه قد فقد الكثير من مدرعاته ، ويرجع ذلك بصفة خاصة الى مدفعية الفرقة الرابعة الهندية في سيدى عمر ، فقد كانت حالته في الموقعة الاخيرة أسوأ من سابقتها . ومع ذلك ، فان اللواء اوكلنك يعترف بأن غارته المفاجئة « جاءت كصدمة بشعة ولو قدر لها النجاح لقال عنها المؤرخون العسكريون انها احدى روائع الحروب .

ان تأمل الاحداث عند اختراق الخطوط لأكثر متعة من رؤية الحدث أثناء وقوعه سواء بالنسبة لنا أو بالنسبة للالمان . . ففى مساء الرابع والعشرين من نوفمبر عبر الخطوط الامامية كل من ر ومل مع اللواء بايرلين واللواء كروويل وهما قادة الفيلق الافريقى ، وكان روميل يقود شاحنة القيادة المدرعة الانجليزية التى تسمى ( الفيل ) وهى كتذكار من ريتشى التى كثيرا ما كان يحن اليها . وكان الوقت غروبا عندما حاولوا العودة فلم يجدوا الفتحة التى يدخلون منها داخل الاسلاك وهى الفتحة التى تظهر حزام الالغام الذى يحيط بالمنطقة ( وانى لا اذكر أنى قد كففت عن محاولة العثور على تلك الفجوة بنفسى كى استمتع بنوم هادىء في سيارتى ، ولاكتشف في صباح اليوم التالى أن العجلتين الاماميتين كانتا داخل حقل الالغام . ) وقد نام روميل والمجموعة ، وربما لم يكن نومهم هادئا ، بين القوات الهندية وتسللوا عائدين عند أول ضوء دون أن يلحظهم أحد .

وفي عصر اليوم السابق زار روميل مستشفى الميدان ، وكانت ملأى بخليط من الجرحى البريطانيين والالمان ، وبينما يسير روميل بين أسرة المستشفى لاحظ أن المستشفى مازالت في أيدى البريطانيين وأن الجنود البريطانيين كانوا منتشرين هنا وهناك . والحقيقة ان احد ضباط الشئون الطبية البريطانيين هو الذى كان يتجول به في أرجاء المستشفى معتقدا او هكذا خيل اليه أنه أحد القادة البولنديين ، لكن الجرحى الالمان كانوا يعتدلون في سرائرهم عند رؤية روميل وقد ظهرت على وجوههم الدهشة . فهمس روميل قائلا « أعتقد أنه من الأفضل لنا أن نخرج من هذا . وعندما قفز في سيارته « الفيل » عبر عن شكره بعد انتهاء الزيارة بتحية .

كما أخبرنى القائد فون رافنستين ايضا كيف حاول روميل أسر ما كان يصر على أنه القائد كاننجهام وهيئة قيادته فقال ليس عندى وقت أضيعه في الحصول على مزيد من الأسرى . والواقع ، اننى عندما كنت ادور بسيارتى خلال بعض الوحدات

البريطانية وعدد من الرجال يحاولون الاستسلام عندما رأوا الدبابات من فوقهم ، كان على أن اصرخ في وجوههم اغربوا عن وجهى فليس عندى رغبة في اسركم ماذا افعل بكم ؟ ثم انضم الى روميل وعلى ربوة عالية في اتجاه شرق الاسلاك رأينا من خلال المنظار مجموعة من هيئة الضباط بخرائطهم فقال روميل « القائد كاننجهام اذن وآتنى به مأسورا ( وبينما كنت أقوم بجمع دبابة أو أثنين فقد روميل صبره قائلا لا عليك سأذهب وأتولى أمره بنفسى » وعندما وقف في سيارته ، وعلى جبينه منظاره المكبر وبعد أن لوح لنا وصاح اندفع مع ثلاثة سيارات قيادة غير مدرعة وحوالى عشرون دراجة نارية ، واختفى تحت سحابة من التراب . . ومع ذلك فقد رآهم القائد كاننجهام ( اذ كان هو القائد كاننجهام فعلا ) قادمين فقفز مع رجاله في سياراتهم واختفوا عن الانظار حيث كانوا على مايبدوا بلا سلاح وبدون حراسة .

( ما زلت لا استطيع أن اكتشف ماذا تبقى من « المجموعة القتالية » من الفرقة بانزر الخامسة عشر التى كان من المقرر لها أن تقوم بمهاجمة مادالينا فقد قتل القائد نيومن سلكو ، وهو ابن لام اسكوتلاندية والذى تولى قيادة الفرقة بعد عشرة أيام بعد ذلك ولم يعرف بذلك أحد فيما يبدو ولو عادت الفرقة لوجدت مقر قيادة الجيش الثامن في حالة حركة دائبة يحاولون تنظيم قوة دفاعية من الدبابات يقودها أفراد غير مدربين ودون ذخيرة وبهذا الشكل لم ينفذ جزء اساسى من الخطة .

واستؤنف القتال المرير من حول سيدى رزق وقد كان يمكن لكل شيء أن يستمر اذا ما استطاعت الكتيبة الاولى من جنوب أفريقيا القيام بتدعيم النيوزيلانديين في الوقت المناسب ، وكانت الفرقة جديدة على حرب الصحراء وكانت الفرقة الخامسة منها قد أكتسحت ودمرت قبل اسبوع على اثر هجمة المانية نفذت ببراعة . وقد كان اللواء « دان بيتار » وهو أحد أبطال الحرب الاخيرة الماكرين من أكثر الحريصين عند تحركهم عبر أى حدود ، وربما قد أسر بواسطة أحدى مدرعات العدو أثناء وجوده في أرض مكشوفة وكان تقدمه بطيئا ومترددا . وعندما وصلت الفرقتان الخامسة عشر والواحدة والعشرين بانزر بعد أن انهوا قتالهم مع قوة دبابات مركزة من الفرقة السابعة المدرعة وهم في طريق العودة ، لم يتمكن اللواء فراى بيرج من مواصلة التقدم وتم طرد النيوزيلانديين من سيدى رزق . وفي أول ديسمبر عزلت طبرق مرة أخرى . وبالرغم من هذا فان القائدين ريتشى واوكلنك اللذين انضما اليه في ميدالينا قد استنتجوا بأن روميل قد انهكت قواه وقرروا الا يعطوه الفرصة . وفي الواقع أنه قد قام بمحاولتين اضافيتين . ففى محاولة للوصول الى مواقعه الامامية أرسل بطابورين مدرعين قويين تجاه الشرق ، احدهما على الطريق الساحلى ، والاخر على

امتداد كابوزو وفشل كلاهما ، وكان سبب فشل الاول الكتيبة النيوزيلاندية الخامسة كما هزم الأخر بواسطة الكتيبة الهندية الخامسة . وفي صباح اليوم التالى ٤ من ديسمبر شن هجوما مكثفا على الجزء البارز من طبرق . وقد كان الهجوم قريبا من النجاح حيث كانت تدعمه المدفعية من عيار ٨٨ مم التى اقيمت في نطاق قريب ، ولو استؤنف القتال في اليوم التالى لتم النجاح لأنهم قد استطاعوا إختراق مواقعنا الى أعمال كبيرة . ولكن في تلك الليلة بدأ روميل في الانسحاب معتقدا بأن الجيش الثامن كان على وشك مهاجمته مرة أخرى .

ولم يكن الانسحاب هزيمة . فقد أصبح قتالا يصحبه مجرد تراجع في المواقع بمساعدة دفاعا رائعا يثير الدهشة عند منطقة بئر الغبى يقوم به الايطاليين وكان هذا التراجع يتم دونما أى استعجال . وخلف ستار من المدفعية المضادة للدبابات تعاملت المدرعات الالمانية بمهارة وقاومت كل محاولات الالتفاف كما تمكنت من الوصول الى القوة الرئيسية . وكلما سنحت الفرصة ، كانت ترد الضربات ومازلت — أذكر عصر هذا اليوم الذى يظلله الغمام من شهر ديسمبر وبالتحديد كان يوم الخامس عشر عندما كنت أقف بجانب عربة الكتيبة الهندية الخامسة بالقرب من علم حمزة وسمعت آخر مكالمة هاتفيه التى جرت مع أحد ضباط القيادة العسكرية عندما أكتسحت الدبابات الالمانيه مجموعاته . وبسبب كل ما سبق أضطر روميل بالتدريج للانتقال والتخلى عن كل موقع كان يحاول احتلاله . والان رغم تفوقه العددى في الدبابات الا أنه كان ينقصه الوقود ، وذلك بفضل تدمير السيارات المدرعة الرابعة التابعة لجنوب أفريقيا لاحد مراكز تموين الوقود الرئيسية بالقرب من بئر الغبى ، وبذا لم يكن أمام روميل الا أن يقاتل سلسله من المعارك بغرض تعطيلهم فقط. وفي الحادى عشر من يناير تمكن من ايجاد موقعا دفاعيا قويا حول العقيلة حيث أمتدت أحزمة عريضه من الملاحات والكثبان الرملية والتلال الصغيرة العديدة في اتجاه الجنوب لمسافة خمسين ميلا ، وكان جناح جيشه الجنوبى يعسكر في المنطقة المترامية الاطراف من بحر الرمال الليبى » ولم يتبقى للجيش الثامن ما يمكنه من انقاذه .

وقد كتب المقدم كارفر من الفرقة المدرعة السابعه ليقول « بالنسبة لاولئك الذين قد راقبوا المعركة من بعيد بغرض متابعة سيرالامور فان تغيرات المعركة كانت شيئا يصعب تفسيره ، فكل ما أمكن معرفته هو عدم تحقيق الامال التى كلما طفت عادت لتغوص . وكلما لاحت عادت لتغيب حتى أنه عندما لاح النصر أخيرا وأنهارت قبضة روميل على برقه . فشل هؤلاء في فهم واستيعاب الاصرار القوى الذى تم من بعده النصر في النهاية وبالنسبة لهؤلاء الذين اشتركوا في المعارك فقد ذاقوا مرارتها ،

ولعن الذين كانوا يحاربون من دباباتهم اولئك الذين زجوا بهم في المعركة فقد كانوا أقل عددا في المدرعات والتسليح . كما أن دباباتهم كانت دائمة التعطل . أما المشاه ومعهم المدافع المضادة للدبابات عديمة الجدوى فكانوا يتطلعون الى الدبابات على أمل حمايتهم ضد دبابات العدو وكانت المرارة عند فشل الدبابات في ذلك ، وكانت قوات المدرعات — يتحركون بسرعة من مكان الى آخر لحماية المشاه من تهديدات دبابات العدو والذى لم يتحقق ، ولما لم تتحقق الحماية وجهوا اللوم للمشاه الذين تسببوا في انهاك قوى دباباتهم واطقمها من الضباط بسبب عدم معرفتهم وسوء استعمالهم لهذا السلاح الفعال في حرب الصحراء .

ولى أن أضيف ملاحظة تخصنى بهذا الخصوص ، فمع أنه قد ذكر في مذكرة اللواء اوكلنك بأنه ليس هناك من يدرب ممن لم يشترك في حرب الصحراء الى أى مدى يكون ملاحظة الاختلاف بين النجاح التام والنجاح النسبى الذى يقوم على الاجهزة والاستعدادات وخاصة التى كانت من أردأ الانواع ، فان الذى ارسل بقواتنا الى حرب الصحراء ومعها صفائح البنزين عبوة ٤ جالون عليه أن يسأل في ذلك ، ويقول اللواء اوكلنك أن هذه العبوات كانت رديئة الصنع « قد أدت الى خسارة تقدر بحوالى ٣٠٪ من الوقود ما بين المخزون والاستهلاك . وطالما أن المسئولين عن نقل احتياطى البنزين الينا طلبوا ١٨٠٠٠ جالون في اليوم ، فتكون الخسارة الاجمالية لا يمكن حصرها. ولحساب الدبابات التى دمرت والرجال الذين قتلوا او الذين أسروا بسبب نقص البنزين في اللحظات الحرجة والسفن والبحارة التجار الذين فقدوا في حملة ، نجد أنه يستحيل علينا حصرهم . ولم تؤد عبوات علب البنزين ذات الاربع جالونات الى استعمال غير اقتصادى للنقل حسبما علق اللواء اوكلنك على ذلك ، ولكنها ايضا شجعت على التبزير . فما الذى يمكن أن تفعله باحدى الصفائح التى يتسرب منها البنزين اذا ما كانت خزاناتك مليئة ؟ وكانت اجابة الجندى البريطانى الدائمة على هذا السؤال هى الاسراف، بل وما قام به فعلا هو أن يلقى بها على جانب الطريق . ومع ذلك ففى بداية عام ١٩٤٢م عندما عدت الى الهند كان هناك احد المصانع خارج القاهرة ما يزال ينتج هذه الصفائح البغيضة . وقد أكد هذا الى حد ما الاشاعة التى انتشرت والتى تقول بان احد المسئولين في وزارة التموين قد امر بصنع الملايين منها وأصر على استلامها ولم يتفق ذلك مع ما قاله لى أحد المهندسين المرموقين الذى كنت أناقش معه الامر في نيودلهى ، وأنه قد رأى في أحدى ورش السكك الحديدية في مدينة جراليور تصميما من اجل الانتاج بالجملة للاوعية الالمانية الرائعة التى تسمى جبركن والتى كانت كل من تقع يده على احداهما يسرع لاقتنائها وعندما سألت وفيما

تستعمل هذه الاوعية ؟ قال أنهم يستخدمونها في صناعة أفران من الحديد لاسرى الحرب الايطاليين « وفي هذا الوقت كانت مدرعاتنا قد تعطلت بسبب قوات الحرس التى في مؤخرة جيش العدو ثم انتهى الامر الى أن توقفنا تماما عندما نقص البنزين » فكم يا ترى عدد ملايين الجالونات من البنزين التى ضاعت في الرمال .

وتحت تأثير هذه المعوقات ، وليس لدينا سوى اعداد كثيرة من الدبابات المكشوفة عديمة الفاعلية لسوء حالتها ولضعف اسلحتها ومع عدم امكانية تعويض تلك الدبابات أثناء العمليات ومع اضطرارنا لاستعمال المدفعية من عيار ٢٥ رطل بسبب نقص المدفعية المضادة للدبابات حتى نتمكن من صد فرق البانزر ، وقد تمكن الجيش الثامن بفرقة واحدة وغير مدربة على حرب الصحراء تفوق قواتها قليلا قوة العدو من الناحية العددية تمكن من هزيمة روميل وطرده من برقه . وقد كان من الممكن ان يتم ذلك بمائة دبابة فقط من طراز شيرمان وأن يحطم قوات روميل ويتم له انهاء الحرب في شمال أفريقيا . ومع ذلك فلم يسمح لهؤلاء الذين كتبت لهم الحياة بعد هذه الحرب أن يتقلدوا ما يشير الى الرقم (٨) فوق قلادة أفريقيا . والسبب في ذلك حسب تقدير السلطات المسئولة عن مثل تلك الامور بأن الجيش الثامن قد ظهر الى الوجود فقط في الثالث والعشرين من شهر أكتوبر سنة ١٩٤٢م في معركة العلمين حيث كان لهم شرف المشاركة في القتال معه في تلك الايام المجيدة له .

## الفصـــل الســـابع

## على مشـــارف الاسكندرية

اذا ما كانت لرومل احدى الصفات البارزة فانها مرونته . ويمكن ان تشبهه بتلك الدمى الثقيلة من احدى جوانبها . فما يكاد يقع الا وينتصب واقفا على قدميه مرة أخرى .. ففى الحادى عشر من يناير سنة ١٩٤٢م . كان يعلق جراحه خلف العقليلة . وفي نفس ذلك اليوم على مسافة ثلاثمائة ميل تجاه الشرق تمكن فيلق جنوب أفريقيا من احتلال السلوم . وكانت البردية قد سقطت في أوائل نفس الشهر . وفي السابع عشر من يناير استسلمت الحامية العسكرية بالحلفاية بعد أن أنقطعت عنها المياه وانهكها نقص المواد الغذائية . وأخضعت النقاط القوية الامامية على مهل وبأقل الخسائر وبذا فقد تقرر مصيرها منذ اللحظة التى بدأ فيها رومل أنسحابه .

وتم تدمير ثلثى جيش المحور . وقد تمكن نصف الفيالق الافريقية بصعوبة بالغة من النجاة من الموت ، والاسر أو الشلل . وقد كانت الروح المعنوية للناجين بالغة السوء . أما بالنسبة للايطاليين فان الروح القتالية لديهم اذا صح التعبير في فرق مشاتهم قد انخفضت الى الصفر خلال طريق العودة الطويل من طبرق . « فقد كانوا يشكون من أن الالمان قد أخذوا كل وسائل النقل الخاصة بهم » وأنسحبت الفرقتان الالمانيتان بانزر . أو بالاحرى ماتبقى منهما لكى يستعيدوا تجهيزاتهم العسكرية . وقد احترقت ثلاثمائة وست وثمانون دبابة من جملة دبابات رومل البالغ عددها أربعمائة واثنى عشر واصبحت على شكل حطام أسود في جميع أنحاء أرض المعارك . كما اسقطت ثمانمائة طائرة من جملة القوة الجوية البالغ عددها الف طائرة دمر بعضها وهى مازالت جاثمة على الارض . ولم يكن من المتوقع أن تقوم اية تشكيلات المانية جديدة لفترة طويلة من الوقت . وقد كان كل مايطمح اليه رومل هو أن يتمسك بالعقيلة الى أن يبعده الجيش الثامن أو أن يضطر للانسحاب بسبب صعوبة وصول الامدادات التموينية . وقد قدر اللواء اوكنيلك بانه لن يستطيع هو نفسه أن يتغلب على مشاكله الادارية ويركز قواته على نحو يسمح له باستئناف الهجوم الا في منتصف شهر فبراير .

وفي الواحد والعشرين من يناير هاجم رومل . « وحدث المستحيل : فقد بدأت قوات المحور في التقدم دون سابق انذار » .

وفي الواحد والثلاثون من مارس ١٩٤١م عزم روميل اولا على القيام بعمليات استطلاعية على مساحات كبيرة – ومع ذلك فقد كان هذا يتطلب رجلا صلبا قويا سواء من الناحية البدنية أو من الناحية المعنوية ، لكى يفكر في هذا في نفس تلك اللحظات لان روميل مثله في ذلك مثل قادتنا قد صار له شهرين متتاليين من القتال بلا انقطاع . وكأى منهم أيضا كان عليه أن ينام في داخل أو بجانب عرينه ، دون أى ازعاج لاكثر من ساعة أو ساعتين . وكأى منهم أيضا كان يأكل مايمكن أكله في الوقت الذى يتمكن فيه ذلك . وكأى منهم كان عليه مواجهة البرد الشديد والمطر والعواصف الترابية التى تجعل الرؤية منعدمة والاكثر من ذلك فقد أمضى معظم أيامه ولياليه وهو يضرب بسرعة في كل أرض المعركة . وأثناء انسحابه الطويل فلم يكن يحس بنشوة المطاردة ولا بحلم النصر حتى يمكنه أن ينسى كل مالاقاه من أرهاق . وعندما وصل الى العقيلة كانت قواه قد خارت تماماً . ومع هذا فلم يكل الى رجال الفيالق الافريقيه بأهداف محددة . فكان عليهم أن يأخذوا تموينهم لمدة ثلاثة أيام ويتبعوه بأسرع مايمكن . وبعد تكامل الاستعدادات واعادة التجهيز ولكن بما لايزيد عن مائه دبابة بعضها خفيف وبلا غطاء جوى على الاطلاق بدأ يخرج في ثلاثة طوابير وبسرعة تنحى الطابور الضعيف الخاص بقوات التغطية المشتتة في كل اتجاه . ويقول اللواء أوكنلك ، « وكالعادة استطاع روميل بسرعة وبمهارة ان ينجح في مبادرته « فتحولت قوات الاستطلاع في الحال الى قوات هجومية وكانت الفرقة الاولى المدرعة جديدة على حرب الصحراء وهى التى حلت محل « فئران الصحراء » التابعين للفرقة السابعة المدرعة التى اشتهر عنها الحنكة في الحروب . ففقد ت مائة من مجموع الدبابات البالغ ١٥٠ دبابة بالاضافة الى عدد كبير من المدفعية . واختل توازن الجيش الثامن . وفي السابع من فبراير وبخسائر بلغت حوالى ٣٠ من دباباته عاد بسرعة الى خط الغزالة ، بير حكيم . وقد كانت القيادة جريئة وحكيمة على أى مستوى .

ولم تكن مقاييس الضغط الجوى هى التى تنبىء بالاضرار فقط بالنسبة للبريطانيين فمن الشرق البعيد كانت تهب الرياح القارصة ، وكانت علامات الكارثة وشيكة الحدوث تلوح في الاجواء . وعندها كان اليابانيون يكتسحون الغابات الوعرة » بسرعة كبيرة في الملايو . وكانت « القلعة المنيعة » في سنغافورة على وشك أن تهاجم من الناحية التى لايمكن أن يأتي منها هجوم وفي بورما كان على احدى الفرقتين الضعيفتين ان تقوم بالانسحاب – ان تيسر لها ذلك . وبالقرب من الوطن ، جاءت القيادة العليا للمحور لمعاينة الاهمية الحربية لمالطا والبحر الابيض المتوسط

فشنت على الجزيرة هجومات جوية متواصلة ، وكنتيجة لذلك لم يفقد روميل طنا واحداً من ذخيرته في يناير . واغلقت الغواصات والطائرات منطقة البحر الابيض الرئيسية في وجه قواتنا البحرية .. وتكبدت قواتنا البحرية خسائر فادحة فترك القائد البحرى كاننجهام وليس لديه سوى ثلاثة طاردات ومجموعة قليلة من المدرعات . وغاصت بارجته الحربية الى الاعماق في الاسكندرية .

ونتج عن هذه الاحداث سلسلة من ردود الفعل . فمثلا كان على اللواء وافل ان ينفض عنه الضعف ليساعد الحملة المقدرة على اليونان ، منع أيضا اللواء أوكنلك من بناء قواته عن طريق طلب بعض التعزيزات من الشرق البعيد . وفي ديسمبر وقبل أن يتم ابعاد روميل عن مواقعه في الغزالة توجهت الفرقة الثامنة عشر من الشرق الاوسط الى الملايو . (فهبطت في سنغافورة قبل معاهدة الاستسلام مباشرة .واتجه لواءان مباشرة الى معسكرات سجن اليابان دون اطلاق رصاصة واحدة . ) وفي نفس الوقت توقفت مسيرة الفرقة الهندية السابعة عشر . وكان لابد من التضحية ايضا بالدبابات والطائرات المقاتلة والمدفعية .

ومع ذلك فلأنه بدأ مؤكداً سقوط مالطا ان لم تستطع أن نؤمن المطارات في غرب برقة ونتمكن من ايجاد غطاء للجزيرة وتخليص خفر النقل البحرى — أصرت رئاسة الوزراء على شن هجوم مرحلى في أقرب لحظة ممكنة . ومتى تكون تلك اللحظة الممكنة ؟ . وقد كان رأى رئيس الوزراء « الآن ان لم يكن قبل ذلك » وقال اللواء اوكنلك » كلما لاحت فرصة النجاح له » فيمكن للهجوم المدروس أن ينتج عنه التدمير الكلى لقوات المدرعات الجديدة التى كان يحاول تكوينها . عندئذ وفي محاولة لانقاذ مالطا ، يمكن أن يفقد مصر وكل منطقة الشرق الاوسط . واحكمت الدائرة احكاما تاما على اساس أن كل يوم يمر ولا تتمكن فيه مالطا بالتدخل مع انشاءات روميل يقلل الفرصة من مهاجمته بنجاح . وفي فبراير وصلت الى طرابلس بعثة عسكرية تحمل عدداً كبيراً من الدبابات .

ان المناقشات من بعيد مثلها مثل المكالمات الهاتفية البعيدة في الهند ، كلاهما يترك للمتحدث الغاضب انطباعا بأن الشخص الذى يتحدث معه على الطرف الآخر لابد وأن يكون أحمقاً . وتتحقق هذه النظرية بصفة خاصة اذا ما كان كلاهما يعتقد من وجهة نظره الخاصة أنه على صواب . ولحسن الحظ فان سير ستافرد كريبس واللواء ناى وهو نائب رئيس هيئة الاركان العامة قد تم اقناعهما بالتوجه الى القاهرة . بما أن اللواء اوكنلك لم يقتنع بمغادرة الشرق الاوسط ويتوجه الى

القاهرة . وهناك امكن للقائد العام أن يقنعه بأن قواته في المدرعات والطائرات كانت أقل من أن يستخدمها في شن هجوم فورى وناجح .

وتم الاتفاق ، وتحدد الهجوم في منتصف مايو وقد وصلت الى روميل في نفس الوقت دبابات عديدة كثيرة جداً لدرجة أن تفوقنا العددى في الدبابات أصبح محل شك . ومع ذلك فقد أصرت القيادة الحربية على أنه يجب قبول المخاطرة بفقد مصر من أجل انقاذ مالطا . وصدرت الاوامر الى اللواء اوكنلك بشن هجوم في موعد أقصاه منتصف يونيو . أما ماجرى في الواقع فهو أن روميل قد بدأ هجومه أولا ، في السابع العشرين من مايو ، بقوات من الدبابات تتساوى في العدد وتفوق في النوعية الدبابات الامريكية الحديثة » جنرال جرانت ( نفسها . ولم يمكن احتلال المطارات الغربية لبرقة ، ولم تسقط مالطا ، وذلك بفضل الخطأ الذى وقع فيه هتلر عندما أجل الغارة الجوية عليها ، ولكننا كنا على وشك فقدان مصر .

وقد نزلت كوارث يونيو سنة ١٩٤٢م كالصاعقة على الجماهير البريطانية وكان أكثر ماهزهم هو سقوط طبرق التى لم يكن مخططاً للاحتفاظ بها في الواقع اذا ماحدث شيء مفاجيء وبسبب استسلام قوات جنوب أفريقيا هناك وبسبب التحالف القديم مع استراليا فقد شملهم الرعب والهلع بنفس القدر وحتى الجيش الثامن الذى كان قد أحس بالنصر وذاق حلاوته في أول الايام القليلة من الحرب لم يفهم كيف تسلل النصر من حوزته . وهكذا لم يكن هناك من يتوقع على الاطلاق أن روميل كان قريبا الى هذا المدى من الهزيمة والاستسلام .

وقال اللواء بايرلين « وانتقل الهجوم على اللواء المائه والخمسين في ظهر « الحلاب » فلم نكن نعلم بوجوده هناك . وفشلت هجماتنا عليه ولولم نحتلها في الأول من يونيو لكنت قد قمت باحتلال كل الفيالق الافريقية وفي مساء اليوم الثالث أحاطت بنا القوات ونفذ الوقود تقريبا . وكما حدث فقد كانت معجزة عندما استطعنا أن نحصل على امدادات التموين من خلال حقل الالغام في الوقت المناسب .

وقد كان موقع الغزالة يحتوى أساساً على حقول من الالغام تمتد من الغزالة على الساحل الى بئر حكيم الى مسافة ٤٠ أربعون ميلا جنوبا في الصحراء المكشوفة . ولم تكن حقول الالغام وحدها لتستطيع أن توقف الدبابات . وكان يمكن تطهير الطرق التى بينها بسرعة . ولابد أن يكون هناك شيء من خلفها . وقد كان من المستحيل القيام بالحفر وتثبيت الرجال في مجموعة من الخنادق الممتدة كما حدث في حرب سنة ١٩١٤م . الى ١٩١٨م . وعلاوة على ذلك فان هذا يمكن أن

يكون بلاجدوى ، ومهما امتدت هذه الخنادق فان الجناح الشمالى لابد له أن يكون في الجو . ولقد صمم كل من اللواء اوكنلك واللواء ريتشى مجموعة من المواقع الحصينة أو النقاط القوية ، أولها في الغزالة ، وآخرها في بئر حكيم فتم تطويقها بالاسلاك الشائكة وزرع الالغام بها واعدادها للدفاع من كل اتجاه وقد كانوا حقيقة كالقلاع الحصينة . ودعمت حاميتهم العسكرية لاقامة سياجا مع مجموعة من المدفعية داخل هذه المواقع .

وكانت هذه المواقع أو الحصون ذات وظيفة مزدوجة . ففى المقام الاول كانت مهمتها حراسة حقول الالغام ومنع خطوط تموين العدو من المرور خلالها في أوقات الفراغ . وفي المقام الثاني كانت كقلاع العصور الوسطى تعتبر نقاط مقاومة على كل عدو حازق ان حاول التقليل من عددها ، والا فان الحامية العسكرية يمكن أن تقوم بهجوم لاخذه الى مؤخرة خطوط مواصلاتها فبينما هو مشغول معهم كانت مدرعاتنا تبعده خارج نطاق هذه المواقع . ويمكن أن تنقض عليه . وبعد أن اجبروه على الدخول معهم في معركة نختار توقيتها بأنفسنا حتى يمكن لنا عندما تحين اللحظة المناسبة أن نشن هجومنا من الموقع الدفاعى الصلب والذى يمكن أن نرتد منه في حالة الضرورة وهو موقع الغزالة الذى كانت تتدفق عليه أفراد الجيش الثامن .

وكما كان يرى اللواء أوكنلك فان هدف رومل حقيقة لابد وان يكون طبرق مرة أخرى ، فلم يكن يجرؤ على التقدم الى مصر حتى يحتلها . ولكى يهاجم طبرق فأمامه واحد من بين أختيارين . فأما أن يشق طريقه بين حقول الالغام واماكن الجنود الخفيفة ليصل اليها مباشرة . أو أن يطوق كل منطقة الغزالة ويلف عن طريق بئر حكيم ثم يضرب ضربته شمالا . واختار رومل الطريقة الثانية . وكان على فرقة المدرعات ـ الايطالية والتى تسمى الاريفى احتلال بئر حكيم في أول الليلة الاولى ان امكن ذلك . وفي كل الأحوال يجب على الفرق الافريقية الاتجاه مباشرة الى ناحية البحر . ومعنى هذا أن يحتل طبرق تماما في اليوم الثالث بعد أن يسحق المدرعات البريطانية ؟ وكان على الفرق الايطالية أن تحتل المقدمة لمنعنا من اختراق الخطوط الغربية من منطقة الغزالة . وكانت احداها وتسمى تريستى كان عليها مهمة فتح احدى الثغرات خلال حقل الالغام حيث يعترضها طريق العبد . وكان هذا من دواعى الحذر ، ولاختصار خطوط الامدادات والتموين في حالة سقوط بئر حكيم على وجه السرعة . وقد أقيم خلف حقل الالغام هذا مواقع اللواء المائة والخمسين .

وقال اللواء بايرلين « اني لا أميل مطلقا الى هذه الخطة ، وأنا كرئيس لاركان الفيلق الافريقى ، أخبرت رومل برأى هذا بصفة مستمرة . فقد بدأ لى أنها مخاطرة أن نستمر دون أن نوجه الضربة الاولى القاضية لبئر حكيم . وقبل ستة أسابيع سألني « ماذا كنت فاعلا بمدرعاتك لوكنت في محل اللواء ريتشى ؟ فأجبته بأنى كنت احتفظ بالمدرعات سليمة واتجه بها شرقا في مكان حول منطقة العدم وأرفض المبادأة بالقتال . ثم أضرب على الجناح عندما أصبح داخل منطقة الغزالة فقال لى انك لمخبول ، انهم لن يفعلوا ذلك . مع أن هذا هو ما كان سيقوم بعمله بالفعل . وفي الواقع فاني أعتقد أن تجهيزات اللواء ريتشى كانت ممتازة كما كانت الدبابات الامريكية من طراز جنرال جرانت أيضا ممتازة بمدفعيتها من عيار ٧٥ مليمتر التى جاءت كمفاجأة كبيرة لنا ففقدت الفرقة الخامسة عشر بانزر مائة دبابة في اليوم الأول .

« وأسقطت طائرة اللواء كروول قائد الفيلق الافريقى ، وقام بهبوط أضطرارى في مواقع اللواء المائه والخمسون حيث أخذ أسيراً . وجرح اللواء جوسى وهو رئيس أركان رومل واسندت قيادة الفيلق الافريقى الى اللواء نيرنج . كما اسندت الى مهمة جوسى . وعندما فشلنا في احتلال بئر حكيم وفشلنا في أقامة طريق لنا عبر حقول الالغام ، توجه كل منا بالرجاء الى رومل أن يوقف المعركة لكنه لم يعطنا أذن صاغية . وكان هذا على ما أعتقد في مساء ٣١ مايو .

لقد كنا حقيقة في وضع لا نحسد عليه فقد كان حقل الالغام في ظهورنا ، بلاطعام ، وبلاشراب ، وبلا وقود والذخيرة قليلة ، وليس هناك أى طريق عبر الالغام نتنقل منه ، ومازالت بئر حكيم صامدة تحول بيننا وبين خطوط تموىناتنا الاتية من الجنوب .

وقد كنا نهاجم من الجو طوال الوقت . وقد كان من الممكن أن نستسلم بعد أربع وعشرين ساعة أخرى .

ويتفق هذا تماما مع قصة سمعتها في معسكر سجن باريس بعد أيام قليلة فقط من تلك الاحداث . ففى أول أيام الهجوم تم اكتساح اللواء الهندى الثالث المتحرك . وقد دمرت دبابة احد ضباط فرقة الفرسان العاشرة وهو صديق قديم لى ووجد نفسه بعد ذلك بين الأسرى الهنود بالقرب من مقر قيادة رومل شرق حقول الالغام وكان رومل يقوم بمحاولات يائسة لاحتلال موقع اللواء المائة والخمسين ويحصل بذلك على خطوط تموينه مستخدما في ذلك مدى المدفعية من عيار ٨٨ م.م وذلك

لكى يتجنب مدرعاتنا . وكان الاسرى الهنود يموتون عطشا ويتقاتلون على قطرات المياه التى كانت تقدم للجرحى وطلب الرائد آرشرشي وهو ضابط مهيب الطلعة أن يرى روميل ، ولدهشته سمح له بذلك وقد كان يتحدث الالمانية بالقدر الذى يسمح له بالاحتجاج . بأنه اذا لم يكن في الامكان تقديم الطعام والشراب للاسرى ، فأنه ليس من حق الالمان الاحتفاظ بهم وعليهم ان يعيدوهم للخطوط البريطانية . وكان روميل منطقيا بل ومتعاطفاً . فقال له انكم تحصلون على نفس القدر من الماء تماما مثل قوة الفيلق الافريقى ومثلى وهى : نصف كوب من الماء . الا أنى أوافق على اننا لايمكن أن نستمر على هذا النحو . وان لم نتحرك هذه الليلة فسأطلب من اللواء ريتشى الاتفاق بهذا الخصوص . ويمكنك أن تحمل له رسالة منى ........ »
وقد كان على مايبدو أن روميل رغم عدم تصور أى انسان لذلك كان يوقع بنفسه في الاسر بهذه الليونة . ولكن اللواء أوكنلك الذى كان قد عاد الى القاهرة رأى قبل اللواء ريتشى ان احتلال مواقع اللواء المائة والخمسين قد قلب كل الاوضاع . فكتب في الثالث من يونيو يقول « انى سعيد لاعتقادك أن الموقف مازال في صالحنا ومازال في تحسين مستمر ، وعلى أى حال فاني أرى أن هناك شك في تحطيم قوة اللواء المائة والخمسين وتماسك العدو في احد الجروف العريضة والعميقة في وسط موقعك . واني لاشعر انه اذا ماسمح له بتقوية نفسه .... فان موقعنا في الغزالة الذى يشمل بير حكيم لن نتمكن من حمايته نهائيا . وحتى اذا مالم يجدد هجومه ...... فسيتمكن وبسرعة من استعادة المبادأة من موقعة هذا . هذه المبادأة التى انتزعت منه في الاسابيع الماضية من القتال ...... .

اذا مالخطأ الذى حدث ؟ . ان الشعور بالحكم بعد وقوع أى حدث شيء سهل ففى هذا الحال فان لدى مايشير الى أننى كنت على حق آنذاك . ففى الكتاب المسمى « معركة عام » يعيد الن مورهد الى ذهنى ما أخبرته به في اليومين الثاني والثالث من يونيو وهو أننى كنت أخشى أن يكون قد فات الاوان بالنسبة لنا عندما لم نقم بشن الهجوم مع الفرقة الهندية الخامسة ، تحت قيادة اللواء بريجز عندما أصطدم روميل بحقل الالغام . وفي الواقع أن مثل هذا الهجوم قد تم التفاهم فيه من قبل . وفي فترات الراحة في اليوم الثاني من يونيو رأيت الاواء بريجز وهو ضابط معتدل لكنه مخادع وقد عبرنا عن أسفنا نحن الاثنان على تأخر الهجوم .

لقد كنا في لحظة ما على وشك الهجوم : وفي وقت آخر كانت الفرقة كلها تتجه حول بير حكيم لتبدأ المسيرة الى درنة بدون توقف . وفي النهاية أخذنا نهيم في كل الانحاء فيما حولنا ولم نقم بعمل أى شيء .

وعندما بدأ الهجوم في الخامس من يونيو كان قد تأخر عن موعده بثلاثة أيام طويلة وسقط موقع اللواء المائة والخمسين: وامكن تطهير أحد الطرق داخل حقل الالغام واستعاد الفيلق الافريقى ثقته بنفسه مرة أخرى ومعه الوقود والطعام والماء والذخيرة مع عدد كبير من المدفعية من عيار ٨٨م.م صامدة في مواقعها بالاضافة الى الدبابات الموجودة خلف الفرق في مكان بارز. وفي هذا الهجوم المتأخر نجح اللواء العاشر من الفرقة الخامسة الى حد ما الا أن مدرعاتنا فشلت في الاستفادة من هذا النجاح . وفي المساء تسللت الدبابات والمشاة المحمولة بالسيارات واحاطت بمؤخرة اللواء واكتسح الالمان الذين يركبون ناقلات بريطانية الكتيبة الوحيدة التى تحمى الجناح قبل أن يتم التعرف عليهم . وتبعتهم الدبابات وقوات المشاة المحمولة . واحترق مقر قيادة اللواء ومقر القيادة التكتيكية للفرقة واختفت بين دخان الخيام والعربات والشاحنات المشتعلة فيها النيران .

واستطاع كل من اللواء بريجز واللواء ميسيرفي من الفرقة المدرعة السابعة والعائدين من جولة استطلاعية ان يتسللا من بين الدخان ، أما العميد بوشر وهو آمر اللواء الذى كان يشق طريقه عائداً الى مقر قيادته وأنا الذى كنت انتظره فقد كنا أقل حظا منهم .

وفي تلك الليلة وبينما كنت جالسا بين الدبابات الالمانية في الخلاء كان من السهل أن أتبين أن رومل سيتحرك مرة أخرى . فقد استعاد المبادرة التى انتزعها منه اللواء ريتشى حقيقة وأنه ليس لديه أى استعداد للتخلى عنها . وكان الخامس من يونيو هو نقطة التحول في المعركة مع أن فرصة الفوز بها تماما جاءت متقدمة بثلاث أيام .

فقد قام رومل الآن بما كان ينبغى عمله منذ البداية فقد أرسل اللواء بايرلين لكى يعزل بير حكيم عن القتال . وقد أستغرق هذا الامر أسبوعا من نيران المدفعية وهجمات طائرات استوكا . وحتى ذلك الحين كانت القوات الفرنسية الباسلة لاتزال صامدة . الا أنهم لم يستطيعوا الصمود أكثر من ذلك وقام اللواء ريتشى بابلاغ اللواء كونج بضرورة التخلى عن بير حكيم في ليلة العاشر من يونيو كما كان عليه محاولة القيام بعملية اختراق من جانبه وذهب مع جزء كبير من قواته وتولى قيادة السيارة سائقه بريطانية .

وعاد رومل الى خطته الاصلية في استعادة طبرق جاعلا بير حكيم وراء ظهر فعند منتصف ليلة الحادى عشر كانت الفرقة الخفيفة التسعين على بعد أميال قليلة

جنوب العدم . واصطفت فرق المدرعات على يسارها . ثم تبع ذلك يومين من معارك الدبابات الكبيرة والحاسمة . ودفع رومل بكل مدرعاته في المعركة . لكنه قد دفع بهم خلف حائط من المدفعية المضادة للدبابات الذى اصبح ينتج الآن منها أكثر مما كان يعتقد أنه في حوزته . وبعد أن ضعفت الوية المدرعات البريطانية بسبب فقد معظم دبابات الجرانت كان عليها أن تحاول أختراق هذا الحائط لتصل الى الدبابات الالمانية وتلقت المدافع ضربات ثقيلة منها . وانقضت الدبابات على ماتبقى منهم . وعندما أسدل الليل ستائره في الثالث عشر من يونيو كانت معظم قواتنا المدرعة قد فقدت . وعلاوة على ذلك فقد استطاع العدو السيطرة على أرض المعركة كما امكنه العمل على أصلاح دباباته المعطلة ، أما دباباتنا فقد فقدناها .

وكان من الواضح آنذاك أن منطقة الغزالة يمكن التخلى عنها . ولم يكن كل من اللواء اوكنلك واللواء ريتشى يرغبون في الاقرار بهزيمة الجيش الثامن . وقد تم فقد مدرعاته الا أن كثير من قوات المشاة التابعة له قد ظلت سليمة . وكانت الاوامر قد أصدرت للفرقة النيوزيلاندية في سوريا واصبحت الفرقة المدرعة الجديدة العاشرة في طريقها الى الخطوط الامامية وكان هناك حوالى مائة وخمسون دبابة يجرى اصلاحها في قسم الصيانة .

وبالتالى فسيكون لدينا في القريب دبابات أكثر مما يملكه رومل . ومازال لنا التفوق الجوى ، كما كنا طوال المعارك . واتخذ القرار بالتخلى عن منطقة الغزالة ولكن مع التمركز على خط يمتد من الحدود الغربية لطبرق الى العدم بئر الغبى . وفي نفس الوقت كان لابد من الابقاء على احدى القوى المتحركة ناحية الشرق كما تم انشاء قوة ضاربة جديدة بالقرب من خطوط المواجهة وهذا يعنى ان طبرق أو على الاقل جزء منها يمكن الاستفادة منه مرة أخرى الشيء الذى كان ضد الخطة حيث أخبر رجال الاسطول البحرى أنه لايمكن تموين العملية . ومع ذلك فان الاستثمار الجزئى والمؤقت يختلف تماما عن الحصار الدائم .

وفي رأى اللواء بايرلين فان هذا القرار كان قاتلا . فقد قال « في رأى أن اللواء ريتشى كان عليه أن يعود مباشرة الى الخطوط الامامية بعد أن قمنا باحتلال بئر حكيم . وأصبحنا على شكل ضلعى مثلث منفرج الزاوية من منطقة الغزالة وعلى أى حال لم يكن له أن يحاول احتلال طبرق وهى تتمتع بهذه النقاط الدفاعية التى رآها عليها . بينما قواته العسكرية كانت مرتجلة . واذا ما كان عليه احتلالها كما نعتقد أن تلك كانت مهمته فقد كان ينبغى عليه أن يكون مدربا على هذا منذ

البداية ، كما كان عليه أن يضع حقول الالغام جديدة ويثبت مدفعيته في مواقعها .... الخ وفوق كل ذلك كان ينبغي عليه أن يكل المهمة الى قائد خبير ، واذا ما كان هناك بعض القادة مثل اللواء مور هيد أو اللواء جوت أو اللواء فراى بيرج ، لابد أن الامور كانت قد تغيرت . وقد حدث أن وحدات قليلة قد ابلت بلاءاً حسنا ، واني لا ذكر الكتيبة الاسكوتلاندية (سكان الهضاب في الكاميرون التى استمرت تقاتل بعد أستسلام اللواء كلوبر بوقت طويل . ولم يبدو أن هناك خطة دفاعية سليمة على الاطلاق) .

وتأكد المصير المهلك ، فبعد أن احتلت سيدى رزق في السابع عشر من يونيو وبعد الهزيمة المريرة لقواتنا المدرعة في نفس اليوم من ناحية الدودة في العشرين من يونيو تماما مثلما كان ينوى مهاجمتها في الثالث والعشرين من نوفمبر من العام السابق . واسرع باختراق الحصن الرئيسى من جهة الجنوب الشرقى يساعده طائرات الستركا باسقاط قنابلها لتفجير الالغام وتطهير الطريق . واصبح كل شيء في الداخل مضطربا . وضرب مقر قيادة اللواء كلوبر بالقنابل كما ضربت اشارات الاتصال ففقد كل اتصال واصبح كل شيء بلا ضابط أو رابط ، وعندما تحركت الدبابات الالمانية من مكانها على الحدود وتقدمت مباشرة الى الميناء ، هاجمتها بعض القوات فتحرك بعضها الى الشرق وكانت كتيبة تدعى «قولد استريم» وكانت من الكتائب التى مازال النظام مستتبا فيها . أما رجال جنوب أفريقيا فلم يدركوا مايجرى وهم يقبعون على الحدود الغربية والجنوب غربية حتى فاجأتهم الفرقة الخفيفة التسعين من ناحية المؤخرة . وفي فجر اليوم التالى انصاعوا على مضض لأوامر اللواء كلوبر بالتسليم . وظلوا يأسفون بكل مرارة طوال الشهور العديدة بعد ذلك وهم داخل سجون المعسكرات . فقد سقطت القلعة التى صمدت طيلة تسعة أشهر في سنة ١٩٤١م في يوم واحد . ولم يكن هناك مناص من أن يلقى كل منهم باللوم على الجانب الآخر فقد وجه اليهم اللوم مثلما وجهوا هم اللوم على القائد كلوبر .

وخلال الساعات الاخيرة ولفترة طويلة فيما بعد كانت طبرق تغطى بتوابيت الجنازات على أثر الدخان الاسود النابع من مستودعات الذخيرة التى تفجرت قبل احتلالها مباشرة واحترقت ملايين الارطال من الوقود والمؤن . ومع ذلك فقد بقى هناك مامكن رومل من مواصلة مسيرته الى مصر .

وأصبح الوقت متأخراً بالنسبة للوقوف على الخطوط الامامية . وطلب اللواء ريتشى الاذن بالانسحاب الى مرسىمطروح . ووافق اللواء اوكنلك على مضض

بينما كانت تساوره الشكوك . اذا مافقدت المدرعات فان مرسى مطروح لايمكن الدفاع عنها بسهولة مثلها في ذلك مثل الخطوط الامامية . وفي مساء الثالث والعشرين من يونيو كان رومل قد عاد الى الخطوط الامامية مرة أخرى .

أكان ينبغي عليه أن يواصل المسيرة ؟ يقول اللواء فون ثوما « أنه قد عصى أمر معينا من موسوليني حمله اليه المشير « بادوليو » بأن يتوقف على خطوط المواجهة بعد احتلال طبرق » وينكر اللواء بايرلين ذلك ويقول « أنه قد عقد مؤتمراً غرب البردية في الثاني والعشرين من يونيو . وقد حضره بنفسه عندما كان يقترب من نهايته ، لكن رومل اخبره فيما بعد ان اللواء باستيكو وهو رئيسه المباشر كان له الرأى بان لاتجرى أية محاولات للتقدم الى مصر . ومع ذلك فلم تكن هناك أية أوامر بهذا المعنى سواء من الايطاليين أو من القيادة الالمانية العليا . فتراجع اللواء باستيكو عندما اخبره رومل أن المشير كيسلرنج قد أكد له انه سيحصل على كل الامدادات التى يطلبها وتتضح هذه النقطة أن صح التعبير عن طريق فقرتين من مذكرات شيانو . ويقول « انه في اليوم الثاني والعشرين من يونيو قد ارسلت برقية من روما تحد من حرية حركة رومل بالا يقوم بأية مغامرة فيما وراء خط كابوزو– السلوم » وكتب في اليوم التالى « قد عرفنا عن طريق بعض البرقيات التى وصلتنا من المراقب الامريكى في القاهرة ويدعى فيللرز بان القوات البريطانية قد هزمت وأنه اذا استمر رومل في نشاطه فان امامه فرصة كبيرة في التقدم حتى منطقة القناة ، وبطبيعة الحال فان موسوليني كان يضغط على مواصلة الهجوم . « ...... » .

وكان القرار عندئذ هو قرار رومل . أما التردد والحيرة فلم تكن من طباعه وبالنسبة لرجل من طبعه فقد كان ذلك حتما . وكان امامه الجيش الثامن على نفس المسار . فهل يتوقف فيسمح له باعادة تشكيل قواته ثم يبدأ بالعمل من جديد من نفس الخط حيث كان يقف منذ أربعة عشر شهراً ؟ . وبما أن مصر وقناة السويس قد اصبحتا في قبضته كمكافأة كبيرة فان كلا من القيادة العليا الايطالية والالمانية لابد لها ان تدرك وجه المخاطر وتمنحه مزيد من الدعم والمؤن التى يحتاج اليها . ويقول اللواء بايرلين» لم يكن هناك من يستطيع التخمين أن البريطانيين سيتمكنوا بمثل هذه السرعة من استعادة السيطرة على البحر الابيض المتوسط وينجحون الى هذه الدرجة في صد قواتنا البحرية » . كما لم يستطع أى فرد أن يتنبأ بان هتلر ببديهته الشهيرة وكيتل وجودل وهولدر بما يتمتعون به من عقلية عسكرية مدربة يمكن أن يروا الفرصة المتاحة امامهم . وبالطبع فلابد له ان يستمر . وكانت القوات الافريقية حقيقة منهكة . أما بالنسبة لرومل وبما يتمتع به من حيوية هائلة

لم يكن عنده أى رجل يمكن ان يكون منهكا للدرجة التى لايستطيع معها أن يقاتل الجولة الاخيرة في معركة رابحة أو في معركة خاسرة بسبب هذا الانهاك .

وفعلا استمر وبسرعة كبيرة . ففى مساء الرابع والعشرين من يونيو ( بعد آربعة أيام من سقوط طبرق ) وصل رومل الى سيدى براني . وفي اليوم التالى كانت قواته على مسافة أربعين ميل من مرسى مطروح . وفي تلك الامسية كان اللواء اوكنلك شخصية يتولى قيادة الجيش الثامن . وقرر في الحال الا يقبع جزء منه في المواقع الدفاعية في مرسى مطروح ، التى لم يكن له فيها مجموعات كافية من الجنود . فلم يكن يريد تكرار ماوقعوا فيه في طبرق من جديد . ويجب ايقاف رومل كلما أمكن ذلك ، في المنطقة مابين مطروح والعلمين . الا ان الفيلق الثلاثين كان عليه احتلال موقع العلمين من قبيل الاحتياط والحذر وفي مساء السادس والعشرين من يونيو اخترقت الدبابات الالمانية حقول الالغام الواقعة جنوب تقاطع الطريق الساحلى مع السكة الحديد . وفي اليوم التالى ضربوا الفرقة النيوزيلاندية الجديدة وكانت خسائرهم كبيرة الا أنهم تقدموا عبر الساحل ونجحوا في قطع الطريق لمسافة عشرون ميلا شرق مطروح . وكان على الفرقة الخمسين والفرقة الهندية العاشرة التى وصلت أخيراً أن تقاتل طوال الليل من أجل النجاة تاركين معظم ذخيرتهم وأجهزتهم من خلفهم . ولم يكن أمامهم آنذاك الا الانسحاب الى الموقع الذى أعده اللواء اوكنلك منذ فترة طويلة قبل ذلك . وفي الثلاثين من يونيو وصل رومل الى خطوط العلمين وأصبحت الاسكندرية على بعد خمس وستون ميلا ولم يكن قد تبقى لديه كما أكد أكد لى اللواء بايرلين سوى اثنى عشر دبابة فقط .

## الفصـــل الثامن

## هذا هو العـــدو

### ١ – التكيف مــع الصـــحراء

في صباح الواحد والعشرين من يونيو استطاع روميل أن يقول ان طبرق أصبحت في حوزته . وفي اليوم التالى علم عن طريق البرق من مقر قيادة هتلر أنه قد رقي الى رتبة المشير وكان عمره خمسين عاما ، وبذلك يعتبر أصغر مشير في الجيش الالماني . وفي تلك الليلة احتفل بترقيته باحدى علب الاناناس وكوب صغير من من الخمر من احدى الزجاجات كان أحد معاونيه قد حصل عليها من أحد حانات طبرق وفي وقت العشاء كتب لزوجته : « لقد جعلني هتلر مشيراً ، وقد كنت أفضل لواعطاني فرقة أخرى « ومع ذلك فقد كان في حالة معنوية عالية على غير عادته ، وهو الحال عندما يستعيد سنواته الاربعة عشر الخالية من الاحداث عندما كان نقيباً ثم يتأمل ماذا فعلت به السنوات العشر التالية لهم .

وأصبح الآن في ذروة مستقبله المهنى ونجاحه في شمال أفريقيا . فقد وصلها في سته عشر شهراً منذ أن هبط في طرابلس بهدنٔ متواضع وهو منع البريطانيين من احتلال ولاية طرابلس . وكان عليه ان يتكيف ليس فقط مع هذا النوع الجديد من الحروب ولكن أيضا مع هذه الحياة الغريبة والفعلية في الصحراء . فمن غير المناسب القول بانه قد تعود عليها مثلما تتعود البطة على الماء ، ولكنه أصبح بسرعة « متكيفا مع الصحراء » * مثله في ذلك مثل أى بدوى . وقال اللواء بايرلين « ان روميل يمكن الا يكون رجلا عظيماً عالماً بفنون الحرب ، لكنه بلاشك كان أحسن الرجال في كل الجيش الالماني بالنسبة لحرب الصحراء .

لقد كانت حرب رجل شاب . الا أن روميل لم يعد شابا في ذلك الحين ، ولكن بفضل تلك السنوات التى كان يقوم فيها بالتزحلق وتسلق الجبال أمكن لروميل أن يكون في أوج لياقته البدنية . وقال احد ضباط المظلات الالمان الشبان الذى كان بطلا من أبطال التزحلق « لقد كانت له قوة الحصان ، فلم أر رجلا مثله فهو لايحتاج الى طعام ولايحتاج الى شراب ، كما لايحتاج الى النوم . فقد كان

* التكيف مع الصحراء معناه كفاءة العمل بها وهو استصلاح استخدم أولا بالنسبة للعربات الحربية التى يمكن ان تلائم طبيعة العمل في الصحراء ثم طبق الا صطلاح على نطاق أوسع فشمل التشكيلا ت والوحدات وحتى الا فراد

يفوق الرجال الذين كانوا يصغرونه بعشرين اوثلاثين عاما . واذا مادعت الضرورة يصبح شديداً على نفسه كما كان شديداً على الآخرين .

وبالفعل فقد كانت لرومل صفة من الأصل الأسبرطى ، ومن سماتهم البساطة والاقتصاد في الكلام والبعد عن الترف وضبط النفس والصرامة . وهو الشيء الذى جعله يفخر بأنه لايتأثر بعدم الراحة والاجهاد فلم يكترث بشدة الحرارة أو البرودة أو أفتراش الارض للنوم . وحتى الرياح القبلية والتى يسميها الالمان رياح الحماسين وهى رياح رملية تسبب انعدام الرؤية والتى تحيل كل مافي الصحراء من عرب وجمال الى حالة يرثي لها . فقد كان يقبلها على أنها مجرد مصدر ازعاج كبير . فقد أصر على الاقلاع أثناء هبوب احدى العواصف بنفسه وهو يقود طائرته . « الاستورش » في أول معركة صحراوية له . وقد كان على وشك أن يقتل نفسه عندما هبط اثناء انعدام الرؤية واعترف» أنه كان من الصعب رؤية مايقوم به البريطانيون » . ولا شك أنهم كانوا غارقين حتى الاذان في محاولة صد الرمال .

وقد كان رومل مثل نابليون ينتزع الدقائق القليلة من النوم وهو جالس في عربته او عندما يميل برأسه على أحدى المناضد ثم يستيقظ بعد ذلك منتعشا تماما . ولقد سألت جندى المراسلة الخاص برومل واسمه جانثر وهو الآن أحد طهاة الحلوى في مدينة جارمش اذا ما كان رومل يعبأ بمن يقلقه عندما يكون نائما فأجاب جانثر ببلاهة ، وهو الذى لازم رومل قرابة أربع سنوات « مطلقا» فقد كان يبدو سعيداً وشديد اليقظة بعد ثانية واحدة من النوم . وكان ينام واحدى عينيه مفتوحتان : فاذا ماجاءت رسالة كان يستيقظ عادة قبل أن أوقظه وأضاف جانثر بأنه كان رجلا معتدل الطبع . فلم يسيء اليه مرة كما كان من السهل ارضاءه (الا ان قواده كانت لهم رؤية أخرى فيه ) .

آما الطعام فلم يكن رومل يهتم به كثيراً ، فقد كان يكفيه جداً أن يخرج الى الصحراء ليوم كامل ومعه لفة صغيرة من السندوتشات أو أحدى علب السردين مع كسرة من الخبز . وقد دعى ذات مرة أحد القادة الايطاليين للغذاء معه في الخلاء حيث ادلى بتعليق له على ذلك فيما بعد قائلا « لقد كان شيئا محرجا للغاية فلم يكن عندى الا ثلاث شرائح من الخبز الغير طازج ، وعلى العموم عفواً فهم هنا يأكلون كثيراً » ولأنه كان يدرك أنه كلما شرب الفرد كثيراً في الصحراء كلما ازداد عطشه فقد كان يحمل زجاجة صغيرة من الشاى البارد والليمون وغالباً ماكان يعود بها دون أن يلمسها .

وفي المساء كان يتناول عشاءه بمفرده في منزله المتنقل مع صديقه القديم الدنجر . وكان يصر على أن يقدم اليه نفس وجبة الطعام التى تقدم الى باقي القوات . ولم تكن جيدة . وقد قال فون ايزبيك وهو المراسل الحربي وابن عم القائد « ان أسباب اصابتنا بالامراض الكثيرة وبالاخص مرض اليرقان هو أن مقدار وجبات الطعام ( الساخنة ) كانت ثقيلة بالنسبة لجو الصحراء وكان الخبز الاسود المعبأ في الصناديق الورقية هو المتاح لنا ، ولكن كم كنا نتشوق للحصول على أحد الخبازين كى نأكل خبزاً أبيضا طازجا ! أضف الى ذلك المربي ! ولم نستطع الحصول طوال الاربعة شهور الأولى على أى فاكهة أو خضروات طازجة على الاطلاق . فقد عشنا طوال الوقت على اللحوم المعلبة الايطالية . وكان الحرفين ( ام و إى ) مطبوعين على كل العلب مما جعل الجنود يطلقون عليها التسمية ( حمير موسولينى ) .

وقد أجاب رومل بطريقة لطيفة تنم عن ذكاء على أحد الضباط الشبان من الفيلق الافريقى الذى تجرأ على القول بأنه بينما لاتوجد عنده أية شكاوى الا أن الطعام ليس ملائماً : فقد قال رومل « هل تتخيل أنه أحلى مذاقا بالنسبة لى ؟ » والحقيقة أنه لم يلحظ كيف كان الطعام . فان الشيء الوحيد الذى يرفضه هو الشاى أو القهوة التى تصنع من الماء الذى تشوبه بعض الملوحة . ( فلم تكن تروقه زيارة الجغبوب حيث الماء له نفس طعم الملح الانجليزى ) فقد كان هناك مثل شائع في الجغبوب يقول « بينما يموت السيد ( انو ) جوعا هنا فان السيد ( برومو ) يثرى ثراءاً هائلا » ) .

وبعد وجبة العشاء التى كانت تستغرق عشرين دقيقة على أكثر تقدير والتى يشرب خلالها كوبه الوحيد من النبيذ يبدأ في ادارة محطات الاذاعة المسموعة ليستمع الى الاخبار فقط ثم يكتب رسالته اليومية الى زوجته . وفي حالة العمليات عندما لايجد وقتا للكتابة يقوم جنثر بالكتابة له . وكان أيضا يجرى اتصالا مستمراً بخط يده مع اولئك الذين نجحوا من فرقته في الحرب العالمية الأولى . ولم يحدث أن ترك أية رسالة من أى منهم دون أن يكتب عليها رداً . وكانت الاوراق الرسمية تأخذ بقية أمسيته حتى وقت النوم . واذا ما قرأ فتكون جريدة أو كتابا عن أحد الموضوعات العسكرية . كما كانت له اهتمامات بتاريخ شمال أفريقيا كما كان شديد الفضول بمعرفة آثار مدينة شحات . ولكن القصة التى رويت بأنه كان يحتفظ — بالآثار وانه مهندسا بارعا يقضى فراغه في الحفر عن الآثار الرومانية فقد كانت من مروجى الدعايات . وقد كان المسئول عنها هو فون ازبيك فقد قال لى « ان بعضنا كان ينقب في كل الانحاء بل استطاع الحصول على بعض القطع

الصغيرة من الخزف الروماني وكنا ننظر اليهم عند ماجاء رومل . وكان كل ماقاله بالحرف الواحد عندما شاهد هذه القطع هو (ماذا تريدون بهذه القطع البالية ؟) الا انه لايمكنك ان تقول ذلك اذا مانظرت الى الصور الفوتوغرافية ! » .

ففى الصباح كان رومل يستيقظ حوالى السادسة وكأنه ملازم يقوم باستعراض قواته ، وكان يسمح لقوات الفيلق الافريقى بارتداء الزى الذى يحلو لهم في الصحراء . وعادة ما كانوا يتشبهون بالاسترالين فيلبسون الاحذية والسراويل القصيرة وغطاء الرأس الغريب . وكان هو نفسه دائماً حليقا في زيه العسكرى الكامل . كما كان يلبس أحيانا السروال القصير لكنه في معظم الاوقات كان يبدو بالسروال الجيشى والحذاء الطويل أما السترة فدائمه . وكان دائماً مايلقى بخوزته الاستوائية بعيداً ، مثلما نفعل نحن بعد وصوله بقليل : فلم يحدث ان وضع على رأسه قبعة معدنية . وكان الشيء الغريب والوحيد له ، وربما استعاره من البريطانيين هو وضع وشاح يتلفح به حول رقبته في الشتاء ومن تحته طبقا للعادة الالمانية كان يضع صليبه المعقوف ، وهكذا كان يبدو أكثر أناقة من قوادنا نحن الذين كانوا يظهرون في معاطفهم المصنوعة من صوف الجمال ومن حولها احزمتها وسراويلهم القطنية والذين يمكن تمييزهم بواسطة قبعاتهم الحمراء وشارات رتبهم . عند ارتدائها . (وكان القائد ميسرفي الذى أسر لفترة مؤقتة عندما كان قائداً للفرقة المدرعة السابعة والذى نجح في الهرب على أنه احد الجنود يرد على أحد الضباط الالمانيين عندما سأله «لقد كبرت على هذا الزى اليس كذلك ؟» فوافقه القائد ميسرفي قائلا «نعم كبرت جداً ، اننى من الاحتياط وليس لهم الحق في استدعائى») .

وكان رومل يبدأ جولته اليومية حول موقعه في السادسة والنصف صباحاً وكان في بعض الاحيان يستطلع قواته من الجو قائداً طائرته بنفسه . ومع أنه لم يحمل ترخيصا بذلك فقد كان طياراً كبير الثقة بنفسه — كما كان ملاحاً ماهراً . وفي المعارك كثيراً ما كان يستعمل سيارة قيادته المدرعة البريطانية المسماة (ماموث) . وغالبا ما كان يتجول بنفسه في سيارته من طراز فولكس فاجن ، شاقا طريقه عبر الصحراء من البداية دونما أى خطأ . ولم يكن هناك موقعا منعزلا عنه بحيث لايمكن مفاجأته . وعندما كان يتفقد المناطق الخلفية كان لسوء الحظ أحد كبار الضباط أن ضبطه نائماً في سريره بعد السابعة ! وقال لعقيد سيء الحظ من الذين خرجوا لمقابلته وهم في زى النوم «أيها الثعلب الكسلان اللعين ، أكنت تنتظر منى أن آتي لك بطعام افطارك ؟» وقد المح بعد ذلك الى الدنجر «انه لشيء

عظيم أن يكون الفرد مشيراً وفي الوقت نفسه لايزال يذكر كيف يحدثهم وكأنه رقيب أول » .

ولم تكن زيارته للمناطق الامامية مجرد زيارات دورية للتفتيش فبعينه الفاحصة لكل مكان على الارض وبأستاذيته للامور الفنية الفرعية لم يكن ليخفى عليه شيء – كوضع احد المدافع الرشاشة في موقع غير مناسب وانتقاله الى احد الوديان بغير داع ، أو كوضع الالغام في مكان بارز، أو وضع أحد مراكز المراقبة دون تمويه ، فاذا ما لم يقتنع بأحد المواقع فانه ينطلق وحده لمسافة ميل أو نحو ذلك الى الفضاء لكي يعيد النظر الى نفس الموقع بعين العدو . ولم يكن ليضرم النيران على غير هدى الا نادراً ، وكان يعود من جهة الجناح لكي لايكشف مكان موقعه وذات مرة عندما كان يقترب من القلعة عند ( عكرمة ) أطلقت عليه النيران بينما كان في منتصف الطريق داخل حقل الالغام . وقال معلقاً على ذلك » ان هذا يحدث بسبب التسرع ، وقد كان يجب على أن أتحرك بطريقة بطيئة » وقد تأثر الضباط والجنود الشباب باهتمامه بمشاكلهم الصغيرة الخاصة ، وبخصوبة افكاره الخاصة بفنون الحرب ، ومهارته في التجول عبر الصحراء . لقد كان واحداً منهم اولئك الذين كانوا في المقدمة . »

وعلاوة على ذلك فقد كان يتحدث اليهم ، لأنه كان يميل الى الشباب وقد قال فون اسبيك » لقد كان دائما مبتهجا سعيداً عندما يتكلم الى الشباب ، فقد كانت هناك ابتسامة مع تعليق ضاحك لكل فرد اثناء تأديته لعمله . ولم يكن هناك أحب اليه من أن يتحدث الى أحد الجنود الذين جاءوا من نفس المنطقة التى ولد بها بلهجة البسطاء . وقد كان دائماً عطوفاً يحمل قلباً رحيماً » . واضاف فون اسبك متأملا « كما كان له سحراً لم اره في أى انسان عرفته » . وكانت هذه العبارة الاخيرة مفاجأة من رجل واسع الاطلاع رفيع الثقافة ، والذى قد رأى من الدنيا ومن المجتمعات أكثر مما رأى روميل .

وفي المعارك كان روميل في أوج عظمته فقد كان قائداً طبيعياً وكان يعتمد بطريقة غريزية متروية على قيادته الشخصية ، وكما تبين آنذاك فقد كان أول من تعرف على حرب الصحراء عن طريق الحروب البحرية وأول من فهم « أنه لايمكن لأى قائد بحرى أن يكسب معركة بحرية من فوق قاعدة برية » وكانت له بديهة حاضرة غير عادية وسرعة ملاحظة للمواقف العسكرية بشكل مذهل . لكن السبب في تمكنه من اقتناص عديد من الفرص ، وسر نجاحاته الأولى كان

يكمن في أنه كان لاينتظر وصول المعلومات من خلال قنوات القيادة العادية ، فكان يخرج اليها بنفسه في طائرته ، أو دبابته ، أو عربته المدرعـة ، أو سيارته الفولكس فاجن ، أو حتى على قدميه ، وهذه الطريقة التى تمكن بها أيضا دون تخطيط مسبق من تحويل الطلعات الاستكشافية في أبريل سنة ١٩٤١م ويناير سنة ١٩٤٢م الى هجمات ناجحة . وهى أيضا نفس الطريقة التى تمكن بها من النجاة من الهزيمة والكارثة المحققة في نهاية مايو ١٩٤٢م . وأن يغير من نتائج المعركة بمجرد أن تأكد وصول المؤن اليه . فقد وصل في الحرب الحديثة الى المدى الذى جعله يجد الوسيلة لكى« يركب الدوامة ويوجه العاصفة » .

وقد انتقده النقيب ليدل هارت من بين آخرين لكثرة تفقده لأرض المعركة ولوجوده بصفة شبة دائمة خارج مقر قيادته . وفي هذا بعض الحقيقة ، ومع ذلك فان النقيب ليدل هارت نفسه يعترف « بانه كان لديه مقدرة على التواجد في المنطقة المفعمة بالحركة لكى يعطى قراره المناسب لاى تحرك في اللحظة الحاسمة » . أما الفريق فوللر فقد كانت ترتابه بعض الشكوك نحوه فقد كتب يقول » بالنسبة لسرعة اتخاذ القرار وسرعة التحرك فان الالمان كان لهم التفوق الكامل على عدوهم والسبب الاساسى في ذلك هو روميل ، فبدلا من تبليغ أوامره الى مرؤوسيه عن طريق الرسل أو الوفود فقد كان أغلب الاحيان يأخذ هذا على عاتقه شخصيا ..... ولم يكن القادة البريطانيين أقل كفاءة من الالمان .. الا أن دراستهم كانت عتيقة وأضحت لا تتناسب مع الوقت الحاضر . فقد كانت دراستهم تقوم على الاسس الحربية للاعوام من سنة ١٩١٤م الى سنة ١٩٢٨م ولم تكن تبنى على حرب المدرعات التى يواجهونها الآن « . وقد هزم روميل مرتان عندما تولى القيادة اللواء اوشنك في المنطقة المواجهة واعطى أوامره للمنطقة .. وقد نجى من الهزيمة في يونيو ١٩٤٢م لأن قراراتنا ووسائل اتصالاتنا كانت أبطأ مما يجب .

لم يكن هناك في الصحراء من يشك بأن الشخصية القيادية كانت تؤدى دورها . ولكنه كان من الخطأ أن نتصور روميل كأحد امراء العصر الحديث ، الذى يلوح بقبعته دائماً ويقود دبابته في هجمات تتسم بالرعونة ضد العدو . فقد كان على العكس محاربا رزينا على عكس قادتنا لايمكن لهم اتخاذ أى قرار بالتعامل مع العدو الا اذا كان ذلك في صالحه وفي الواقع فان مفهومه الرئيسى للفنون القتالية بالدبابات كان في استخدامه لحائط من المدفعية المضادة للدبابات التى يوجهها بنفسه . ويليها تتقدم فرقة البانزر ، والتى من خلفها يمكن لهم أن يتراجعوا أو يعيدوا تزويد انفسهم بالوقود من خلاله . ومن خلالها يمكنه أن يشن الهجمات عندما تكون مدفعيته

قد انهكت مدرعاتنا . وقد حدث مراراً أن حوصرت دباباتنا ودفع بها الى حائط المدفعية اثناء محاولتها الاقتراب . كما حدث مراراً أنه استطاع ان يشتت قواتنا بمدرعاته المركزة . كما كان ايضا بارعا في مسائل كثيرة أخرى . وقد كان أول اوامره عند هبوطنا أرض طرابلس هو انشاء هياكل زائفة من الدبابات كاحدى الخدع الحربية ، وكثيراً ما كان يستغل تنقلاته لكى يثير الغبار ليوحى بوجود فرقة البانزر . فقد بدأ ربط الاقمشة السميكة خلف عرباته لكنه سريعا ماخطرت له فكرة وضع رفاصات من خلفها . أما ظهور الاشارات الضوئية الملونة التى كانت تضىء الصحراء ليلا فقد انتفعنا بها كثيراً . كما كان الالمان يستخدمون الناقلات والشاحنات التى استولوا عليها منا بصفة مستمرة كلما أرادوا ذلك ، ولم يكن هذا بسبب نقص وسائل النقل عند الالمان لكنه لخلق جواً من الارتباك أثناء أى تقدم لنا .

ولم يكن نظام رومل الخاص بقيادته يسير على نحو عفوى أو كيفما اتفق كما يظن البعض ، فلم تكن المسألة مجرد اندفاعاً الى أرض الميدان لكى يعطى أوامره الارتجالية للافراد أو التشكيلات الصغيرة ، ولوكان قد فعل ذلك لما استطاع ان يتحكم في قوات يصل عددها الى مائة الف رجل بنفس النجاح الذى استطاع ان يحققه .

وقد كانت أوامره تصدر شفهيه . وفي غمار المعارك ، عندما كان يعتقد بأن الوقت لن يسمح للعدو بأن يلتقط أوامره ، كان يصدرها أحيانا صريحة عبر أجهزة اللاسلكى . الا أن الدنجر يؤكد لى انه كان يحمل دائماً مذكرة مدونة بالاختزال وان الاوامر كانت تتأكد كتابة اذا ماسمح الوقت بذلك . وعلى أى حال فقد كانت أوامره قصيرة جلية لا لبس فيها . وكان كل شىء واضحا في مخيلته فلم يكن هناك ترددا فيما يريد أن يحققه كما لم يكن يوحى بأية شكوك في اذهان مساعديه .

وكان حتميا أن يتعرض شخصيا لمخاطر عديدة في المعارك ، فقد تعرض للموت او الاسر مرات ومرات . فقد حدث ذات مرة أن سائقه الاصلى والسائق الاحتياطى قد قتلا بجانبه ، وكان عليه أن يقود شاحنته لينجو بنفسه . وقد كان رومل رابط الجأش تماما أثناء المعارك الا أنه كان يمكن لكبار قادتنا ان يكونوا نفس الشىء هادئين ، متزنين اذا كانت تلك هى عادتهم . ولم يكن هناك اشجع منه على مستوى أدني الا القائد فراى بيرج « جوك كامبل » ، أو (ستريو) ، جوت وكان رومل مثله مثل نابليون وولنجتن يواجهون المخاطر لانها أقدارهم وخاصة

اذا ماكان عليه أن يقوم بتوجيه معركته بنفسه . وكانت مجرد مخاطرة مهنية فهذه هي طبيعة عمله . وكان يقبل بها بسهولة ويسر لانه كان يعتمد تماما انه لايمكن أن يقتل أثناء المعارك .

وكذلك كان معاونيه ومرؤسيه . فمع انهم كانوا يرجعون حصانته الى حاسته السادسة » وهو ذلك الاحساس الداخلى بما سيقوم به العدو من أعمال . وقد قال القائد بايرلين ، « لقد كنا في مقر قيادة الفيلق الافريقى في قصر العبيد في ظهر الخامس والعشرون من نوفمبر . يومها التفت الى روميل فجأة وقال ، بايرلين اني انصحك أن نخرج من هنا : اني لا احب هذا المكان ، وبعد ساعة هوجم مقر القيادة وتم تدميره على نحو غير متوقع . وفي نفس اليوم بعد الظهر كنا نقف سويا عندما قال ، هيا بنا نتحرك لمسافة عدة مئات من الياردات لنصل الى احد الاجنحة فاني أعتقد أننا ستقذف بالمدفعية في هذا المكان ، فانتقلنا الى مكان في الصحراء يشبه الأول تماما . ولكن بعد خمس دقائق من تحركنا سقطت القذائف تماما حيث كنا نقف» ويمكن لكل من تقابله ممن اشتركوا مع روميل في أى من الحربين أن يحكى لك قصصا مشابهة » وبالفعل فقد قص لى الكثيرون مثل هذه القصص .

واننا لنجد انه من السهل علينا اذا ما أمعنا النظر من وجهة النظر العلمية في أسلوب روميل القيادى أن ننسى الغرض الاساسى من هذا الاسلوب وتأثيره الرئيسى — وهو تشجيع أفراد قواته على ارادة النصر . وكانت تقوم نتائج المعارك حسب التحليلات الاخيرة على هذا الاساس . فان المعارك يمكن فقدانها بالفعل اذا ماساءت القيادة او فشلت الهيئة المساعدة لها . ولكنه لاتوجد أية قيادة أو اية هيئات مساعدة مهما اتسمت بالحكمة وحسن الادارة أن تغنى أو توازى نقص العامل المعنوى في الجندى المحارب . وقد قال نابليون كما أقرها آخرون « ان ثلاثة ارباع القوة التى تكسب الحروب ترجع الى الامور المعنوية » . وقد كانت جولات روميل في المواقع الامامية مصدر ازعاج لمرؤسيه من القواد ، وربما كان في بعض الاحيان يستغل أوقاته في دراسة الخرائط والرسائل في مقر قيادته خير من ان يندفع بين رمال الصحراء وصراعاتها العنيفة والمضربة ، أن الهامه الشخصى والقدرة البدنية لهذه الشخصية القوية شديدة الثقة بنفسها كانت أكيدة أثناء العمليات وهى التى جعلت الفيالق الافريقية على ماهى عليه .

وفي الوقت الذى اعتقدنا فيه ان الفيلق الافريقى هى عبارة عن قوات منتقاه من المتطوعين وبصفة خاصة الاقوياء منهم ومدربون على حرب الصحراء الا أنه

لم يكن الامر كذلك . فلم يكن هؤلاء الرجال متطوعين . وقال القائد فون رفنستين (ماذا والا فان الجيش الالماني كله يمكن أن يصبح من المتطوعين ) كما لم يكونوا مختارون كل على حده . فقد كانوا مجندين من الوحدات ومراكز التدريب بالطريقة العادية ، كما أنه ليس من المعتقد ان ضباط القيادة الالمانية أكثر دقة منا في أرسال أحسن رجالهم للاعمال الحربية الهامة . ولم يكن هناك أيضا أية تدريبات خاصة فيما عدا اتصال بعض الضباط بالايطاليين لتلقى التعليمات . ومن ناحية آخرى فان الفيلق الافريقى كان فقط من نتائج تدريب القادة الألمان ريشفير . وقد كان الجندى الألماني الشاب قوى ذو ارادة وكفاءة عالية في التدريب على استعماله لاسلحته كما كان يتسم بالنظام والوطنية والشجاعة . وبالنسبة للياقته البدنية فلم تساعده على العمل بصفة خاصة في الصحراء . ولم يكن حتى الشباب منهم وذوى الشعر الاشقر ليتحملوا درجة الحرارة الكبيرة مثلهم في ذلك مثل قدامى المحاربين في الحرب الأولى . وبصفة عامة فلم يكيف الالمان أنفسهم لظروف العمل في الصحراء مثلما فعل الاستراليون أو النيوزيلانديون ، وجنود جنوب أفريقيا ، والهنود أو البريطانيون . كما أن العدد القليل منهم فقط هو الذى خرج من قارة أوربا سواء من الضباط أو من الجنود دون فهم لطبيعة أفريقيا . . فمثلا لقد كان شيئا صعبا أن تجعلهم يدركون أنه ليست كل المياه صالحة للشرب في تلك المناطق . وقد قال فون اسبيك » لم يكن هناك أجهزة لتنقية المياة على نحـو سليم ، ولقد عانينا الكثير من الدوسنتاريا واليرقان . كما أن أطباؤنا لم يعرفوا مثلما عرف أطباؤكم كيف يجعلون قواتهم مهيأة للعمل في المناخ الاستوائى كما أن مستشفيات الميدان الالمانية كانت أقل كفاءة من مستشفياتهم ، كما لم يكن هناك في البداية بلازما لعمليات نقل الدم . وقد أستغرقنا وقتاً طويلا لكى نتعلم كيف نعتنى بأنفسنا في الصحراء » .

ومن الناحية الايجابية فان الفيلق الافريقى كانت لديه أسلحة أفضل رغم أن وسائل نقلها لم تكن كذلك ، لكنهم كانوا يعرفون جيداً كيف يستخدمون هذه الاسلحة . وقد كانت امكانيتها على الترحال أفضل . فقد كانت مجهزة بالصحف مثل صحيفتنا ( الواحة ) وقد كانت متجانسة التكوين أى أنها من أصل مشترك ، بينما كان الجيش الثامن من اجناس متفرقة وقد وصلت افريقيا في حالة معنوية عالية . ومع التسليم بكل ذلك فان رومل قد تمكن في وقت وقصير وعن طريق سلطته الشخصية واعطاء المثل وقوة شخصيته وكثرة تعرضه للمخاطر اكثر من القوات نفسها أن يحول هذه القوات الى القوة الحربية الصلبة المرنة وشديدة الضراوة

التي عرفناها بها وقد كان روميل هو الفيلق الافريقى شديداً على رجاله مثلما كان بالنسبة لعدوه كما كان روميل هو الذى جعل منهم شجعانا يثقون بأنفسهم متعجرفين ومتغطرسين حتى في المعارك . لقد كان هو الذى علمهم أن يبذلوا قصارى جهدهم والا يسمحوا بالهزيمة بأى شكل من الاشكال . ولقد كان للسبب نفسه ولكونهم الفيلق الافريقى أنه عندما أسروا ساروا الى المرفأ في منطقة السويس مرفوعى الرأس يغنون « اننا اليوم سنهاجم انجلترا » . وفي سنة ١٩٤٩م في المانيا كانوا لايزالون يحملون رسما للنخيل في مذكرة الجيب الخاصة بكل منهم. واذا ما سألتهم ان كانوا قد ذهبوا الى شمال أفريقيا اجابوا بكل فخر : نعم كنا فى الفيلق الافريقى .. وقد حاربت مع روميل « فلندعوا لهم بالحظ السعيد لانهم قاموا بواجب القتال على نحو جيد ، وكما يقول الالمان أن احسن ما يأتي في المنزلة بعد الصديق العظيم هو العدو العظيم .

وكما كان روميل يعد معبوداً للفيلق الافريقى فقد كان يكسب احترام وتقدير قواده أيضا وطبقا لحصيلة رواياتهم ، فقد كان رجلا شديداً ليس من السهل التعامل معه . واثناء المعركة كنا نسلط أشد اجهزة الهوائيات حساسية لكى نحصل على ردود الفعل داخل معسكر العدو : أما هو فلم تكن له مثل هذه الحساسية تجاه مشاعر رؤسائه من الضباط . وكان له لساناً لاذعا قاتلا . وكان قليل الصبر ولم يكن يود ان يرى مالا يرغب رؤيته ، ولم يكن يحتمل مناقشة أوامره . ولم يكن يحتمل أن يقال له ان شيئا ما كان مستحيلا . كما كانت له عادة سيئة وهى تخطى كبار قواده واعطاء الاوامر لمرؤسيه مباشرة ، والاسوأ من ذلك أنه كان يصطحب رئيس أركانه اينما ذهب دون أن يترك بمقر القيادة من يمكنه اتخاذ القرار . وخلال الاحداث الحربية فقد كان يميل أن يشغل نفسه بكل التفاصيل ، مثل مسألة أسر القائد كاننجهام وهو شيء لايعني بالضرورة أحد كبار القواد العامين .. ناهيك عن أنه لم يكن رجلا اجتماعيا . فقد وصفه أحد قواده ، مستنكراً وهو من الذين يمكن للانسان أن يستشف من حوله روح الفروسية ومظاهر عظمة الاقطاع والتزامه بالزى الكامل وارتياده للحفلات الراقصة وزياراته للطبقات العالية من المجتمع قائلا « انه بالطبع لم تكن لديه نفس المزايا القديمة لمعظم القواد الالمان من رتبة مشير» .

كان هذا هو النقد وكانت الأسس التي يقوم عليها هذا النقد تكمن في روميل نفسه وفي أسلوبه القيادى . فقد كان رجلا يصر على « رسم طريقة بنفسه » وقد كان حتميا أن يفرض نفوذه في معظم الاحيان على مرؤسيه من هيئة القيادة .

وكان يؤدى ذلك بشيء طبيعي دون تكلف . وبنفس القدر فلم يكن يتحاشى كراهية كبار الضباط الالمان لنظام كان يمارس في الماضي بواسطة نابليون ، الا انه انتهى في الحرب الحديثة ، اذا ما كان السبب فقط ان القيادة الشخصية المباشرة للحرب الحديثة غير ممكنة . واحقاقا للحق فان هذا النقد دائما ما كان يسجل على نحو ثابت وفورى . وقد كان روميل اشجع الشجعان ، وقد كان يتمتع بالحاسة السادسة في المعارك ، وكان رائعاً مع قواته ، وكان من الممكن دائما التحدث اليه عندما يعود الى هدوئه ، وكان اذا ما اعطى أوامره متخطيا احد القواد عاد واعتذر بعد ذلك ، وقد كان كريما في مديحه ويعترف بخطئه اذا ما أخطأ وكنت اذا ما سألت أى منهم هل هناك أى رجل أفضل منه في حرب الصحراء كانت اجابتهم بالاجماع لا ، فلا يوجد من يملك نصف ماله من امكانيات .

## ٢ ـ حلفاؤنا الايطاليون

لقد كان الفيلق الأفريقى متعدد الأجناس ، ولم تكن قوات المحور في شمال أفريقيا كلها كذلك . فكان هناك الايطاليون أيضا . أولئك المساكين فقد احتلوا مكانتهم كحلفائنا القدامى في الحرب الأولى . وبطبيعة الحال كان لدى رومل حصيلة من القصص التى رواها لمانفرد ، مع بعض الاضافات بواسطة الدنجر .. فهناك مثلا قصة الهجوم الذى تم اقناع الايطاليين بشنه على طبرق . فعندما كانوا في منتصف الطريق وبعيداً عن متناول الألمان ، ألقوا بأسلحتهم ورفعوا أيديهم الى اعلا وفجأة استداروا وفروا وهم يلهثون ( انها لكارثة يا أماه ) انهم ليسوا انجليز ، انهم استراليون » . ومرة أخرى كان رومل في زيارة لخنادقهم عندما قام الاستراليون بهجمة في نطاق ضيق . صرخ هناك الايطاليون وخروا راكعين ( نستحلفكم بالسيدة مريم ) عندها قال رومل للضابط الايطالى الذى يتولى القيادة » سأوجه اليك نصيحة صغيرة ، عليك تحريضهم على اطلاق النار واقناعهم به وليتوقفوا عن الرجاء والدعاء .................. وهذا فراق بينى وبينك . والى اللقـــاء .

أما القصة التى تقول بأن الاستراليين قد اعادوا الاسرى الايطاليين وسراويلهم ممزقة من الخلف ومعهم رسالة للالمان مفادها طلب استبدالهم بعدد مماثل من قوات الفيلق الافريقى ، فاني أشك في مدى صحتها . واني لا أذكر أن الالمان قد فعلوا نفس الشيء مع حلفاؤنا القدامى بعد محاولة شن أحدى الغارات في سنة ١٩١٨م على مسيرفي . ومع أنه في تلك الاحوال كانت تطلى مؤخرتهم باللون الازرق وأن رسالة الألمان وضعت موضع التنفيذ لدرجة أنهم كانوا يأتون لجمعهم اذا ما أرادوا مثل هذه العينات من الجنود . أما البريطانيون فلم تكن لهم حاجة في اعادتهم لهذا السبب فقد كان هناك شكوك مشابهة عن تلك القصص ، واني لا أفاجأ اذا ماتبين أنها قديمة قدم الحرب نفسها .

وعلى العموم فقد وافق رومل الجندى الايطالى الذى قال له : « لماذا ياسيدى القائد لا تحاربون أنتم الألمان المعارك وتجعلونا نبنى الطرق ؟ » . لكنه لم يكن يعتقد مطلقا أنهم جميعا من الجبناء . فان الفرقة المدرعة (آريت) قد حاربت ببسالة عند بئر الغبى . وفي اماكن أخرى ولم تكن فرقة بريسيا سيئة بدرجة كبيرة كما كانت هناك فرقة جيدة تحت قيادة الرائد مونمورو . وكان الاسرى جميعا ذوى نفع كبير كما كانوا يؤدون عملهم على أكمل وجه حتى أثناء القتال . وبما أن

ضباطهم كانوا على كفاءة عالية مجهزين بمعدات ذات كفاءة لايعبأون ببعدهم عن وطنهم فقد كان يشعر أنه يمكن أن يأتي من ورائهم الشيء الكثير ( وقد أخبرني القائد سبيدل أن فرقة شمال ايطاليا التابعة للجيش الثامن الايطالى الذى يتبع القائد غاريبالدى حيث كان رئيسا لأركانه ، قد حاربت ببسالة في روسيا في ظروف اسوأ من ذلك بكثير ) . فقد كانت المعدات مثلها مثل الضباط عديمة الجدوى وكانت الدبابات الايطالية القديمة عبارة عن صفائح من السردين ، وكثيراً من الدبابات والسيارات المدرعة كانت بلا أجهزة لاسلكية وكان التفاهم يتم عليها عن طريق الاشارات بالاعلام . وحيث أن كل ذلك كان معروفا بالنسبة لموسولينى وكما يتبين من مذكرات شيانو فقد كان يكن الاحتقار والازدراء لبنى وطنه ولكل قادة جيشه . وقد يبقى شيئا محيراً أنه كيف كان يتوقع لهم ان يعيشوا « مثل الاسود » . ومع ذلك ، وبالرغم من أنهم ليسو بأسود فقد كان بعضهم يكن بعض الاعجاب لروملا . وقد وصف موسولينى في احد اجتماعات مجلس الوزراء وزرائه في السابع من فبراير ١٩٤٢م بعد أن هاجم كعادته القواد الايطاليين . كيفية حماس البرساجليرى تجاه روملا فقد خلعوا عليه ريشهم وحملوه على اكتافهم بعد النصر . وهم يصيحون بأنهم واثقون من الوصول الى الاسكندرية طالما أنهم معه ! ) وربما كانت هناك مبالغة في وصف هذا الحدث . ومع ذلك فقد كان لروملا معاملة أبويه مع الرتب الأخرى من الايطاليين وهذا ماجعله محبوبا لديهم .

أما بالنسبة للقيادة الايطالية العليا . وبالنسبة للضباط الايطاليين فلم يكن متعاطفاً معهم بأى شكل من الاشكال . وكان يعتبر الضباط فئة جديرة بالاحتقار وقد افزعه عندما علم أن هناك ثلاثة مستويات لوجبات الغذاء للقوات الايطالية في الصحراء ، احداها للضباط ، والاخرى لضباط الصف والثالثة للرتب الاخرى على نحو يتناقض بدرجة كبيرة . وقد اعزوا ذلك على عدم محاولة الضباط رعاية جنودهم للحقيقة التى تقول بأنهم لم يكونوا يتحلون ( بالعرف العسكرى ) الا أن هذا لم يكن يبرر في نظره كراهيتهم الواضحة في اكتساب أى من هذه التقاليد العسكرية (واستثنى من ذلك القوات الجوية التى قدمت بعض الطيارين الانتحاريين . ) . أما بالنسبة للضباط الايطاليين فقد كانوا يعتبرونه رجلا فظا خشنا دائما مايطلب المستحيل .

وبما أنه شخصيا كان دائما تحت القيادة الايطالية فان المنازعات على اعلى المستويات كانت شيء حتمى . وقد وجد القائد غاريبالدى ، وهو أول من كان عليه التعامل معه رجلا متقدما في السن مهذبا ذكيا كما كان محاربا قويا . والاهم

من ذلك بالنسبة لروميل ، أنه كان يملك كل المؤهلات التى تجعله يقرر طريقه ويعرفه جيداً . أما القائد باستيكو والذى كان يسميه « بومبا ستيكو» فقد كان مزعجا الى حد ما . وبالرغم من أن القائد بايرلين كان يعتمد بأنه تافه وعديم الفعالية ، الا أن باستيكو كانت له أفكاره الخاصة به . فبعد أن انتهت معركة سيدى رزق ، في ديسمبر ١٩٤١م ، جاء مع كيسلرنج الى موقع الغزالة وتشاجر مع روميل بسبب قراره بالانسحاب الى اجدابيا . فربما كان لذلك تأثيراً سيئا في ايطاليا يصل الى قيام ثورة هناك . فأجاب روميل بأنه يمكن ان يضمن شيئا واحداً هو أنه سيتمكن من فك الحصار من حول الفيلق الافريقى . فاذا ما أراد الايطاليون البقاء في مواقعهم الحالية ، فهذا شأنهم . وعلى العكس من ذلك وكانت هناك محاولة باستيكو لمنع التقدم الى مصر ، وقد تحدثت في هذا الخصوص في الفصل السابق .

وقد كان هناك أيضا القائد كونت اوجو كافاليرو ، وهو رئيس الاركان بعد استقالة بادوليو في ديسمبر من عام ١٩٤٠م . وقد كان روميل يميل الى أن يثق به حيث أنه كان يتكلم الالمانية مثلما يتحدث بالايطالية ، كما كان يعطى انطباعا بأنه احد الضباط الاكفاء . كما كان روميل أيضا يعتمد عليه في مسألة الامداد والتموين . ويشير شيانو الى احدى صور كافاليرو بكل الحب الذى يكنه أحد قطاع الطرق الايطاليين لكى يجود به على زميله الآخر . قائلا : « فمثله مثل أحد تجار التحف الشرقية الذين عرفوا طريقهم الى قلب موسولينى وهو مستعد لايتبع طريق الكذب والتشويش والخديعة . ويجب مراقبته ، فهو رجل يمكن أن يجلب لنا كثير من المتاعب ......... وأن من بين الافراد العديدين عديمى الولاء والاخلاص التى تقذف بهم الحياة كل يوم يحتل كفاليرو مركز الصدارة ...... واليوم فلم يعد يحتمل بما يحمله من تفاؤل مزيف يقوم على النفاق والتذلل ........ أنه كاذب عديم الحياء .......... فربما يدني نفسه الى الحضيض اذا ما كان ذلك سيخدم اغراضه ........ انه مهرج خطير ، مستعد لان يرتمى في أحضان الالمان على حساب كرامته ........... انه خادم الالمان .......... ويتعمد خداع الزعيم « موسولينى» ، وعندما اقترح موسولينى بعد ترقية روميل الى رتبة المشير أن يجعل من كفاليرو مشيراً هو الآخر لانه لولم يتم ذلك سيصبح» بين روميل وكسلرنج كالمسيح بين اللصوص احتج شيانو وقال : « ان ترقية باستيكو ستضحك الناس أما ترقية كفاليرو فستجعلهم ينقمون » .

وأخيراً جاء دور الزعيم نفسه . لكل اولئك الذين مايزالون يميلون الى الاعتقاد

بان الدكتاتورية هى التى يمكن بها تحقيق كل الأمور ، لأن الدكتاتوريين هم الذين يعرفون قدراتهم فقط ، فمن المفيد أن ندرس وجهة نظر موسوليني تجاه رومل كما هو مدون بواسطة شيانو . ففى مايو سنة ١٩٤١م بعد قراءة أحد الاوامر اليومية الذى قيل بأن رومل قد وجهه الى قيادات الفرق الايطالية مهدداً بتشكيل محاكمات عسكرية لها فقد اعتبر ذلك تحديا شخصيا لهتلر وفي الخامس من ديسمبر سنة ١٩٤١م ، كان يملأه الفخر باصداره الامر الى الالمان .......... » .

وفي السابع عشر من ديسمبر عندما كانت تسير المعركة على نحو سيء ، » وجه اللوم الى رومل ظنا منه أنه هو الذى أفسد كل شيء بتهوره » . وفي حوالى السابع من فبراير سنة ١٩٤٢م بعد هجمة رومل المضادة ، » أثنى على رومل ، الذى كان دائم التواجد في دباباته على رأس الطوابير المهاجمة » . وفي السادس والعشرين من مايو « كان موسوليني في ذاك الوقت يهتم بالهجوم التالى في ليبيا فقط وكان متفائلا جداً . وكان يؤكد بأن رومل سيصل الى الدلتا ان لم يرد ليس بواسطة البريطانيين ولكن بواسطة قواتنا نحن .» وفي الثاني والعشرين من يونيو ، » كان في حالة معنوية ومزاجية عالية وكان يعد العدة للذهاب الى افريقيا . وحقيقة القول فانه الرجل الذى كان وراء الهجوم الحاسم ، حتى ولوكان ضد آراء القيادة العليا . وفي هذه الاثناء كان يخشى أنهم ربما لايدركون ضخامة النجاح ومداه ، ولهذا يمكن أن يفشلوا في حسن استغلاله . إلا أنه كان لا يثق الا برومل ....... »

وبعد أربعة أيام أخرى » سره تقدم سير العمليات في ليبيا الا أنه قد أغضبه أن المعركة كانت منسوبة الى رومل ، وبهذا كان يبدوا الانتصار لألمانيا أكثر منه ايطاليا وأيضا مسألة ترقية رومل الى رتبة المشير ، التى قلده اياها هتلر أساسا لتبرز الشخصية الالمانية للمعركة . هذا الامر قد سبب للزعيم ألما كبيراً . وكان طبيعيا أن يعزوا هذا الى تصرف جرازياني الذى كان طوال الوقت في احدى المقابر الرومانية في شحات على عمق سبعين قدما تحت الأرض ، بينما كان رومل يعرف الطريق لقيادة قواته عن طريق ضرب المثل الشخصي للقائد الذى يتواجد في دبابته طوال الوقت » . وفي الواحد والعشرين من يوليو أصبحت معنوياته طيبة واصبح متأكداً من الوصول الى الدلتا لدرجة أنه قد ترك أمتعته الشخصية في ليبيا . الا أنه مازال بطبيعة الحال يحاول أمتصاص كل الاتهامات المعادية لرومل والموجهة اليه من القيادة الايطالية في ليبيا » . وفي الثالث والعشرين « ادرك بأن تخطيطات رومل الحربية كانت في خط متعرج فمرة في القمة وأخرى في القاع » . وفي حوالى التاسع من سبتمبر « غضب على رومل » الذى أتهم الضباط الايطاليين بكشف الخطط للعدو

وفي السابع والعشرين من سبتمبر اعتقد تماما الاعتقاد بان رومل لن يعود . وقد استشف انه بدأ يهتز من الناحية البدنية والمعنوية » . وفي حوالى الخامس من يناير ١٩٤٣ وجه كلمات لاذعة الى كافاليرو والى ذلك الرجل المجنون رومل الذى لايفكر الا في التراجع الى تونس » .

لا يا كافاليرو فان رومل كان لايتفق في التعامل مع الدكتاتوريين وقد أحب موسوليني تماما ، عندما رآه لأول مرة لأنه بدأ أمامه رجلا يقرأ أفكاره ويمكن أن يصدر القرار وبسذاجته ظن أن موسوليني يمكن أن يكون صديقاً له ولم يدرك عندها سرعة تغير صداقة الزعيم مع تيار سير الأمور ، ولحسن الحظ فان رومل كان يروى الدعابة حتى ولو كانت ضده شخصيا . ففى سنة ١٩٤٢ استدعى الى روما لمناقشة مسألة الامداد والتموين . فعندما دخل تلك القاعة الضخمة في قصر فينسبا وقع بصره على نوط الشجاعة الايطالى على المكتب الكبير . عندها فكر وكان على صواب بأن هذا التصرف كان مقصوداً . واشتد النقاش . وعندما اندفع رومل وتفوه بشيء يحط من قدر الاسطول الايطالى فرماه موسوليني بنظرة غاضبة . ثم أمسك بالنوط وجذب احد الادراج ورمى به داخله واغلق المكتب . وقال رومل باكتئاب « لقد كان شيئا جميلا ، لماذا لم أمسك لساني لعشرة دقائق آخرى ؟ فانه لم يكن يستطيع أن يطلب منى استرداده مرة أخرى » .

ومع هذا فهناك شيء جدير بالذكر بالنسبة للجانب الايطالى وهو ان اللياقة البدنية لم تكن أبرع ما في رومل . فعندما كان على وشك أن يقوم بهجمته المضادة في يناير ١٩٤٢م لم يخبر رؤسائه من الايطاليين بها خوفا من تسرب أنباء الهجمة . وكان كل ماقام به هو أن قال لأحد هيئة أركانه أن يعلن الأوامر الخاصة بها على القوات الخلفية الايطالية بعد بدء تقدم القوات . وقد تضايقت هيئة قيادة الأركان الايطالية جداً لأنهم علموا بالخبر متأخراً فاستدعى رومل . واجاب بانه كان على خط المواجهة الامامية ويسعده أن يرى القائد باستيكو هناك . ولم يظهر القائد باستيكو . وبعد عدة أيام قيل لرومل أنه قد اقترح سحب جميع القوات الايطالية . فرد رومل بأن الأمر يستوى عنده اذ ما نفذ . فقد كلفه ذلك أول أوسمته وفعالية القائد باستيكو .

واثيرت المشاعر على الجانب الايطالى الى درجة كبيرة بسبب تسوية موضوع تقسيم الغنيمة . فقد كان هناك اتفاق رسمى خطط له تقريبا بواسطة كافاليرو يسلم بمقتضاه الايطاليون الى الالمان كل ماغنموه في روسيا في مقابل تسليم الالمان غنائم الحرب في شمال أفريقيا للايطاليين . وقد كان بغيضا على الايطاليين تنفيذ

الجزء الأول من الاتفاق : فقد اشتكى الايطاليون مر الشكوى من تجاهل حلفائهم للجزء الثاني من الاتفاق . ويكتب شيانو في صيف سنة ١٩٤٢م ليقول « لقد كان هناك سخطا شديداً على الالمان بسبب تصرفهم في ليبيا ، فقد استولوا على كل الغنائم وانشبوا مخالبهم في كل مكان وأقاموا الحراسة الالمانية على كل الغنائم مهددين بالويل كل من يقترب منها » فليس هناك صراخا أعلى صوتا من المغتصبين . وكان من حسن حظ رومل ان كان لطلقته دوى شديد وكانت الحماية له قوية حيث لايمكن معها ان ينال منه أحد . ومما أثار شيانو وزاد من غضبه أن « الشخص الوحيد الذى نجح في الحصول على الكثير لنفسه فقط هو كافاليرو........ »

ولذلك لم تكن قوات المحور رفاقا مخلصين . ومع ذلك وحسبما جاء في تقييم مانفرد للايطاليين فان رومل قد أبدى ملاحظة بها مجاملة على عكس مايرى الالمان فقد قال « انهم بالتأكيد لايصلحون للحروب ولكن الإنسان لايمكن أن يصدر حكمة على كل انسان في العالم على اساس نوعيته كجندى فقط ، والا لما قامت هناك أية حضارات .

وكان رأى روميل تجاه عدوه ، يميل الى الود ، الا أنه كان في بعض الاحيان يشوب هذا الود بعض العداء والكراهية . فقد أسف مثله في ذلك مثل باقي الألمان عندما استخدمنا الفرق الهندية أولا ضد الاروبيين ، حتى واجه الفرقة الرابعة واكتشف أن الجندى الهندى على الاقل منظم ولائق كأى جندى آخر في الصحراء ولم يكن يقف في وجه أى ملاحظة ساخرة معتدلة ، على سبيل الدعابة على « الانجليز الملونيين» الذين كانوا يرافقون قوات أفريقيا الجنوبية ، مع أنه كان يعرف جيداً أنهم ليسوا من المحاربين . أما الاستراليون فكان يعتبرهم غلاظ وخاصة مع الايطاليين ، لكنها كانت غلطة من النوع الذى كان يميل اليه ولم يبد أية نوايا سيئة . وكان يقدر الاستراليين كمقاتلين أفراد . لكنه كان يظن أنهم يميلون الى الفرار . وقد كان يود لوأنه حصل على فرقة منهم لكنه كان يقول « بأن جيشا من الاستراليين يصعب السيطرة عليه » . أما الجنود التابعين لجنوب أفريقيا فكان يعتبرهم من خامة طيبة لكنهم متخلفون جداً ، مع أنه قد اثنى على سياراتهم المدرعة وأقر بأنهم قد أبلوا بلاءاً حسنا عند العلمين . وبالنسبة للجنود النيوزيلانديين فقد كان اعجابه بهم شديداً وبلا حدود . فدائماً ما كان يسر بالقول الى مانفرد والدنحر وآخرين بأنهم كانوا أحسن قوات على جبهتنا .

وبالنسبة للبريطانيين الذين كان يحترمهم . كهواة يبشرون بمستقبل عظيم ولقد ذهب الى أبعد من ذلك عندما أقر بالنسبة للعمليات الصغيرة المنفردة والتى تتطلب قدرات شخصية كبيرة ، مثل تلك العمليات الخاصة بمجموعات الاستطلاع الصحراوية والقوات الجوية الخاصة قد فاقوا فيها الألمان أنفسهم الذين كانوا يفتقدون نفس روح الثقة كما لم يكن بالنسبة لهم من الممكن القيام بمثل تلك العمليات المتعددة على مسافات بعيدة خلف خطوط العدو . (واحقاقا للحق يجب أن نقول أن مجموعات الاستطلاع الصحراوية كانت تشتمل على نسبة كبيرة من القوات النيوزيلاندية بالرغم من أنها كانت تشكل وتأتمر بأوامر ضباط نظاميين بريطانيين) . وكانت التشكيلات البريطانية النظامية حسب اعتقاده عنيدة باسلة عند الدفاع الا أن تدريباتها لم تكن كافية . واستثنى من ذلك الفرقة المدرعة السابعة وبصفة خاصة فرقتى الرماة من المجموعة المساعدة لكتيبة المدفعية والفرسان الحادية عشر . ومع ذلك فقد كان يعتقد بأنه أثناء عمليات الدبابات كانت وحداتنا المدرعة وحتى الدبابات منفردة تميل الى التعامل دون غطاء في المعركة . وكان لنقده بأننا استخدمنا

المدرعات بطريقة مكدسة مما أدى الى تحطيمها بالكامل له صدى عند النقاد العسكريين البريطانيين . وكان طبيعياً أن يعتقد أن نظام القيادة البريطانية بطيء للغاية ، تعوقه كثرة المكاتبات ، وانني لم استطع أن اكتشف رغم كثرة استفساراتي أنه قد عبر بالرأى في أية قيادة بريطانية فردية ماعدا القائد وافل ، الذى كانت حملته ضد الايطاليين ، كما اعلن روميل يمكن أن تكون مثلا عالياً لجرأة التخطيط وشجاعة التنفيذ بأقل الامكانيات ، وعليه يجب دراسة هذه الحملة . وهكذا كان تقييمه لخصومه يقتصر على الناحية العسكرية بعيداً عن العواطف . وبالفعل فانه لم يكن يمقت أو حتى مجرد أن يكره . حيث أنه كان يتعاطف مع النيوزيلانديين جماعات وأفراداً .

ان حرب شمال أفريقيا كانت حرب نبلاء هكذا قال عنها القائد جوهان كرامر وهو آخر قادة الفيلق الافريقى الى أحد مراسلى جريدة «التايمز» وعندما انتهت الحرب – كان على روميل أيضا أن يفخر بسجل قواته النظيف وكذلك «بسجلاتنا» في هذه الحرب ، حيث كان له وجهات نظر قوية في السلوك السليم وملاحظته لتصرف الجنود . ولم يكن في ذلك شيء يسترعى الانتباه . فقد كان الأغلبية من الضباط النظاميين الألمان يشاركونه نفس وجهات النظر وبصفة خاصة أولئك الذين كانوا في الخدمة قبل سنة ١٩٣٣ وبالنسبة للرتب العالية كان هناك بعض الاستثناءات ، مثل اتباع كيتل واتباع جودل الذين فرطوا في كل شيء لهتلر حتى أنهم كانوا على استعداد لنقل وتنفيذ أوامره الوحشية والعنيفة . حتى ولو كانت على غير هواهم .

وبالنسبة لنا فان استمرار بقاء الفروسية لهذه الحرب جاء كمفاجأة لنا . وحيث اننا لم نكن نعلم شيئا عن الضغينة التى بين الحزب وبين الفيرماشت ( الألماني) وعن الغيرة التى بين النازيين من الجيش واحتقار طبقة الضباط لعامة الناس والمعارضة الدائمة وربما الخانقة الضعيفة لعديد من القواد تجاه زعيمهم ، فنحن بالطبيعة نجمل بين جميع الألمان ، وربما كان هذا صحيحاً أثناء الحرب . فان الأمم على الجملة توفي الحكومات بما يستحقونه وبما هى جديرة به . فاذا ماتحالفوا مع هتلر وموسولينى لابد أن يحصلوا على مقابل . ولايمكن أن يتوقعوا من اعدائهم ان يفرقوا بين اولئك الذين يرتدون نماذج مختلفة لنفس الزى الواحد . ومع هذا يمكن ان نسلم بأنه مهما كان قد جرى في بولندا وروسيا ، فان الجيش النظامى الالماني في أى مكان آخر قد حارب حربا نظيفة . والشيء الغريب أنه حارب معركة أكثر نظافة من معارك ١٩١٤ الى سنة ١٩١٨م . وربما يرجع

ذلك الى انحسار القتال الالتحامى ، وربما يرجع الى أن الضباط كانوا على علاقة طيبة بجنودهم وربما لان القائد فون سيكت وخلفه قد أقاموا تقليداً أفضل ، فقد توقفوا عن قتل الاسرى وهو ماتذكره قد حدث على كلا الجبهتين في الحرب العالمية الاولى (والحقيقة أن عملية الاسر كانت أسهل بكثير في هذه الحرب عن سابقتها ، حيث يمكن ان يقع أى فرد في الاسر دون أرتكاب أى خطأ .

وعلى أى حال فقد أكتشف البريطانيون على وجه السرعة أن الفيلق الافريقى كان يقاتل حسب النظم والقواعد . ولهذا فقد كان الفضل كله يرجع لروميل . فحيث أن الفيلق الافريقى كان يعتبره مثلا في كل شىء ، فقد كان يستحق قدراً كبيراً منه دون شك . ومع ذلك فقد كان الامر بالنسبة له ضربا من الحظ . فقد قال القائد بايرلين « اننا نشكر الله لاننا لانملك أية فرق من القوات الخاصة للصحراء ، والا فان السماء وحدها هى التى تعلم ماذا يمكن أن يحدث : فربما كانت الحرب من نوع مختلف » . واستمر في حديثه الى ليخبرني بما لم أكن أدركته وهو أنه بينما كان القائد الالماني يمكنه ان يتحكم في قوات الخدمات الخاصة في الميدان اثناء العمليات الحقيقية ، فانه لم يكن لديه الامكانية لحفظ النظام والسيطرة عليهم أيا كانوا وكان كل مايمكنه حتى ضد أى رتبة هو أن يكتب تقريراً ليمر من خلال القنوات العادية حتى يصل الى هتلر شخصياً والنتيجة المحتملة دائما ماتكون غير مرضية فاذا مارأى قائداً بعض رجال الخدمات الخاصة على محطة السكة الحديد مثلا يضربون الاسرى الروس بمؤخرة بنادقهم فيحاول عندها أن يراجع ضابط الصف المسئول . فيسأله ضابط الصف بطريقة « وقحة » ومن أنت ؟ قائد من الريشزفير . نحن لانتلقى اوامرنا من قادة الريشزفير ، فنحن من القوات الخاصة ونحن نتلقى أوامرنا من هملر ! ومع هذا فقد أخطأ الاسم الصحيح للقائد . ويقول القائد باس في ذلك « في هذه الحالة لابد لى أن أطلب منك أن تذهب الى تلك الشجرة لأننى سأقترح شنقك فيها بعد ثلاثة دقائق فاعتذر ضابط الصف حيث أن القائد كان يصحبه طابور كبير من قواته . ويقول القائد بايرلين« وفي مدى آسبوعين قيل لى سراً بأن هيملر قد وضع اسمى في قائمته السوداء » . وكان الاسم بطبيعة الحال فريتز بايرلين . وأضاف « لوكانت مؤامرة العشرين من يوليو قد نجحت لقامت حرب أهلية بين فرق القوات الخاصة والجيش في ايطاليا . »

ولم يكن الفيلق الافريقى يضرب الاسرى بل على العكس فبعد الهجوم الوحشى الاول عاملهم تقريبا بالطريقة المجاملة للزمن القديم . ففى كمبوت بعد معركة أول مايو سنة ١٩٤٢م بقليل قابلت احدى مصورى الشرائط لاحدى الوحدات

وكان اسكوتلانديا وقد استطاع ان يهرب بعد ساعة أو ساعتين من أيدى الاعداء وكان قد وصل حديثا من انجلترا ، وكانت هذه اول تجربة له في الحرب وكان ساخطا الى درجة كبيرة . وسألني أى نوع من الناس هؤلاء الالمان السفاحين ياسيدى ؟ اني لم أر مثلهم من قبل ان ضابطا المانيا وأوكد لك أنه ضابط ياسيدى قد أخذ مني آله التصوير ولم يعيدها الى .............. على العموم لايهم ثم أضاف مبتهجاً « انني قد سجلت عليه ذلك » وهكذا قد اخذ الرجل الاسم والرتبة والتاريخ على احد ظهور ظروف الخطابات . فقد كان ينوى البحث عن الملازم أوبر بعد الحرب .

تلك كانت قصتى المفضلة ، حتى صادفني سوء الحظ فوقعت في الاسر عندها كان يمكن أن اتمها بالشاب الألماني الذى اعاد الى بأدب بعد أن بحث عني علبة سجائرى الذهبية التى وجدها في جيب قميصى واعتذر عن أخذه نظارات الميدان الخاصة بي بعد أن برر ذلك بقوله بأنها من المهمات العسكرية بينما علبة السجائر شى خاص . وبمقارنة ماجاء بمذكرات الاخرين في معسكر السجن وجدت أنه لايوجد أى سبب جوهرى للشكوى حتى سلمنا الى الايطاليين . وبما أنني مازلت احتفظ بعلبة سجائرى فاني اعتبر نفسى محظوظا في المعسكرات الايطالية أيضا . ومع هذا فقد حاولت الا أعرضها لنفس الاغراء بسلبها مرة أخرى .

وقد كان هناك بين حين وآخر مواقف متعددة من سوء التفاهم بيننا وبين روmmل كان لبعضها نتائج سيئة على الاسر ى ومثل هذه المواقف حقيقة متعمدة . ولم يكن الخطأ دائما من الجانب الالماني . فمثلا فقد أصدرنا أمراً يقضى بأنه لاتقدم الى الاسرى أية وجبات قبل استجوابهم وكانت الغاية بريئة بكل معنى الكلمة . فالأسير عادة مايهتز عند اسرة لأول مرة فاذا ما استجوب على الفور يمكن أن يدلى بمعلومات قيمة . أما اذا ما أعطى الوجبة الغذائية وربما أيضا سيجارة فقد يكون قد استطاع الحصول على فترة من الوقت يستجمع فيها قواه . وكان الامر لايعني الا أن تؤجل الوجبة الى أن يتم التحقيق . وحسب أعتقادى فان هذا الامر كان يتضمن التأخير لساعة أو ساعتين .

ومع ذلك فقد كان من غير الحكمة أن يدون هذا الامر على الورق والاكثر من هذا ان يتداول هذا الامر المكتوب في المناطق الامامية حيث يمكن ان يقع في ايدى الالمان . ولم اكن أدرك مدى ضرره حتى وصلت الى مطار التميمى بعد ان قضيت اثنتى عشر ساعة واقفا في عربتى ، تحت الشمس الحارقة دون ماء أو غذاء . فقد مر عندئذ أربع وعشرون ساعة ولم اتناول فيها أى من الماء أو الغذاء

بالاضافة لمدة ست أو سبع ساعات قبلها لم أتناول خلالها أى ماء أوغذاء . فكنت اتطلع الى وجبة مسائية . والاهم من ذلك الماء . واستعرضنا أحد الضباط الالمان الذى خاطبنا باللغة الانجليزية قائلا « انى آسف أيها السادة اننا لانستطيع أن نقدم لكم أى طعام أو شراب ، فبما أن أوامركم تنص على أن يموت الاسرى الالمانيون جوعا ويحرمون من المياه حتّى يصلوا الى القاهرة لاستجوابهم ، فأنا مضطر أن أعاملكم بالمثل . وانك لن تحصل على شىء حتّى تصل الى بنغازى ليتم استجوابك ، الا اذا رأت الحكومة البريطانية أنه من الواجب الغاء هذا الامر. ولقد طلبنا اليهم ذلك » . ويبدو أن الحكومة البريطانية فعلت ذلك حيث قدم لنا الطعام والشراب في صباح اليوم التالى في مدينة درنه .

وقد ترتبت عواقب وخيمة على أحد الاوامر التى وجدت مع أحد الضباط الفدائيين الذين اسروا أثناء غارة فاشلة على طبرق في اغسطس ١٩٤٢م ، فمهما كان القصد منه ، فعندما ترجم الى الايطالية أعطى انطباعا بأنه اذا لم يتم نقل الاسرى على النحو المطلوب فسوف يقتلون . ولم أكن قد رأيت النص الأصلى للامر . لكننى استطيع القول أنه أكد أن شدة تأثير الخسائر على العدو كان اكبر أثراً من احتجاز الأسرى والفرق طفيفا في ترجمة الامر حتّى باللغة الانجليزية . وقد كان على هيئة الضباط الذين يصدرون مثل هذه الاوامر أن يضعوا في اعتبارهم أن الفروق الطفيفة لاتبقى دائما على صحة الترجمة ، ويجب أيضا ان يتذكروا دائما أن جميع الاوامر معرضة للوقوع في أيدى العدو وأن اولئك الذين سيقاسون من ذلك في الاسر هم بنى وطنهم . فقد كبل الكثيرون بالقيود لشهور بعد غارة الديبى عندما عندما تسربت أوامرنا بوضع الاغلال في أيدى الاسرى الالمانيين .

وقد كان امر هتلر التالى الشهير أو الشائن في ١٨ أكتوبر ١٩٤٢م واضح جلى لا لبس فيه على الاقل وهو « ومن الآن فصاعدا فان جميع قوات الاعداء ومايسمى بالبعثات الفدائية في أوربا أو أفريقيا التى تقف في وجه القوات الالمانية ، حتى ولو بدأ للجميع أنهم جنود بالزى العسكرى أو قوات تدمير ، سواء مسلحين او عزل ، سواء أثناء المعركة أو أثناء فرارهم يجب التخلص منهم الى آخر رجل ولا يهم اذا ما كانوا قد نزلوا من السفن أو من الطائرات للقيام بعملياتهم ، أو سواء اسقطوا عن طريق المظلات . وحتّى اذا ما تواجد هؤلاء الافراد وابدوا استعدادهم للاستسلام فهذا لايعفيهم من تنفيذ الامر فيهم ...... » .

وتقول الفقرة الخامسة ان هذا الامر لايطبق على معاملة أى جندى من جنود

الاعداء الذين يؤسرون أثناء عمليات العداء الطبيعية ( عمليات الهجوم واسعة النطاق عمليات الانزال البرى والبحرى ) في المعارك العامة أو الذين يسلمون أنفسهم .

وتضيف الفقرة الاخيرة « انني احمل مسئولية فشل تنفيذ هذا الامر لجميع القادة والضباط الذين يهملون في مهمة ابلاغ هذا الامر للقوات أو يعارضون في تنفيذه حيث يلزم ذلك » .

ويعتبر هذا الامر على اعلى مستوى حيث كان التوقيع المدون في نهايتـه « ادولف هتلر » .

وقد سئل القائد سيجفريد ويستفل عن هذا الامر في نورنبرج في الثامن عشر من يونيو سنة ١٩٤٦م على النحو التالى :-

سؤال : هل كنت على الجبهة الافريقية ؟ .
جواب : نعم لاكثر من عام ونصف .
سؤال : كيف كانت تسير الحرب هناك ؟ .
جواب : يمكننى الاجابة على ذلك بجملة واحدة « لقد كانت تجرى بشكل فروسى نبيل لاريب فيه »
سؤال : من كان قائدك ؟
جواب : المشـــير رومـــل .
سؤال : هل صدر منه أى انتهاك لقوانين الحرب ؟
جواب : مطلقاً .
سؤال : ما الموقع الذى كنت تتولاه معه ؟ .
جواب : كنت رئيساً لقسم العمليات وبعد ذلك رئيس أركانه .
سؤال : اذا فكنت على اتصال دائم به ؟ .
جواب : لقد كنت على اتصال دائم به على المستوى الشخصى والعمل العســكرى .
سؤال : هل تعرف الامر الذى اصدره هتلر في ١٨ اكتوبر ١٩٤٢م .
جواب : نعم .
سؤال : هل تسلمت هذا الامر ؟

جواب : نعم لقد تسلمناه من ضابط الاتصال بالقرب من سيدى براني في الصحراء .

سؤال : كيف كان تصرف المشير روميل عندما تسلم هذا الامر ؟ .

جواب : لقد قرأناه أنا والمشير روميل ونحن نقف بجانب سيارتنا . فاقترحت عليه الا نقوم بنشره فأحرقناه في الحال حيث كنا نقف. وكانت الاسباب التى دعتنا الى ذلك هى كما يلى . ان دوافع الامر التى أعتقد ان نجدها في الفقرة التمهيدية لهذا الكتاب كانت واضحة في حد ذاتها . فقد عرفنا الاوامر البريطانية التى صدرت بشأن القتال الالتحامى وقد عرفنا صرخة النداء الحربي الالتحامى في العلمين . والتى كان نصها .

« اقتلوا الالمان حيث وجدتموهم » ، كما علمنا بشأن التفاقمات المختلفة الاخرى . وقد حصلنا ايضا على امـــر صدر عن أحد الالوية المدرعة البريطانية والذى بمقتضاه لا يجب ان يقدم الى الاسرى شراب ومع ذلك فلم نود ان يصل هذا الامر الى قواتنا . فقد كان يمكن أن يؤدى ذلك الى تفاقم الحرب والشيء الذى لم يكن من الممكن التكهن بنتائجه ، وهذا هو سبب حرق الرسالة بعد عشر دقائق من تسلمها ......... الا أنه لم يكن لاحد ان يعصى الامر على هذا النحو الا اذا كان يعيش على قارة أخرى . فاني لا أعتقد ان هناك من يستطيع القيام بمثل ذلك سواء في الشرق أو الغرب » وفي الواقع ان روميل كان أبعد ما يكون من أنه القائد الالماني الوحيد الذى تجاهل هذا الامر او مايشابهه من أوامر . وسئل القائد وستفل بعد ذلك عن الحالة الغريبة لـ ( ابن أخ المشير الكسندر » . :

سؤال : « هل يمكن ان تعطى نبذة مختصرة عن موضوع العملية الفدائية التى اشترك فيها ابن أخ المشير الكسندر ؟ »

جواب : « لقد أسر احد اقارب المشير الكسندر في خريف عام ١٩٤٢ — خلف خطوط الالمان . وكان يرتدى غطاء الرأس الخاص بالفيلق الافريقى ومسلحا باحد المسدسات الالمانية . فخرج بهذا التصرف عن العرف العسكرى المألوف ، فأعطى المشير روميل أوامره

بمعاملته مثله مثل أي أسير عادى . وقد كان المشير يعتقد بأنه لم يفهم مايمكن ان يترتب على هذا التصرف الذى قام به من جانبه . » ( وكان ماقاله رومل حقيقة عندما أقترح البعض اعدامه طبقاً لما تقضي به اللوائح العسكرية : ماذا ، أو أطلق النار على ابن أخ القائد الكسندر ! أيها الغبي اللعين ، أتريد أن نقدم فرقتين أخريتين كهدية الى الجيش البريطاني ؟ وفي الواقع ان الضابط المعنى بالامر لم يكن من أقارب المشير الكسندر الذى كان لواءاً في ذاك الوقت . واذا كان قد أخبرهم بهذا فان رومل ووستفل قد صدقوا الرواية دون شك . فقد روى رومل هذه الحادثة الى أسرته ) .

وهناك روايات لا تنتهي عن معاملة رومل لاسرانا وكلها حسب ماسمعت تعلى من شأنه . وربما كانت أحسن هذه القصص هي تلك التي أدين بها الى العميد كلفتون بعد أسره ، وقد كان قائد الفرقة النيوزيلاندية في وقت المواجهة مع رومل .

وقد كان العميد كلفتون الذى يدعى ( بالنيوزيلاندى الطائر ) وهو أحد محترفي الهرب الجدد ، فعندما التحق بنا في المعسكر ٣٩ بدأ في رسم خطة جريئة كادت تؤدى الى نجاح مثير . فقد أدلى بنفسه ليلا من أحد نوافذ الطابق الثاني بطريقة خفية في أحد زوايا الأسوار وكان هذا السور فوق رأس أحد الحراس زحف على بطنه عبر الفناء وتحت اسلاك السور ، وبعد أن هرول بسرعة عبر الاراضى وصل الى أقرب محطة سكة حديد واخذ أول قطار في الصباح الى ميلانو . ومن المحطة الرئيسية استقل الترام الى المحطة الشمالية بغرض أخذ قطار كومو ووصل الى كومو قبل أن يتخلف عن طابور النداء في الصباح . وفي كومو أخطأ خطأه القاتل . فقد أقترح ان يتتبع الطريق وراء فيلا الشرق كما فعلت أنا فيما بعد . ثم عبرنا الجبال الى سويسرا ولكي يمكنه توفير الوقت استأجر احدى العربات الى المحطة . وعندما كان يسدد ثمن الايجار ، نشأ نزاع على قيمة الاجرة . وكان اثنان من الجنود يتجولان بينما يدور الشك في اذهانهم وهما يرقبانه . وفي تلك الليلة أعيد الينا مرة أخرى .

وعندما أنتقل الى المعسكر الخامس ، وهو معسكر العقاب لمدمنى الهرب سمعنا أنه كان يقف على السطح وأطلق الحراس عليه الرصاص من جميع الجهات وفي طريقه الى المانيا كان يجلس في عربة قطار بين حارسين ، وعندها حاول القفز من النافذة أثناء سير القطار (١) وعندما قابلت أرملة رومل كان أول سؤال لها على وجه التقريب هو (هل تعرف العميد كلفتون ؟ أين هو وهل استطاع الهرب؟ ان زوجى كان يأمل باستمرار ان يتمكن من الهرب من ايطاليا فقد كان يقدره كثيراً .

وها هى قصة العميد كلفتون :-

« كنت في طريقى بالسيارة في الأراضى المحايدة جنوب جبل المايل في الساعات الأولى من الرابع من سبتمبر سنة ١٩٤٢م وذلك لتنظيم أحدى المعارك الليلية الاخرى التى لم تتم على النحو المطلوب . لقد كان ذلك قبل ظهور أول ضوء لذاك اليوم وكان الموقف صعبا للغاية ونتيجة لذلك وصلنا الى جماعة غير الذين كنا نبحث عنهم ، بينما كنا نبحث عن مجموعة متقدمة من فرقتنا . وهذه القوات المعنية من العدو والتى صادفناها كانت من قوات المظلات الايطالية من فرقة فولجير ، وقد بدأ لعدة لحظات كما لوكنا نستطيع ان نعود بخمسين من الايطاليين بدلا من الوقوع في الاسر ، وقد حسم الامر ضدنا بالرغم من ذلك بسبب تدخل ضابط المدفعية الالماني الذى كان معينا كضابط ميدان بالنيابة وكان موقعه على بعد مائة ياردة . جاء هذا الضابط وتحدث مع الايطاليين بألا يكونوا أغبياء وأصبحنا في حوزتهم .

« وبعد ساعتين عدت الى مقر قيادتي في الموقع الدفاعى في كابونجا الذى كان يحتله آنذاك بعض الايطاليين واحدى فرق الاحتياطى المظلية الالمانية . وكانت الساعة السابعة فقط صباحا الا انها بدت وأنها عمركامل منذ أن غادرت موقعى على أمل العودة للفطور .

« وبعد عشرة دقائق انتشر الفزع وجاء احد ضباط المخابرات ليخبرني بأن رومل على وشك الوصول . وقد بدأ أكيداً ان هناك ثلاثة أو أربعة من عربات الاستطلاع قد جاءت الى احدى النواصى تتوسطها سيارة قيادة ضخمة بها رومل شخصيا ، يجلس في مؤخرتها . وخرج بين اصوات حركات تأدية التحية

(١) عندها جرح جرحا كبيرا في ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ ، ثم هرب مرة أخرى في ١٥ أبريل ووصل الى وطنه اوكلاند بنيوزيلاندا .

العسكرية . وقد لاحظت انه يقدم نفسه الى العقيد الايطالى الذى كان يرأس الضابط في تلك المنطقة .

وبعد نقاش قصير استدعى الرائد الالمانى الذى يقود فرق المظليين وبعد عدة دقائق أخرى استدعيت ، وهكذا قابلت روميل الشهير لاول مرة . لقد كان قصيراً قوى البنية نحيل الخصر حساسا الا أنه كان يتمتع بثقة كبيرة بالنفس وتحدث بالالمانية ، مع أنه كان من الواضح أنه يفهم الانجليزية وتقدم ليحدثنى عن أساليب قطاع الطرق النيوزيلانديين . وتبين أننا قد قتلنا الجرحى الالمان من كاركيم في المعركة الليلية خلف مطروح وأنه كان في أشد الغضب لهذا السبب وقال بأنه ان أردنا أن يكون القتال عنيفا ، فهم أيضا يمكنهم أن يقوموا بذلك ، وانه اذا ماتم أى عمل من ذلك النوع من جانبنا فانهم سيردون بالانتقام الفورى .

« وبما أننى كنت أقرب نيوزيلاندى معرض لمثل هذا الانتقام فقد أصبح الامر موضوعا شخصيا الى حد ما بالنسبة لى . ومع ذلك فقد تمكنت من شرح وجهة نظرنا تجاه أحداث تلك الهجمة الليلية الشهيرة ، فقد استطاعت أول موجه هجوم لنا التى تسللت في الظلام ان تفاجىء الالمان ، وكان بعضهم مستلق على الارض يطلق النار أو يلقى بالقنابل بعد مرور أول مجموعة ونتيجة لذلك فقد تمكن أفراد المتابعة من أصطياد كل من لم يستطع الوقوف والاستسلام . ومن المحتمل ان بعض الالمان قد طعنوا عدة مرات بواسطة الافراد المارين .

« وقد فسرت ماحدث وسواء أننى قد نجحت في تفسير ماحدث أو لا فقد قال روميل » حسنا هذا كلام منطقى ويمكن أن يتم في معركة ليلية ولكن ......... وعندها أستأنف حديثه ليصف احدى الحوادث التى القى فيها احد الجرحى الالمان في سيارة مشتعلة .

« وبعد نقاش طويل على هذه الحادثة المزعومة سألنى « لماذا تحاربون أيها النيوزيلانديين ؟ انها حرب أوربية ولاتخصكم . أتعتبرون هذا تدريب لكم ؟ » عندما أدركت أنه يعنى مايقول حقيقة ، وأنه لم يسبق له أن يفصح عن حقيقة ماشهد به وهو أننا نحارب اذا ماحارب البريطانيين ، رفعت يدى مطبقا أصابعى قائلا (أن قوات الكومنولث البريطانية تحارب معنا ، واذا ماهجمت على انجلترا فانتم تهاجمون نيوزيلاندا واستراليا أيضا ) . فسأل روميل بسرعة وماذا عن أيرلندا . وكان لدى أجابة على هذا السؤال . فمنذ حوالى أسبوع أو أكثر كنا قد حصلنا على أرقام أعداد المتطوعين للخدمة العسكرية في جنوب أيرلندا واعتقد أن نسبتهم

المئوية لاجمالى عدد السكان كانت تساوى أعداد أى دولة من دول الكومنولث .

ولم يعلق روميل على ذلك ، وتمنى لى حظا سعيداً ثم ذهب الى المعركة حيث شن بآخر هجوم عنيف له على مصر . وبعد ستة أيام هربت من مطروح الا أن تلك قصة أخرى لمسيرة طويلة وحظ سيء ، والتى أنتهت عندما أعيد أسرى في الخامس عشر من سبتمبر عن طريق ثلاثة من صغار ضباط البانزر الذين كانوا يصطادون الغزلان على بعد عشرة أميال غرب جبهة العلمين ، فبعد قصف المنطقة بواسطة قاذفاتنا وبعد فترة من الارتباك وقعت في مقر قيادة روميل للمرة الثانية .

« وتفضل المشير برؤيتى مرة أخرى يصحبه الشبان الثلاثة الذين تمكنوا من اعتقالى والذين وعدوا بسبعة أيام أجازة خاصة الى المانيا مكافأة لهم على ذلك . ( والمعتقد أن املهم قد خاب في ذلك ) وبدأ روميل حديثه معى مرة أخرى بتعليقات لاذعة على وسائل حرب عصاباتنا ، وقد تصادف هذه المرة ان هاجمت الطائرات القاذفة المتطورة من نوع فلاينج فورترى احدى البوارج الطبية وهى تغادر ميناء طبرق . عندها قال لى ( انى لا ألومك في محاولة الهرب . انه واجبك ولو كنت في مكانك لفعلت نفس الشيء ) .

« فأجبت وأنا أتفحص منطقة بطنه التى بدأت تمتلىء وحذاءه الضيقة وبنطلونه : « أننى متأكد من انك ستحاول نفس المحاولة ياسيدى الا أننى لا اعتقد انه في امكانك ان تسير نفس المسافة التى قطعتها » . ( وهى مسافة تزيد على مائة ميل في أقل من خمسة أيام وليس معى من الماء سوى زجاجة واحدة من الماء .

فأجابنى روميل بأداة نفى سريعة « لا ، اننى كنت سأفكر جيداً فأستعير سيارة » ولكى امازحه أضفت وأنا أيضا كان يمكننى ذلك ، الا أنه لم يكن عندى من الوقت سوى ٢٠ ثانية فقط ، مع أنه كانت لدينا عربة رخيصة — ومناسبة ، وعندها أضاف روميل أننى أسبب كثيراً من الازعاج وانه لمن المؤكد أن أى محاولة أخرى للهرب سوف تنتهى باطلاق الرصاص على . ومع ذلك فقد قرر أن يتخلص منى بسرعة — وذلك بأن أرسلنى بالطائرة في وقت مبكر من صباح اليوم التالى من الضبعة الى روما مباشرة . ( ان الالمان متمتعون بعقلية واقعية ، وعلاوة على عدم تمتعهم بروح المرح . ان الانطباع الذى تركه روميل على تفكيرى أنه شخصية بارزة غير عادية وكان هذا الانطباع يزداد كلما حالفنى سوء الحظ وقابلت أى ضابط المانى كبير . وفي الظروف التى كان يقابل فيها قواتنا سواء كأسرى أو كجرحى فانه كان يحيهم تحية جندى لجندى كما كان يحسن معاملتهم

وقد كون نفس الفكرة عنه هارجست الذى أسر في سيدى عزيز في أواخر نوفمبر ١٩٤١م حيث أخذه رومل الى البردية . واظن أنه قد علق على ذلك في كتابه « وداعنا للكامبو ١٢ » . (وقد كان رومل يؤنب العميد هارجست لعدم تأديته التحية له . كاتبا « الا أن هذا لم يمنعه من تهنئتى على نوعية رجالى القتالية » . ) وكانت قصة كلفتون جديرة بالاكبار على كلا الجبهتين .

وقد كانت البوارج الطبية مسألة مزعجة لرومل . فقد اساءه واغضبه جداً ماسمعه بأن الاسطول الملكى كان يسحبهم الى مالطا للتفتيش وكان يزداد غضبه عندما تصله أية تقارير تفيد بأن هذه البوارج قد هوجمت من قبل قوات الطيران الملكية في البحر . كما قدم مذكرة احتجاج شديدة بل انه قد تأثر كثيراً عندما علم أن احد القادة الايطاليين قد عبر البحر في أحدى البوارج الطبية موضوعا على احدى الناقلات فنقل الى مالطا دون أن يكون من الجرحى وذلك لخوفه من الطيران فوق البحر . وقد تخلص من مخاوفه نهائيا في مؤتمر عقد قبل العلمين في يوليو . وكان رومل يشكو مر الشكوى من عدم امداده بكميات وفيرة من البنزين . فقد غرقت ثلاثة ناقلات للبترول في يومين فأعاد كافاليرو تأكيد وعده له . بأنه قد اتخذت تدابير اخرى لاستمرارية توصيل المواد التموينية له . وكان من المزمع ارسال البنزين في الطوابق السفلية للبوارج الطبية ! . فاحتج عليه رومل متساءلا « كيف لى أن احتج اذا ماهاجم البريطانيين البوارج الطبية اذا ما فعلنا ذلك؟ عندها أحس كافاليرو بالدهشة والاستياء .

ولكى اعطى فكرة اجمالية عن روح القتال في معارك الصحراء يمكننى ان انقل ماقاله القائد فون رافنستين حيث قال : « وعندما وصلت الى القاهرة استقبلت استقبالا حافلا من نائب القائد اوكنلك واخذوني لمقابلة القائد أوكنلك نفسه بمكتبه . فصافحنى قائلا : « اني أعرفك بالاسم لقد حاربت انت وفرقتك حرب فروسيه واني لاود ان اعاملك على احسن وجه » . وقبل أن أغادر القاهرة سمعت بأن اللواء كامبل قد منح وسام صليب فيكتوريا فطلبت وحصلت على الاذن في الكتابة اليه ومازلت احتفظ بنسخة من رسالتى اذا ما كان لديكم اى رغبة في قراءتها .

وكان نص الرسالة كالتالى :-

العباسية في ١٠ فبراير ١٩٤٢م

عزيزى الفريق كامبل :

لقد قرأت في الصحف انك كنت غريمى الشجاع في معركة الدبابات في سيدى رزق في الواحد والعشرين والثاني والعشرين من نوفمبر ١٩٤١م . ولقد كانت فرقتى بانزر الواحد والعشرين هى التى حاربت في تلك الايام الساخنة ومعها الفرقة المدرعة السابعة التى أكن لها اعجابا شديداً . ولقد جعلت الفرقة السابعة المدعمة بالمدفعية الملكية التابعة لك القتال شاقا علينا ايضا واني لاذكر العديد من شظايا الحديد المتناثرة المتطايرة بالقرب من المطار من حول اذاننا .

« ان الرفاق الالمان يهنئونك من كل قلوبهم لمنحك الصليب الفيكتورى

عدوك خلال الحرب مع فائق تقديرى

فون رافنستين »

وقتل « جوك » كامبل بعد ذلك بقليل عندما انقلبت سيارته بالقرب من بقبق . وانا لا اعتقد بأنه قد تسلم هذه الرسالة . فانه لو تسلمها فاني اعتقد أنه كان سيسر بها كثيراً .

وهناك وجهة نظر في موضوع فروسية هذه الحرب . حيث يدلى القائـد ايزنهاور بوجهة نظر أخرى . فقد كتب في « الحرب الصليبية في أوربا » يقول : « عندما جيء بفون ايرنيم بواسطة الجيبيرز في طريقه الى الاسر ، فان بعض أعضاء هيئة قيادته شعروا بأننى سوف أضع في أعتبارى العرف السائد في تلك الايام السالفة وأسمح له بزيارتي . وكان هذا العرف ينبع من حقيقة ان الجنود المرتزقة في الماضى كانوا لايكنون أى عداء - لمنافسيهم . فكان كلا الجانبين يحاربان من أجل حبهم للقتال ، دون أى اعتبار للواجب او الاحتمال الاقوى أنها كانت من أجل المال . فقد كان من المحتمل ان قائداً اسيراً من قواد القرن الثالث عشر يمكن أن يظل اسابيعا بل شهور ضيفا عزيزاً على آسره . اذا فالتقليد هو أن جميع الجنود المحترفين رفاق الحروب مازالوا يعيشون حتى اليوم حتى لوكانوا على صورة أخرى في ثياب مهلهلة .

« ان الحرب العالمية الثانية بالنسبة لى لم تكن أمراً شخصيا بالدرجة التى تجعلنى لا استطيع أن أفكر في مثل هذه المشاعر . وكلما تطور الامر بمرور الايام كنت ازداد قناعة بانه مثلما لم يحدث في أى حرب بين دولتين من قبل فان القوات التى تحارب من أجل خير البشر وحقوق الانسان كانت تواجهها هذه المرة مؤامرة شريرة كاملة لايحتمل ان يتم معها أية تسوية ولان الطريقة الوحيدة أن يكون العالم على نحو مرضى ومقبول هى التدمير الكامل لقوات المحور فان الحرب اصبحت صليبية بالنسبة لى ................ وفي هذه اللحظة بالذات امرت ضابط مخابراتي بالحصول على أية معلومات من القادة الاسرى الا أن جل اهتمامى كان منصبا على اولئك الذين لم يقعوا في الاسر بعد . ولم اكن اسمح مطلقا لاى منهم بطلب مقابلتى . ولقد اتبعت هذا الاسلوب حتى نهاية الحرب ولم اتحدث الى أى قائد الماني الا عندما وقع المشير جودل شروط الاستسلام في مدينة الراينز في عام ١٩٤٥م ، وحتى في ذاك الوقت لم تتعد كلماتي الا بأنه سيكون مسئولا مسئولية كاملة عن تنفيذ كل شروط الاستسلام شخصيا » .

ان القائد ايزنهاور رجل حكيم وكريم ولا يختلف معه أحد ، ومع ذلك فهناك من يشعر بوجوب الحفاظ على التقاليد القديمة أيضا بعد انتهاء الحرب اذا ما كان لنا أن نعيش سويا في هذا العالم .

## الفصــــل التاســـع

## النهـــاية في أفريقيـــا

وتركنا رومل في أواخر يونيو وهو على وشك أن يطرق ابواب الاسكندرية وقد كان حتى ذلك الحين في مواجهة شيئا غير معروف في الصحراء ، اعني أحد المواقع التى لم يستطع التغلب عليها . وكان جناح الجيش البريطاني قد استقر على البحر ، كما كان جناحه الايسر على بعد أربعين ميلا جنوب الرمال المتحركة «مستحيلة العبور» لمنخفض القطارة (وقد وجد راندل بلانكت وهو من فرق استطلاع الفرسان نفسه غير مرغوب فيه مع هيئة التخطيط بالقاهرة عندما نجح في الوصول بعربته المدرعة عبرها من سيره خلال الانسحاب وعلاوة على ذلك فان هذا الموقع قد احكم اتقانه لعملية الدفاع بشكل أكثر مما كان يتخيله الالمان .

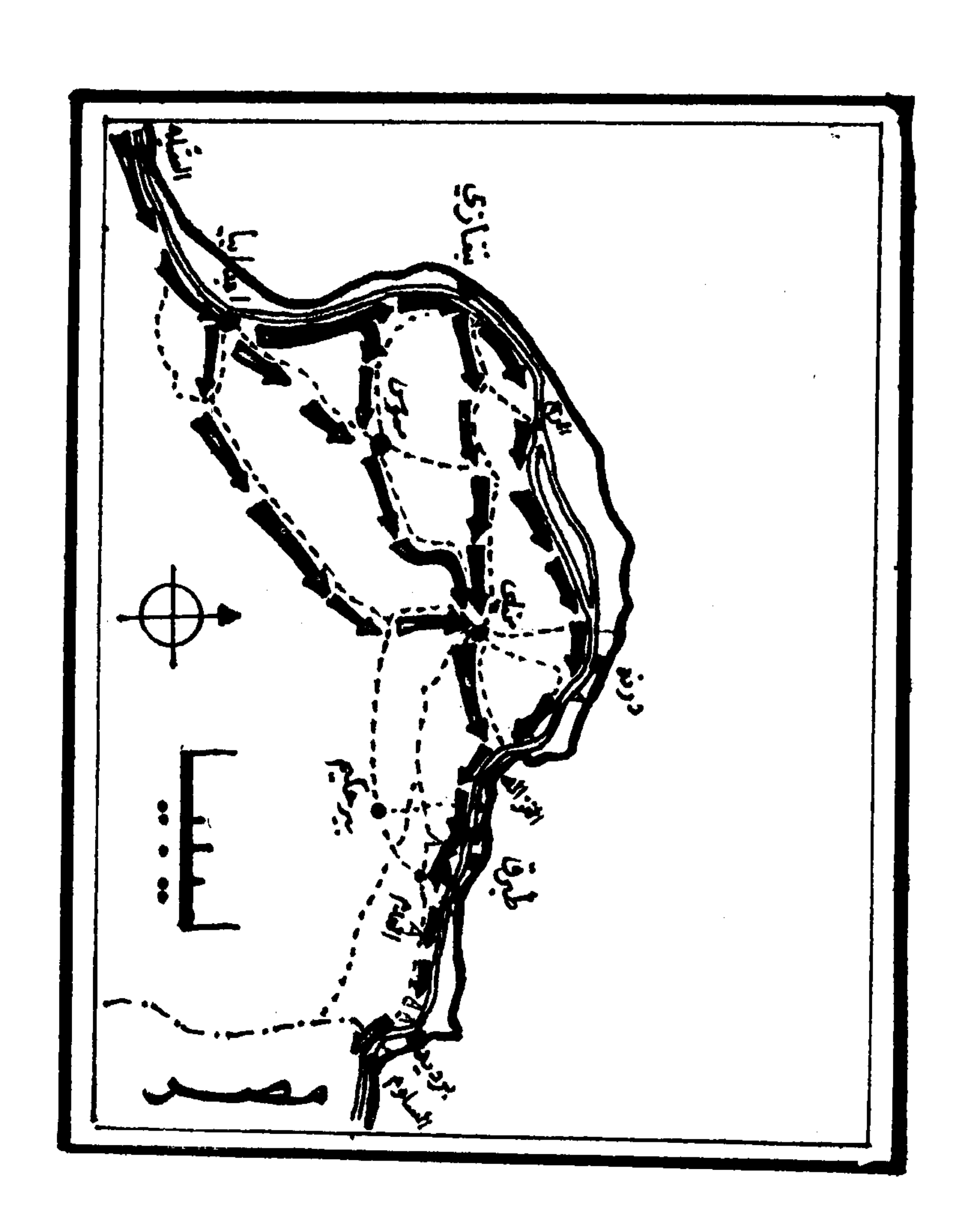
ومع ذلك فقد كان الجيش الثامن أبعد مايكون في موقف دفاعي بالكلية وكان الانطباع العام في انجلترا ، يبدو وكأنه حتى في ذلك اليوم ، وبعد التقهقر الكامل للجبهة ، مروعا عند العلمين بينما هيئته الجريحة الخائفة في القاهرة تقوم باحراق تلال الاوراق وتعد العدة الى انسحاب داخل فلسطين او الى الشرق أفريقيا . وعندئذ ، وهكذا تقول الاسطورة الشعبية ، وصل القائد مونتجمرى من السماء وبعد ان أنشا من العدم مرة أخرى ، بل في الحقيقة أنه انشأ من العدم ، ففى الحال قد حول الهزيمة الى نصر . وهذه الاسطورة تعتبر جائزة بالنسبة للجيش الثامن : كما أنها مناقضة للحقائق . ففى بداية يوليو كان هناك بالتأكيد« صفعة خفيفة » . وفي الحقيقة فقد احرقت بعض الاوراق على ماكان يسمى محليا برماد يوم الاربعاء وقد أجلي بعض المدنيين وبعض النساء . وقد ترك رجال الاسطول الاسكندرية حيث كانت أكثر عرضة للقصف بالقنابل . وكان من الحكمة ان تجرى الاستعدادات للدفاع عن الدلتا في حالة نجاح الالمان في اختراق الخطوط الدفاعية للعلمين كما كان هناك أيضا خطط معدة للقتال أثناء الانسحاب الى فلسطين والى العراق اذا مادعت الضرورة في حالة سقوط الدلتا ايضا كما اعدت الخطط بمعرفة هيئات التخطيط ضد أية احتمالات أخرى . فهذا هو سبب وجودهم في تلك الاماكن ودون شك . فقد كانت خطط لاستمرارية الحرب أيضا من كندا . اذا مادعت الضرورة الحكومة البريطانية الى مغادرة انجلترا .

ومع هذا فلم يكن يعتزم القائد اوكنلك في التخلى عن العلمين أكثر من تخلى تشرشل عن لندن . وعلى العكس فقد هاجم الجيش الثامن العدو وبصفة مستمرة

خلال يوليو في محاولة لاستعادة المبادرة منه وتدميره في موقعه كلما أمكن ذلك . وقد شن الهجوم الأول في الثاني من يوليو ، بعد أن فشلت هجمة رومل على العلمين نفسها في الأول من يوليو . واستمر القتال عن قرب لعدة أيام وقد نتج عن نقص الاحتياطي الى تجميد موقف الفيلق الثالث عشر . وقد احتلت الفرق الاسترالية التاسعة والعاشرة في يوليو الموقع الهام في تل العيسى غرب العلمين وتمركزت فيه ضد الهجمات المضادة المكثفة والمتكررة . وفي الرابع عشر من يوليو قامت الفرقة النيوزيلاندية ولواء المشاة الهندى الخامس بهجوم ليلى وتمكنوا من الحصول على مساحة من الاراضى على تل الرويسات الحيوى . وفي ليلة السادس عشر من يوليو احتل الاستراليون تبة علم نابل الى الجنوب . وقد كان رد فعل رومل قويا ، حيث أننا قد أستطعنا ان نعطى جيشه فرصة التقدم . ومع ذلك فقد صدت هجماته على تل الرويسات في الثامن عشر والتاسع عشر من يوليو .

وفي الواحد والعشرين من يوليو بينما كان الاستراليون يهاجمون من جهة الشمال كانت الفرقة النيوزيلاندية تساعدها المدرعات تقوم بهجوم في الوسط في محاولة منها لشطر موقع العدو . وفشلت المحاولة وهزمت الفرقة المدرعة بالرغم من الحصول على مزيد من مساحات من الأراضى ذات القيمة الكبيرة . وفي السادس والعشرين من يوليو شنت هجمة كبيرة أخرى على شمال تل العيصى . وقد فشلت هذه أيضا ، في مواجهة الهجمات المضادة الالمانية المكثفة ، وكان احد الاسباب هو فشل المشاة في تطهير الثغرات خلال حقول الغام العدو كى يتم تقدم الدبابات الا أن السبب الرئيسى في الفشل يرجع الى وجود نقص في القوات النشطة المدربة التى تستطيع الحفاظ على فعالية الهجوم .

وفي ٣٠ من يوليو لخص القائد اوكنلك على مضض ، بأنه لن يتسنى له القيام بأية عمليات تالية بما لديه من قوات في ذلك الوقت . وقد كان يتوقع ان يعاود الهجوم في منتصف سبتمبر . فعندها يكون قد عاد من انجلترا بعد تنظيمه للفرقة الرابعة والاربعين ، وبذلك يكون قد تم تدريبه على حرب الصحراء كما تكون الفرقة المدرعة الثامنة التى وصلت حديثا والتى زودت بالدبابات الامريكية المتوسطة كما تكون الفرقة المدرعة العاشرة قد اعيد تدريبها وتجهيزها . وبالرغم من ضغط مجلس الوزراء الشديد فان القائد الكسندر بعد أن استشار القائد مونتجمرى قد حدد في النهاية تاريخ الهجوم بموعد متأخر لاكثر من شهر * ففى هذا الوقت كان لدى القائد مونتجمرى فرقتين بريطانيتين أضافيتين ومجموعة من الدبابات الجديدة والمدافع التى لم يشهد الجيش الثامن مثلها من قبل . وبما أنه قد أتم كل هذا عندما


ليبيا
مصر
بنغازي
درنة
طبرق
بيرحكيم
اجدابيا
السلوم

بدأ فلم يكن هناك شك أن النتيجة كانت تبرر التأجيل . كما لم يكن هناك ادني شك بأن ثقته الكبيرة بنفسه وموهبته في تلمس الاحداث « كانت لهما تأثيراً فعالا على قواته . وحيث انه كان أحد القادة الجدد البارزين فقد اتخذ من لفت الانظار واثارة الاعجاب سبيلا للوصول الى قلوب قواته . وكان جديراً بالاعجاب فعلا . ومع ذلك فليس هناك مايبرر المبالغة في عظمة انتصاره أو في قدراته الشخصية بالقول بان الجيش الثامن قد زال من الوجود كقوة قتالية عندما تولى هو قيادته . ففي الواقع ان الجيش قد أسر اكثر من ( ٧٠٠٠ ) سبعة آلاف أسير خلال شهر يوليو كما كان قد أوقف تقدم روميل الى الدلتا ، كما مهد الطريق لهجوم كبير لم يتمكن من أتمامه بسبب ضعف قوته الشديد .

وهناك على الجانب الالماني ملاحظة مأسوية ساخرة لكل هذا ، فقد قال القائد بايرلين « لقد انزعجنا وتأثرنا كثيراً للطريقة التى كنتم تهاجموننا بها طيلة شهر يوليو ، فقد كنتم على وشك النجاح في اختراق موقعنا عدة مرات فيما بين العاشر والسادس والعشرين . وقد كان يمكنكم تحقيق هذا النجاح لو استطعتم الاستمرار في الهجوم لمدة يومين فقط . لقد كان السادس والعشرين من يوليو يوما حاسما فعندها لم يكن لدينا أية ذخيرة لمدفعيتنا الثقيلة وكان روميل قد قرر الانسحاب الى الحدود اذا ما استؤنف الهجوم .

واذا ماجنبنا الشهرة الشخصية ، فان عدم استئناف الهجوم كان امراً طيبا بالنسبة لنا وسيئا للغاية بالنسبة لروميل ، فبما أن عاد الى موقعه اصبحت سبل مواصلاته قصيرة ، وبذلك اصبح في مركز دفاعى قوى فقد كان في حاجة شديدة لان يخرج من الهزيمة الشاملة التى أصابته على كل الاحتمالات حيث أنه لم يكن هناك سببا سياسيا أو نفسيا كى ينسحب لمسافة بعيدة عن الحدود القتالية ، كما لم يكن هناك داع للانسحاب من العلمين على الاطلاق .. وعلى أى حال فقد تأجل حتفه حيث أن اعداد تعزيزاتنا التى على بعد حوالى ثلاثة مائة ميل غربا كانت ستستغرق وقتا طويلا . وفي الحقيقة انه لم يكن لها أن تتم قبل وصول البريطانيين والامريكيين الى شمال أفريقيا في الثامن من نوفمبر . فعندها أمكن لروميل أن يرى الضوء الاحمر وينسحب الى تونس في الوقت المناسب .

فلماذا لم ينسحب بمجرد ان ادرك أنه لن يتمكن من اختراق خطوطنا مباشرة الى القاهرة ؟ . ان الاجابة على هذا والتى جاءت على السنة العديد من النقاد على كلا الجانبين ، جانبنا والجانب الالماني هى أنه كان يجهل فن نقل الجنود

وايوائهم وتموينهم ويؤكد ميلتون شالمان في كتابه هزيمة في الغرب . لقد كان في ضعفه الواضح في ميدان الادارة مايحرمه من التسليم التام بأنه من القواد العظام . كما يبدى ليدل هارت بملاحظة أكثر اعتدالا عندما قال ان «عيبه الواضح» هو تجاهله واهماله للجانب الادارى لاستراتيجيته . وقد نشأت كل هذه الآراء النقدية مباشرة عن رد رومل على سؤال هولدر بشأن مسائله التموينيه عندها قال : «هذه مشكلتك» ، أكثر من أن تكون قد نشأت عن أى دليل ايجابي لفشله في استيعاب أهمية فن نقل الجنود وايوائهم وتموينهم . فان مشكلة التموين كانت في الحقيقة مشكلة الالمان . وفي المقام الأول كانت مشكل القيادة العليا الايطالية . فلم يكن بامكان رومل الا أن يطلب مايحتاج ويحاول الاصرار على الحصول عليه باعتباره معزولا بمقر قيادته في الصحراء . فليس باستطاعته أن يكره الايطاليين على تقديم البترول الذى قيل بأنه يتواجد بوفرة في جنوب ايطاليا ، لكنه في الحقيقة لم يكن يستخدم حتى في تموين سفن أسطولهم . فلم يكن باستطاعته أن يأمر الفرق الالمانية بالخروج من فرنسا ــ بالرغم من عدم وجود عمل مجدى لهم هناك ، وطالما أنه قد بدأ واضحا عدم امكانية محاولة شن أى هجوم في سنة ١٩٤٢م . وكان كل مايستطيع القيام به هو الجدال والطلب والاحتجاج ، وكان يقوم بذلك بلا توقف مما أغضب الايطاليين وقيادة جيشه . ولم يكن في موقف محظوظ للقائد ايزنهاور عندما رغب في تمركز أحد الفيالق شرق تيبسا خلال عمليات في شمال أفريقيا في العام التالى حيث قال : «ان الهيئة المشرفة على تموين الجنود ونقلهم وايوائهم قد عارضت هدفي .......... فقالوا بان وسائل مواصلاتنا الرديئة لايمكن لها الابقاء سوى على فرقة مدرعة وكتيبة أخرى اضافية ........... وبالرغم من ذلك فلم آمر بتمركز الفيلق المكون من أربع فرق لكى ابدأ فأناقش المسئولية عن نقل الجنود وايوائهم وتموينهم بأنه يجب عليهم أن يجدوا سبيلا لذلك» . فقد كانت تلك مشكلتهم هم ، ومع ذلك فلم يستطع أحدهم أن يجادل أو يصف القائد ايزنهاور بأنه كان يجهل قواعد نقل الجنود وايوائهم وتموينهم .

وهناك فقرة أخرى من كتاب الحرب الصليبية في اوربا وهى فقرة جديرة بالاقتباس في هذا المجال لانها تبين مايمكن تنفيذه عندما تتوفر البديهة الحاضرة والرغبة القوية للوصول الى الغاية «لقد أحضرت ٥٤٠٠ شاحنة كشحنة اضافية الى مسرح الاحداث كنتيجة للاعمال الرائعة في واشنطن . وقد تحسن موقف النقليات على أكمل وجه بسبب هذه الشحنة وكذلك كان موقف تمويناتنا مما كان له أكبر الاثر في كل العمليات التالية . وقد تم أنجاز هذه الشحنة في ظرف يمكن أن تقف في

وجه اولئك الناس الذين يتصورون الحرب وقطع الاسطول ككتلة من النيران الحمراء . وقد تطلبت هذه الشحنة ارسال مجموعة خاصة في وقت كان فيه تجار السفن والبوارج المرافقة للحراسة تطلب المكافآت لتكون حافزاً على ذلك . وقد تصادف أن زارني القائد سارفيل بمقر قيادتي وشرحت له حاجتنا الماسة لهذه الشحنة . فقال انه سيقوم بتحميلها من المواني الامريكية في غضون ثلاثة أيام شريطة أن تؤثث البوارج الحربية المرافقة للحرس . فأرسلت متسائلا الى قائد البحرية . الذى كان في كازابلانكا ، وفي خلال ساعات تلقيت رده البسيط « بنعم » . وبدأت الشاحنات في الوصول الى أفريقيا بعد ثلاثة أسابيع من طلبي .

وكان روميل يستقبل القائد هولدر في قاعدته في سبتمبر ١٩٤٢ — ( الذى كان لايستطيع أن يخفى ابتسامة غير مهذبة عندما طلبت منه المساعدة . وسواء كان طلب روميل غير منطقى اوانه قد قيل له ذلك ، وسواء كان هذا منطقى أم لا فلن يكونوا ليستطيعوا تقديمها بسبب التزاماتهم الاخرى ، ولاداعى لاصراره . وفي الحقيقة أنه كان بامكانه أن ينال بسهولة تلك الامدادات القليلة التى يحتاج اليها في أوائل سنة ١٩٤٢م لاحتلال القاهرة . وكان يمكن للقوات والامدادات أن تصل اليه سالمة في ذاك الوقت . وفي أواخر صيف ١٩٤٢م عندما استعاد البريطانيون السيطرة على المنطقة الوسطى للبحر الابيض واصبحت مجموعات السفن لاتمر من مالطا دونما عقاب ، عندها كان كيسلرنج وكفاليرو يماطلون في وعودهم بأن قواته سوف تعزز وأن مشاكل تموينه سوف تحل . وفي ٢٧ أغسطس قبل معركة علم الحلفا بقليل ، عقد اجتماع ضمن فيه الاثنان تقديم ٦٠٠٠ طن من البترول منها الفا يتم نقلها عن طريق الجو الى روميل وعندها يقول روميل « هذا هو شرطى : فالمعركة كلها تعتمد على هذا ، فأجابه كافاليرو ، يمكنك الاستمرار في المعركة أنها في الطريق » ولم يكن ينبغى تقديم مثل هذه الوعود على الاقل بمعرفة كيسلرنج الذى كان يعلم تأثير وصول قاذفات اللهب الى مالطا أكثر من أى شخص آخـــر .

وكانت هيئة القيادة المساعدة لروميل تشك في وعود كيسلرنج وفي كثرة تقاريره الدائمة ضد روميل والفيلق الافريقى التى كانت تقدم الى جورج في الوقت الذى كان يؤكد لقيادة الجيش ان كل شيء كان يسير على نحو طيب في شمال أفريقيا . فقد قيل لى ان هذا ليس منصفا لكسلرنج ، الذى كان لايستطيع أن ينجز أعماله الا عن طريق الايطاليين ومع ذلك ، يتحدث شيانو عن كيسلرنج

في ٩ سبتمبر ١٩٤٢م ويقول لقد كان « ينسرع الى برلين ليشكو رومل » بينما كان كافاليرو قبل أسبوع واحد فقط » يكرر أقواله واحاديثه المتفائلة بأن المسيرة الى الدلتا سوف تتم في خلال أسبوع « . وربما يلخص تعليق شيانو نفسه الامر على نحو أفضل عندما يقول : « ان النصر دائماً مايكون له مائة من الاباء بينما الهزيمة يتيمة » . وتبقى الحقيقة بأن كيسلرنج كقائد عام ابتداء من أبريل ١٩٤٢م كان الرئيس الاعلى المباشر لرومل وكان يمكنه أن يأمر رومل بالا يتقدم الى العلمين والا يهاجم او أن ينسحب .

وفي نهاية يوليو كان القائد أوكنلك قد أصاب عندما أشار بأنه يجب على رومل شن الهجوم قبل نهاية أغسطس . وأضاف أنه حسب تقديره فانه لن يكون في حالة تمكنه من محاولة غزو الدلتا الا على سبيل المقامرة وتحت غطاء جوى قوى وطالما ان تفوقه سيكون قاصراً على المدرعات التى بدأت في الواحد والثلاثين من اغسطس في ظروف متعددة المساوىء . بالاضافة الى أنه كان يحارب عدواً يتمركز في مواقع دفاعية حصينة . ومع أنه كان يتفوق قليلا من الناحية العددية فان ستة من فرقه كانت من الايطاليين ، وكان لابد من تدعيم هذه الفرق بتعزيزاته الالمانية الوحيدة وهى فرقة المشاة ١٦٤ ، لواء المظلات « رامك » المكون من أربع ألوية . أما بالنسبة للمدرعات والمدفعية فلم يكن له اى تفوق على الاطلاق . وكانت القوات الجوية الملكية تسيطر على السماء تماما وكانت طبيعة موقع العلمين من ذلك النوع الذى يستحيل القيام فيه بأية مفاجأة او الاستفادة بالذكاء فيه عن طريق المناورة . وأخيراً فانه كان مريضا جدا بالتهاب أنفى وتضخم في الكبد وربما كان ذلك نتيجة لاهماله مرض اليرقان لدرجة انه لم يكن يستطيع أن يخرج من عربته . وبالنسبة لانسان يعتمد بالدرجة الاولى على ملاحظاته الشخصية وحكمه الخاص على الامور خلال سير المعارك أكثر من اعتماده على الخطط الموضوعة ، فربما كان ذلك أكبر العوائق جميعا .

وقد حاول رومل ان يصل الى حل حاسم وذلك بأن شن هجوماً خادعاً ناحية الشمال ، وهجوما قويا من ناحية الوسط على أن تتمركز قواته الاساسية في الجنوب وكان ينوى أن يتسلل عبر منخفض القطارة ثم يضرب شمالا الى البحر . وكان يأمل بهذه الطريقة أن يلتف حول كل الموقع ، مثلما استطاع الالتفاف حول خط الغزالة منذ ثلاثة شهور قبل ذلك ولو كان قد تم له النجاح لأسر الجيش الثامن وانقطعت خطوط مواصلاته .

ولسؤ حظ رومل فقد استطاع كل من القائد الكسندر والقائد منتجمرى أن يستنتجوا كل ما كان سيقوم به . فقد رأى القائد منتجمرى حال وصوله الى الصحراء بأن الرد هو أن يمنع الجناح الايسر من محاصرة تل علم الحلفا الذى لايجرؤ رومل عبوره ويقود مدرعاته الى مواقعها الدفاعية . ولهذا فقد استدعى جميع أفراد الفرقة ٤٤ وتمركزت على هذا التل وبدأت تحفر المواقع للمدفعية والدبابات لتدعيمها . كما سمح مراوغا « بوقوع » احدى الخرائط بين يدى الاعداء وكانت توضح الطريق الى جنوب علم الحلفا حيث كان بالطريق رمال يتعذر السير عليها .

ولكى نعطى رومل حقه فان حاسته السادسة لعبت دورها في الحال حتى وهو يرقد عاجزاً في سيارته . ويقول بايرلين « لقد كان يود أن يوقف المعركة في أول صباح ، بمجرد أن تبين لنا أننا لم نحقق المفاجأة . وقد كنت أنا الذى أقنعته بان يسمح لى بالاستمرار . (وكان بايرلين عندها يقوم بقيادة الفيلق الافريقى بصفة مؤقته حيث أن القائد نيهرنج جرح في ليلة الواحد والثلاثين من أغسطس في أحدى الهجمات الجوية ، واضاف القائد بايرلين وكانت قوة تحصينات تل علم الحلفا تعتبر مفاجأة كاملة لى ، وقد أكدت بأنه يمكننى احتلاله واستمرت هجماتي له لفترة أطول ممايجب .)

وعندما بينت له الممر في سيرة آلن مورهيد الذى يصف فيه كيف أن القائد مونتجمرى قد وضع اصبعه على علم الحلفا بمجرد ان نظر الى الخريطة تقريباً هز بايرلين رأسه باكتئاب وهمس مثلما يحترم احد المحترفين وجهة نظر الخصم « انه فعلا ممتاز ممتاز ، لقد كانت تلك هى القيادة الجيدة حقيقة . (٢)

وقد أعاد بايرلين بقية الفصل للقوات الجوية الملكية فقد قال « لقد كنا نهاجم بشدة طيلة ساعات النهار والليل وتكبدنا خسائر فادحة تفوق ماتسببه أية عوامل أخرى . وقد كان تفوقكم الجوى شيئا له أهمية كبيرة ، وربما كان له فضل الحسم في المعركة » . كما ألمح مرة أو مرتين وهو في ضيق شديد الى كسرلنج الذى شملت وعوده السيطرة على الاجواء بواسطة طائرات « اللوفت وافي» .

فقد خسر المقامرة ، وبدأ رومل في الانسحاب في الثالث من سبتمبر . ولم يحاول اللواء مونتجمرى لفطنه أن يتبعه فقد كان يمكنه الانتظار .

(٢) يبدو ان هذه القصة مبالغ فيها . فان موقع علم الحلفاية قد تم تلغيمه واعد الى حد ما للدفاع قبل وصول القائد مونتجمرى . وكان كل ما جرى أنه يستكمل خطة موضوعة .

وبعد ثلاثة أسابيع ، لاول مرة في حياته ، فيما عدا الايام التى جرح فيها اضطر روميل الى أن يبلغ عن مرضه ويطير الى المانيا للعلاج . وقد كان له لقاء مع هتلر في مقر قيادته قبل دخوله الى المستشفى في زمرنج . وفي هذا اللقاء أخبر الفوهرر بأن قوات البانزر بأفريقيا تقف على مشارف الاسكندرية الا أنه من المستحيل أن تفتح هذه البوابات الا اذا وصلت مزيد من التعزيزات والامدادات للموقع . والاهم من ذلك كله ، أنهم لايستطيعون ان يقدموا أى شيء بلا وقود . (ويكتب شيانو في مذكراته في الثاني من سبتمبر بأنه «قد غرقت ثلاثة ناقلات بترولية في يومين» كما قال في اليوم الثالث من سبتمبر بأن «غرق البوارج مازال مستمراً ، فقد حدث ان غرقت اثنتان هذه الليلة» وذكر أيضا في الرابع من سبتمبر بأنه «قد غرقت هذه الليلة بارجتين أخيرتين .»

وقد تلقى روميل تأكيداً جديداً ، وهذه المرة كان التأكيد من السلطات العليا. حيث قال هتلر «لاداعى للقلق فأني أنوى أن أزود أفريقيا بكل ماتحتاجه من عون ولاتخشى شيئا ، فاننا بالتأكيد سنحتل الاسكندرية .» ثم أضاف متطوعا بأن قال رواية تقول أن هناك سفن قليلة العمق ، مثل سفن الانزال «وهى مركب لانزال الجند او العتاد الى الشاطىء» ، تنتج الآن بالجملة خصيصا من أجل أفريقيا وان حوالى مائتين منها ستكون متوفرة في الحال تقريبا وستكون مجهزة بأسلحة منها مدفعين من عيار ٨٨م.م ، وأنها ستكون أهدافا من الصعب مواجهتها بالنسبة لناقلات البترول . وسوف تتمكن هذه السفن من التسلل ليلا وبذا تحل مشكلة الوقود . ولاتوجد أى اشارة الى وجود مثل هذا النوع من القطع البحرية في محاضر جلسات اجتماعات الفوهرر الخاصة بالشئون البحرية لعام ١٩٤٢م ولكن ربما أشار هتلر الى بعض القطع الحربية الخفيفة التى سميت باسم مخترعها «سيبل فاهرن» . ولم تكن تلك السفن تتلائم مع العمل في المعدات البحرية ، فمثلا كانت تقبع في المرفأ من أجل الاصلاحات كما لم يكن هناك مايشير الى أنها تنتج بكميات وفيرة . لقد كان كل مافي الامر أن هتلر كالعادة كان قد أطلق لخياله العنان .

ولم يكن هذا كل مافي الامر . فما أن انتهى اللقاء الا وقد أخذ بيد روميل ليشاهد نموذج للدبابة تايجر ومدفع الهاون الرهيب المتعدد الطلقات الذى واجهناه أخيراً في ايطاليا . وكانت تلك المعدات أيضا تنتج بكميات هائلة وان أفريقيا لها اولوية الاستلام . وقال هتلر ، ان كميات مدفع الهاون في الحقيقة سترسل في الحال عن طريق الجو ، وستشارك كل وسائل النقل الجوى المتوفرة في هذا

الغرض . وفي الوقت نفسه فان هناك سلاح سرى جديد له قوة مذهلة تصل الى أن الطلقة منه يمكن أن « تردى برجل من فوق حصانه على بعد ميلين .

وقد ضحك روميل لهذه المبالغة الاخيرة . ومع ذلك فلم يكن هتلر يتحدث من فراغ . ففي التجارب الاولية للقنبلة الذرية في نيومكسيكو أزيح أحد المباني التي على بعد أربعة أميال من موقع الاطلاق لمسافة قدمين عن موقعه الحقيقي .

أما بالنسبة لبقية ماقاله هتلر فان روميل قد أخذ وعود الفوهرر مأخـــذ الجد خصوصا بعد مشاهدة الدبابة تايجر ومدفع الهاون الذى أدلى به روميل للصحفيين الاجانب في برلين في الثالث من أكتوبر فقد تنبأ فيه بان الالمان سوف يصلوا الى الاسكندرية قريبا . (وقد كون اللواء فون توما الذى قابله لعدة أيام قبل سفره الى شمال أفريقيا انطباعا بأنه ليس مقتنع في الواقع الا أنه قد تحدث بهذه الثقة لكى يشجع قواته وخاصة الايطاليين . ومع ذلك فقد كان هذا قبل لقائه بهتلر . ) ولم تبدأ الشكوك تساور روميل الا بعد حوالى أسبوعين من ذلك . فقد أفضى بهذه الشكوك وهو مستغرق في تفكيره لزوجته قائلا : « اني اتساءل هل أخبرني بذلك لكى يهدىء من روعى وكانت تلك هى المرة الأولى التى بدأ فيها متشككا من الفوهرر .

وقد تقرر في الوقت نفسه وفي نفس هذا اللقاء بالا يعود روميل الى شمال ـ أفريقيا . وعندما خرج من المستشفى اسندت اليه قوات الجيش في جنوب اوكرانيا وكان على اللواء ستوم ان يحل محله في قيادة قوات البانزر في أفريقيا . ويعلل هتلر ذلك بأنه كان قلقا بشأن صحته ، و أن تغيير الجو سوف يفيده كثيراً . ويبدو أنه لم يكن يود الكشف عن أغواره .

وفي ذاك الوقت ، حيث كان روميل في المستشفى في زمرنج اتصل به هتلر هاتفيا عند ظهر يوم ٢٤ اكتوبر وقال له « اصغى يا روميل لدى أخبار سيئة من أفريقيا يبدو أن الموقف بالغ السوء . ويبدو أن مصير القائد ستوم غير معروف ولا أحد يدرى ماذا حدث له على مايبدو . وهل تشعر بتحسن بشكل يسمح لك بالعودة ، وهل لديك استعداد لذلك ؟ » وكان قد مضى على علاج روميل ثلاثة أسابيع فقط وكانت حالته الصحية سيئة ولاتسمح له بالعودة الى الصحراء والاشتراك في معركة يائسة ومع هذا فلم يخطر بباله أن يرفض العودة : فقد كان قلبه معلقاً بالفيلق الافريقى وفي صباح اليوم التالى غادر المستشفى ورحل في الساعة السابعة عن طريق الجو ليتوقف في أيطاليا لمقابلة رينتلن من أجل الامدادات البترولية ،

ثم هبط في جزيرة كريت ليصل الى مقر قيادة شمال أفريقيا في الساعة الثامنة مساءاً .

وعندما وصل كان الالمان قد خسروا المعركة . فيقول القائد كرامر « لقد خسرنا معركة الفيلق قبل قتالها ، ولم يكن لدينا وقود » . وقال القائد بايرلين الذى كان غائبا في مهمة ثم عاد بعد يومين « لم يكن باستطاعة روميل أن يفعل أى شيء فقد تسلم زمام معركة كان كل احتياطياتها قد نفذت . لم يكن بالامكان تغيير مجرى الاحداث بأى قرار مهما عظم أمره » .

ويبدو رغم أنه من غير المعقول ان المخابرات الالمانية كان لديها اعتقاد راسخ بأن البريطانيين لن يتمكنوا من الهجوم خلال شهر أكتوبر . فقد أرسل احد الضباط من مقر قيادة الجيش خصيصا ليدلى بذلك في بداية الشهر . ولا عجب فان القائد سيء الحظ ستوم قد مات بسبب هبوط في القلب بعد أربعة وعشرين ساعة فقط من فتح نيران قذائف القائد مونتجمرى . (ويبدو أنه قد سقط او قفز من سيارته اثناء احدى الغارات الجوية البريطانية دون أن يلحظه سائقه . وعادت السيارة بدونه وعثر عليه ميتا بعد ذلك) .

وكى نعطى ستوم حقه يجب أن يقال بأنه قد تبنى خطة روميل الدفاعية وسار على منوالها . ويؤكد لى بايرلين ان الاخير كان قد أعد كل تفصيلات العمليات قبل أن يترك أفريقيا . ويرجع اعداده الغريب والغير مألوف في تقسيم مدرعاته بالفرقة بانزر الخامسة عشر الى جهة أقصى الشمال ، والفرقة بانزر الواحدة والعشرين في الجنوب ليكون كل منهما خلف خط النيران بقليل كما كان كلاهما مقسما الى مجموعات قتالية ، الى عدم ثقته بالفرق الايطالية ، التى كانت تحتل أكثر جزء من خط النيران .

وكان لعدم ثقته بهم مايبرره . فبعد أن روعتهم نيران أكثر من الف مدفع كما توالت الهجمات عليهم من الجو لم يتبقى لدى الايطاليين أى استعداد للقتال عندما بدأ الهجوم . فلولا مشاه الالمان وفرق مظلاتهم التى كانت تنتشر بينهم لكانوا قد نالوا الهزيمة على نحو أسرع مما حدث .

وكانت قوات القائد مونتجمرى هذه المرة تتفوق عدداً وعدة خاصة في الدبابات والمدافع والذخيرة وكانت معركة العلمين معركة تقليدية سارت على نحو الطراز القديم للقتال . ومع ذلك فقد كانت بعيدة كل البعد عن « تجارة الحديد أو تجارة

المعدن » فقد سبقها خطة تغطية رائعة ومتقنة . فلكى يتم التخطيط لاحـــدى الهجمات في الجنوب بينما يتم أخفاء الاستعدادات للهجمة الحقيقية في الشمال ، وفي نفس الوقت تبدو الاستعدادات في الجنوب وكأنها لم تكتمل بعد ، فهذا يعنى ان كل الاحتمالات والترتيبات المحددة والمتقنة في الحساب ووضعت مئات من عجلات الهياكل فوق الدبابات في مناطق التجمع ، كما وقفت هياكل عربات لورى في مواقع المدفعية لكى يمكن نقل المدافع ليلا. واخفائها تحتها ، كما حلت هياكل الدبابات وهياكل المدافع محل القطع الحقيقية في منطقة العمليات كلما تقدمو اماما ، ومخازن ذخيرة كاذبة بدأ العمل بها في المنطقة الجنوبية . كما كانت تبنى على نحو بطىء جداً حيث لايمكن ان تم الا في نوفمبر ، كما افتتحت شبكة خطوط لاسلكية زائفة لتقوم بارسال رسائل غير صحيحة ، كما أقيمت هياكل لخطوط أنابيب مع محطات وخزانات بترولية وهمية بنيت في الاتجاه الخاطىء ولم يستكمل بناؤها عمداً ، وكانت كل تحركات العربات توجه لحراسة الممرات الخطرة في الرمال . وعن طريق حقيقة ان القوات الجوية الملكية قد أتاحت لطائرات اللوفت وافي بفرصة قليلة في الاستطلاع الجوى وعن طريق المعلومات الخاطئة تماما التى جاءت بها المخابرات الالمانية ، احكم صنع الخديعة لدرجة ان تاريخ الهجوم واتجاه الضربة الاساسية والمركزة — واماكن مواقع المدرعات كانت كلها غير معروفة للالمان ، كما شمل ذلك أيضا الاخفاء المادى لفرقتين اضافيتين ، ومائتين واربعين مدفعا ، ومائة وخمسون دبابة اضافية بالاضافة الى مالم يذكر عن بنود أخرى مثل سبعة آلاف وخمسمائة طن من البترول في منطقة الفيلق الثالث عشر الى الشمال .

ويكتب المشير الكسندر فيقول « ان العدو لم يقم في النهاية بتركيز كل قواته في مواجهة هجمتنا الحقيقية الا في السادس والعشرون من أكتوبر . ولقد كان ( السادس والعشرون ) هو اليوم الذى تسلم فيه رومل القيادة ، كما أنه لاشيء مثير أن نتأمل ما اذا كان رومل قد خدع تماما في تواجده في شمال أفريقيا طيلة شهر أكتوبر . ويبدو أنه من غير المحتمل ان يكون قد اعتمد على تقارير المخابرات الالمانية حيث كانت ثقته بهم منعدمة .

وقد أعترف الى بايرلين فقط بانهم قد خسروا المعركة . ومع ذلك فلم يمنعه هذا من القيام بمحاولة يائسة لاستردادها . ففى الشمال كانت الفرقة بانزر الخامسة عشر قد أهملت بتركها في مواجهة الحشود القوية الخاصة بفيلق المدرعات العشر . وقام رومل بالتخطيط لهجمة مضادة في مدى عدة ساعات من وصوله . وضد

أقوى النقاط ، وهى القوات البريطانية المتقدمة في الشمال . وذلك بتجميع القوات الباقية ، واستدعاء الفرقة بانزر الواحدة والعشرون بان جعلها تقوم بمسيرة اضطرارية نحو الجنوب ، واعطاء الامر للفرقة الخفيفة التسعين بالتقدم فبالرغم من أنه كان قبل ذلك بيومين يرقد في أحد أسرة المستشفى في زمرنج أصبح بعد ظهر هذا اليوم والشمس من ورائه يقود هجمة كبيرة من الدبابات للفرقتين القويتين اللتين كانتا تتبعانه بصفة دائمة . وكان يعلم طبيعة هذه الارض جيداً وكان لديه الوقت لتأمل الطيران المتجه جنوبا ، ومع ذلك فقد كان تقديراً سريعا وجهداً رائعـــاً .

الا أن الهجمة قد توقفت بفعل نيران المدفعية والقاذفات الجوية قبل أن تتخذ مواقعها ثم تجددت الهجمة في اليوم التالى الا أنها فشلت بسبب كتيبة الرماة الثانية والاستراليين . وقد تكبد رومل خسائر في الدبابات لم يكن يأمل في تعويضها . واصبح القتال وحشيا وضاريا عندما أندفعت الفرقة الاسترالية التاسعة شمالا مرة أخرى واستطاعت أن تنجح في ضرب صفوة القوات الالمانية .

ثم غير القائد مونتجمرى اتجاه هجماته . ففى الساعات الأولى من اليوم الثاني من نوفمبر بدأ يضرب على مسافة ابعد من جهة الجنوب ، عند الخط الفاصل بين القوات الالمانية والايطالية . واخترق المشاة جبهة طولها أربعة آلاف ياردة وفتحوا الطريق للمدرعات . ولم يكن ذلك عبوراً سهلا . فقد فقدت الكتيبة المدرعة التاسعة سبعة وثمانين دبابة بسبب مدفعية رومل المضادة للدبابات . وعندما كانت الفرقة المدرعة الأولى تعبر هذه الثغرة تقابلت مع الفرقة بانزر الواحدة والعشرين « وقد كان العدو يقاتل وهو يؤمن ايمانا راسخا بأن كل شيء معرض للضياع كما كان يستخدم كل مهارة تجاربه الطويلة في القتال بالمدرعات » وكان في احدى اللحظات على وشك ان يخترق مقدمة قواتنا . ومع ذلك كانت هذه العمليات الحماسية » هى بداية النهاية – ففى تلك الليلة قرر رومل أن ينسحب فمازال يمكنه الخروج بمعظم الالمان بوسائل مواصلاته المتاحة . وقد كان في استطاعة الايطاليين أن يعودوا سائرين . الا أن معظمهم كان يفضل الاستسلام على المعاناة من تتبع القوات الجوية الملكية لهم على طريق العودة الطويل للوطن . وفي الثالث من نوفمبر عندما بدأ الانسحاب جاءت الاوامر من قيادة الجيش الالماني لتقول « ان الموقف يتطلب التمسك بموقع العلمين حتى آخر رجل . والا يتقهقر أحد الى الوراء حتى ولو لميللى متر واحد ! اما النصر أو الموت ! » وقد كان الامر موقعاً « ادولف هتلر » .

وأصبح روميل بين أحد امرين . فقد كان يعلم ان الامر مثير للسخرية وان اطاعته ستؤدى الى كارثة كبيرة محققة . ومع ذلك فقد كان الامر واضحا بدرجة لاتسمح له بتجاهله ، فأمر بتمريره على القوات رغم معارضة بايرلين وطلب القائد فون توما وهو قائد الفيلق الافريقى السماح بأن يتراجع الى فوكه والضبعة ولكن روميل لم يعطه الاذن بذلك . ومع هذا فقد انسحب فون توما بقواته اثناء الليل . وقد قال « لا احتمل هذا الامر من هتلر » وقد تغاضى روميل عن هذا .

وفي اليوم التالى خرج فون توما ليتأكد بنفسه من أحد التقارير التي رفض روميل ان يصدقها ومضمونها ان القوات البريطانية قد اخترقت الخطوط الجنوبية وأصبحوا بذلك غرب القوات الالمانية . وعند الظهر خرج بايرلين في سيارة القيادة بحثا عن فون توما حيث لم تصل عنة اية اخبار . وما أن وصل الى موقع تل المنصرالعيصى أرغمه القصف الشديد من النيران الى ترك سيارته ويصعد الى التل على قدميه وعندما أصبح على مسافة مائتين ياردة منه رأى القائد واقفا بجانب دبابته المحترقة فقد احاطت به الدبابات البريطانية (وفي الواقع أنها كانت فرق الفرسان العاشرة) وقد دمرت جميع الدبابات والمدافع المضادة للدبابات الالمانية في الموقع وانتظر بايرلين حتى شاهد الناقلات البريطانية وهى تنتقل الى فون توما وتحمله معها وعندها انسحب بايرلين دون ان يلحظه احد . وعندما عاد الى مقر قيادته في جنوب الضبعة سمع مع روميل قادة فرق الفرسان العاشر يتحدثون عن اسر أحد القادة الالمان . وفي تلك الليلة تناول القائد فون توما طعام العشاء مع القائد مونتجمرى في مطعمه ، كما دعا قائد الجيش الثامن ان يعيش معه في المانيا بعد الحرب ، وكانت تلك المجاملات المتبادلة قد أنتقدت بشدة في انجلترا فلم يكونوا يعتبرون أنهم خارج بلادهم وهم في أفريقيا .

وفي اليوم التالى كان بايرلين قد حقق طموحاته في قيادة الفيلق الافريقى في الوقت الذى تلاشى فيه الفيلق بالفعل عن الوجود . فسأل روميل « ماذا يمكننى القيام به في مواجهة أمر هتلر هذا ؟ » واجابه روميل على نحو دبلوماسى غير عادى « انى لايمكننى ان افرض عليك عصيان هذا الامر» الا أنه لم يكن هناك شك في عصيانه اذا ما أراد أى انسان النجاة .

وفي تلك اللحظة كان روميل قد أصبح رجلا محطما بعد أن واتته صدمة الهزيمة وهو في أخطر درجات المرض . ومع ذلك فبالرغم من أن رجال قيادته قد وجدوا ان التعامل معه اصبح صعبا بشكل لم يعتاد عليه ، فقد استطاع أن يقود

الانسحاب بمهارة كبيرة . وفي هذه المرة لم يكن لديه أى أمل في أن يعود فنقضى على مطارديه . ولم يكن قد تبقى لديه من قواته الا مايزيد قليلا على فرقة تتألف من : ثمانين دبابة المانية تقف في مواجهة مايقرب من ستمائة دبابة بريطانية . ولم يكن أمامه الا أن ينقذ مايمكن انقاذه من الحطام . وقد كان محظوظا رغم أنه لم ينقذ أى شيء كان . فلو لم تسقط الامطار بغزارة في ليلة السادس من نوفمبر حيث احالت الصحراء الى مستنقع فمنعت تحرك القوات التى ارسلت لعزله لطوقته هذه القوات في مطروح . ولو لم تستخدم القوات الجوية الملكية « طريقة القصف الارضى الذى اكتسبته فيما بعد لما استطاع أن يصل الى النتائج التى حققها ولو امكن تطوير عمليات النقل الجوى على النحو الذى قام به القائد سليم في ظروف أكثر سوءاً في بورما ، لامكن اسقاط القوات المجهزة خلفه تماما ثم دعمتها الطائرات كما أن القائد مونتجمرى كان متخوفا أكثر مما ينبغى ، فقد قال بايرلين الذى حارب في فرنسا بعد ذلك عندما كان يقارن بين القائد باتون والقائد جادريان ، ومونتجمرى ببراند ستد « انى لم اكن أتصور ان القائد باتون سيجعل مرورنا سهلا على هذا النحو » ثم أضاف ، ومع ذلك فان ( هذا الانسحاب هو أفضل ماقام به روميل في شمال أفريقيا » . وبما أن الجيش الثامن قد قطع مسافة السبعمائة ميل من العلمين الى بنغازى في خمسة عشر يوما ، وبما أن روميل لم يتمكن هذه المرة من التوقف عند العقلية فربما لايكون هناك مجال لنقد أى من القواد .

ورست قوات الحلفاء على شمال أفريقيا في الثامن من نوفمبر . وفي الحال أصبحت طرابلس ذات أهمية ثانوية . ولم يتلق روميل أية تعزيزات لكنها كانت تتدفق على تونس بحراً وجواً . وبعد ستة شهور أخرى أصبحوا جميعا أسرى ومن بين الجرعات المريرة العديدة التى كان على روميل أن يتجرعها قبل جرعته الاخيرة كان أشدها مرارة أن يرى ماذا يمكن ان تقوم به القيادة العليا الالمانية حيال قضية خاسرة ومقارنة ذلك بما لن ينجحوا فيه في تدعيم قضية رابحة . ففى نوفمبر جاءت كتيبتين من القوات المحمولة جواً مع أحد الوية المهندسين . وتبعهم بعد ذلك وحدات غريبة من المشاة . والدبابات والمدفعية ليشكلوا فرقة لنماوشة وفي وسط ديسمبر وصلت الفرقة بانزر العاشرة . وفي النصف الاخيرة من الشهر وصلت فرقة المشاة الاخرى رقم ( ٣٣٤ ) . ووصلت كتيبة جردينادير من جزيرة كريت . كما ظهر أيضا لواء الدبابات الثقيل الـ ٥٠١ المسلح بدبابات النيوتايجر التى وعد بها روميل من قبل . كما كانت فرقة البانزر الرهيبة التابعة لهيرمن جورنج أيضا في طريقها . كما أضيفت وحدات المانية أخرى ناهيك عن

التشكيلات الايطالية المتعددة قبل النهاية لتوسيع نطاق المعركة . فما هو الشيء الذى لم يكن لرومل أن يحققه لو وصلت هذه القوات مبكرة لفترة تسبق ذلك بخمسة أو ستة شهور فقط ؟

و لافائدة من تتبع أخبار أنسحاب رومل او تقدم الجيش الثامن خلال طرابلس الغرب ، فقد دفع الى الوراء تدريجيا بقواته المكونة من ( ٢٥٠٠٠ ) ايطالى ( ١٠٠٠٠ ) الماني و ( ٦٠ ) دبابة . وقد استعان الى أقصى حد بتفجير الالغام المزروعة على طول الطريق ، كما دمر بعض الطرق واقام بعض الشراك وذلك لاعاقة تقدم العدو . وغالبا ما اضطرت قوات الحراسة الالمانية في المؤخرة لان تقاتل يائسة لتخليص نفسها ، وفي هذه المرة كان قد بعث بالايطالين الى المقدمة وكان عليه أن يترك المواقع الدفاعية القوية لانه لم تكن لديه القوات التى يمكنها السيطرة عليها وقد أقامت الفرقة الخفيفة التسعين خارج طرابلس نفسها ، الا أن الضحايا القدامى لرومل في سانت فاليرى من الفرقة هاى لاند الواحد والخمسين قاموا بطردهم في هجمة في أحدى الليالى المقمرة ومن ثم يعتلون مؤخرة دباباتهم . وقد احتلت طرابلس دون أية مقاومة تذكر . وفي الثالث والعشرين من يناير دخلت فرقة الفرسان الحادية عشر المدينة عند الفجر وهى الفرقة التى قامت بالضربة الأولى على خط المواجهة عندما دخلت أيطاليا الحرب .

أن أكبر أختيار لاية قوات أو أى قائد في الحرب هو الانسحاب الطويل فليس هناك شيء يضعف من الروح المعنوية ولا أشق على النفس من أن يدرك المرء أنه يحارب فقط لكى يتمكن من الانسحاب . وكان رومل جريح القلب ومنهك القوى . وقد تعلم رومل كيف تكون المكافأة على ولائه للفوهرر أثناء هذا الانسحاب ففى نهاية نوفمبر استدعى للوطن للمساءلة ، فقد تعامل معه هتلر في أحد مواقفه الشهيرة . وكان رومل قد أخبره أن الموقف في أفريقيا كان بالغ السوء ولا جدوى منه وانه من الافضل التضحية بما تبقى من معدات لكى ننقذ الفيلق الافريقى كى يتمكن من القتال في أيطاليا مرة أخرى . فرد عليه هتلر بأنه انهزامى وانه هو وقواته من الجبناء . وان القادة الذين يقدمون مثل هذه المقترحات في روسيا يصطفون على حائط ليعدموا رميا بالرصاص. ومع ذلك فانه لن يقوم بهذا مع رومل ولكن على رومل أن يكون حذراً . أما بالنسبة لطرابلس فيجب الابقاء عليها مهما بلغت التكاليف والا فسيقوم الايطاليون بعقد سلام منفرد . فسأله رومل هل من الافضل ان نفقد طرابلس أو أن يضيع الفيلق الافريقى . فصاح هتلر بأن الفيلق الافريقى لايهمه في شيء . ولاول مرة أخبر رومل أسرته ، أنه قد أدرك احتقار هتلر

لكل الشعب الالماني . وأنه لايهتم حقيقة بهؤلاء الرجال الذين يحاربون من أجله . ومع ذلك فقد رد على هتلر بأن يأتي هو الى أفريقيا ليرى بنفسه مايكون أو ليرسل احد رجاله الشجعان ليريهم كيف يكون الخلاص . فصاح هتلر في وجهه « اذهب فان لدى أمور أخرى أهم من التحدث معك » فحياه رومل وارتد على عقبيه ، وبعد أن اغلق الباب من ورائه جاء هتلر يجرى خلفه ليضع ذراعه على كتفه قائلا« يجب أن تعذرني اني في حالة عصبية شديدة . ولكن سيتم كل شيء على نحو يرضيك فلتأتي لمقابلتي غداً وسنتحدث عن كل شيء بهدوء . فان مجرد التفكير في تدمير الفيلق الافريقى ضرب من المحال » .

وجاء رومل لمقابلته في اليوم التالى مع جورنج فقال هتلر محدثا جورنج « افعل ماتراه ، ولكن عليك بتقديم كل مايحتاج اليه رومل من امدادات للفيلق الافريقى فرد جورنج بالتعبير الالماني » يمكنك الاعتماد على ، وسأتولى ذلك بنفسى . »

واخذ المشير الالماني رومل معه في قطاره الخاص الى روما كما دعا السيدة رومل للذهاب معهم ، وعندما تقابلا في محطة ميونخ كان جورنج يلبس حلة رمادية ليست من الطراز القديم ذات حلية حريرية على الصدر وكانت ربطة عنقه مزينة بحلية من الزمرد ، وكان غطاء ساعته الخارجى مرصعا بالزمرد ، ومما أثار الرعب في قلب رومل أنه كان يضع في أحد اصابعه خاتما ذو ماسة كبيرة . ومما زاد من خوف رومل انه كان يضع على اظافره طبقة من الطلاء . وعرض جورنج الخاتم على السيدة رومل في أول فرصة قائلا « لعل هذا يورق لك ، وربما أثارك ذلك فانه من أغلى الاحجار الكريمة في العالم » وكانت هذه أول مرة تقابل فيها السيدة رومل المشير الالماني . وكانت هى الاخرى قد أدهشها تصرفه . وفي القطار كان كل حديثه منصبا على الصور فقد قال « انهم يطلقون على النصير السخي للادب والفن في جمهورية المانيا الثالثة » . وقد وصف كيف أن بالبوقد ارسل اليه تمثالا لآلهة الجمال أفروديت من اليونان — ومع هذا فلم يذكر شمال أفريقيا أثناء الرحلة كما تجاهل جورنج كل محاولات رومل لتغيير مجرى الحديث من التماثيل الى الامدادات . ومع هذا فقد أهدى رومل صليب طيارى القوات الجوية وهو من الماس معتقداً أن ذلك سيرضيه .

وفي روما حيث توقفوا في فندق الاكسلسيور ، تكررت نفس القصة . فقد قال رومل عندها بازدراء شديد « ان جورنج لم يفعل شيئا سوى النظر الى الصور والتماثيل ، فقد كان كل اهتمامه ان يملأ قطاره بهم . ولم يحاول مطلقا ان

يسعى لمعاونتى أو أن يأمر أحداً لتقديم أى عون لى » وقد ابدى جورنج بملاحظة للسيدة روملى مفادها ان زوجها يبدو مكتئبا . فأجابت قائلة « ان هذه ليست طبيعته فهو متفائل بصفة عامة . الا أن نظرته للامور نظرة واقعية » فقال جورنج صائحا « انه لايفهم الموقف كما أراه أنا ، واننا سوف نعتنى به وسنفعل كل شيء من أجله » ثم راح في حديث طويل يفاخر فيه بمنجزاته الخاصة في الماضى والحاضر والمستقبل . وكان يبدو الى السيدة روملى وكأنه يعاني من جنون العظمة وبمقارنة هذا الكيان الغير مألوف بجورنج الصلب العنيف القوى الذى مثل أمام القضاء في نورنبرج ، فان الانسان يتساءل اذا ما كان في هذه الفترة قد عاد الى تعاطى المورفين . وفيما عدا اهتمامه بالفنون فقد كان اهتمامه الوحيد هو محطة السكة الحديد النموذجية . فقد ظهر في صورة واهية في زى الحرس بجانب علم أخضر . وكانت هناك قصة قد عمت كل أنحاء روما بأنه قد ذهب لاحدى الحفلات وهو يرتدى ثوبا رومانيا فضفاضا . فقد صبر روملى على هذا لمدة ثلاثة أيام . وبعدها قال : « انه لا خير في أن ابقى هنا . ان حالتى المعنوية تسوء : فمن الافضل لى أن اعود الى الفيلق الافريقى » .

وطار في اليوم التالى ، مقتنعا بأن جورنج قد جن وان هتلر ليس بخير منه . وكانت تلك هى المرحلة الثانية لتحرره من الاوهام .

ومع أن طرابلس قد سقطت مما تعارض مع رغبات الفوهرر . فلم تكن تلك هى نهاية روملى في شمال أفريقيا . فقد تغير لقبه ثلاث مرات خلال عام ١٩٤٢م فقد كان قائدا عاما لجيش البانزر في أفريقيا وظل بهذه الوظيفة حتى الرابع والعشرين من اكتوبر . وعند عودته الى العلمين بعد مقتل ستوم كان يحمل لقب القائد العام لجيش البانزر الالماني الايطالى . وفي الثاني والعشرين من فبراير تكونت مجموعة جيش أفريقيا واسندت اليه قيادتها . وقد كانت تتألف من الجيش بانزر الخامس ، تحت قيادة فون ارنيم ، كما شملت القوات الجديدة التى زج بها الى تونس ، كما كانت تحتوى الجيش الايطالى الاول تحت قيادة مس ، وهو الذى يشمل الفرقتين الايطاليتين العشرون والواحد والعشرون ، والفيلق الافريقى الذى كان قد تم طرده من ليبيا . وكان الجيش الايطالى الاول حقيقة هو نفسه الجيش بانزر الالماني الايطالى ولكن تحت اسم جديد وهكذا فبدلا من أن « تدار ظهره للحائط ويطلق عليه الرصاص » رقي ليقود كل قوات المحور في تونس . وكانت القيادة العليا الالمانية مازالت تعتقد بأنه في الامكان الابقاء على أحد رؤوس الجسور حول تونس وبنزرت وتجعل أحد جيوش الحلفاء الكبرى مشلولا في مكانه ،

كما حدث في سالونيك في الحرب الاولى . وأنه لمن المدهش ان تسند القيادة الى روميل الذى لم يكن يصدق أى شيء من هذا القبيل .

ومع ذلك فقبل ان يتولى مهام منصبه وقبل أن يعلن عن وظيفته الجديدة فقد أظهر تألقا حقيقيا لمكانته السابقة . فمن طرابلس عاد الى خط ماريت وكان ذلك موقعا قويا جداً . كما كان هناك موقعا أفضل من ناحية الاعداد وهو العلمين وكان الفرنسيون الذين حصنوه كخط ماجنو افريقى ضد أى تقدم ايطالى من ليبيا يعتبرونه حصنا منيعا ضد أية هجمات مضادة . وقد قالوا انه لايمكن أن يسقط لان الاتجاه الى الغرب كان مستحيلا وعلى أى حال فلكى يطوق يجب التحرك لمسافة ( ١٥٠ ) ميل وقد قدر روميل « صوابا » ان القائد مونتجمرى سيحتاج وقتا ليفكر في هذا الموضوع . وبما انه لم يكن قد فقد الروح الهجومية لمدة طويلة . كما أنه لم يكن يعنى أن يجلس لانتظار هجمات العدو ، فانه بدأ يجول بخاطره لعله يتمكن من القيام بأية عملية في ذلك الحين وليس بالضرورة ان تكون العملية ضد الجيش الثامن : فهناك أيضا جيش الحلفاء الاول ، الذى لابد ان يصبح تحت قيادة القائد مونتجمرى .

واختار الموقع المناسب لذلك تماما وكان الفيلق الثاني الامريكى يقبع في القطاع الجنوبي لجبهة الجيش الاول ، عبر السهل بين قفصه وفندك . ومن خلفه كان ممر القصرين . وكانت المواقع الدفاعية قد اعدت على نحو تخطيطى . وكانت فرقة الولايات المتحدة الاولى المدرعة خلف المواقع الامامية نصفها في الشمال من ناحية فندك ، حيث كانت اجهزة المخابرات تعتقد بان أى هجوم لابد أن يفشل وكانت القوات مازالت حديثة وغير مجربة ، تحت قيادة لم تتوفر لها خبرة الحرب الحديثة بعد .

تلك كانت وجهة نظر روميل الرئيسية . فقد جعل فرقته البانزر الواحد والعشرين الامينة تخرج من مأزقها واعاد تسليحها بالدبابات من أحد الوية الدبابات الاساسية والتى ارسلت لتعزيز القوات في تونس وانقض على الفرقة الامريكية المدرعة بحوالى مائة دبابة تدعمها الشتوكا في الرابع عشر من فبراير . واكتسحت المواقع الامامية وتقدم روميل بمدرعاته خلال المواقع الدفاعية المعدة على نحـــو سريع لممر قصرين . وكان لتعدد جنسيات القوات الامريكية والبريطانية والفرنسية قد زاد من ارتباكهم « ولم تكن هناك خطة دفاعية منسقة . كما كانت القيادة غير محددة المسئولية » . واقتحم خطوط الحلفاء جزء كبير من قوات المقدمة

وتمكن رومل من أن يفتح امامه أرضا بقواته التى لم يصبها أى ضرر على وجـه التقريب . كما تمكن من ازالة بعض العوائق الطبيعية كى يتقدم ناحية الشمال وقد كان باستطاعته أن يلتف حول كل خط المواجهة في تونس فيسبب انسحابا عاما ان لم يكن كارثة . لقد كان خط الغزالة هناك مرة أخرى .

كان هذا هو الموقف عندما جاء القائد الكسندر لتولى القيادة وعن ذلك يكتب فيقول « لقد كان واضحا لى ، أنه بالرغم من أن هدف رومل الاساسى كان مجرد توجيه ضربة الى الفيلق الثاني كى يضمن سلامة مؤخرة قواته جهة اليمين بينما كان يعد لمواجهة الجيش الثامن ، لديه أفكار كبيرة واني لا أعرف عنه من تجاربي السابقة أنه رجل من هؤلاء الذين سيستثمرون النجاح بكل الوسائل الممكنة ، حتى لو وصل الى حد التهور وقد لاحت أمامه الآن ملامح نصر يمكن الاعداد له . »

وفي العشرين من فبراير بدت الامور تسوء لدرجة أن القائد الكسندر اضطر للاتصال تليفونيا بمنتجمورى كى يتصرف لتحويل مجرى الاحداث فوافق الاخير في الحال واجاب بانه سيتصرف . ثم أضاف « اننا سريعا ماسنرى رومل يجرى فيما بيننا منتفضا مثل الدجاجة التى أصابها البلل » .

ويرجع الفضل الكبير للقيادة التى تم بها ايقاف تدفق القوات الالمانية بعد يومين والتى ابلى فيها القائد الكسندر ، الذى تنبأ » وكان مصيبا بأن رومل سيتجه شمالا ، حيث كانت تتألق بجائزة أمام عينيه وانسحب رومل على نحو منظم تاركا خلفه تسع دبابات فقط ، ومجموعة كبيرة من الالغام لاعاقة متابعته ، وبعض المبادرات غير المدروسة للحرب في شمال أفريقيا .

ويقول المشير الكسندر في رسالته « لقد جعلتنى معركة قاصرين أعيش لحظات عديدة من القلق . فكما كان رومل أثناء تقدمه في العلمين يستثمر كل بادرة صغيرة للنجاح وبذا يضع نفسه في مركز اسوأ مما كان ، فلايمكن أن يلام على محاولته انتزاع أى نصر كبير ، حيث أنه كان في كلا المرتين قريبا جداً من النصر الا أن النتيجة كانت في نفس حجم كارثة العلمين .

وتروى الحادثة التالية التى حدثت في ذاك الوقت بأن الانسحاب لم يفقد رومل أعصابه كما لم يغير من عاداته في المعركة . ومصدر هذه القصة هو الدكتور لوفلر وهو أحد المستشارين الالمان في محاكمات نورنبرج ، والذى كان يخدم في سلاح المدرعات في تونس وكان شاهداً عيانا . فقد اندفع رومل بعربة قيادته الى قائد لواء الدبابات الذى كان يجلس في دبابته وغطاء الدبابة مغلق على مشارف احدى

القرى . فدق روميل على غطاء الدبابة ليسأل قائد هذا اللواء عندما فتح له « ماذا تفعل هنا ؟ » . فأجاب ذلك الضابط « انه من المستحيل التقدم ياسيدى» . وفي تلك اللحظة انطلقت مجموعات متتابعة من القذائف النارية من احدى البطاريات البريطانية لتصيب الدبابة من كل جانب فأغلق غطاء الدبابة بسرعة وتصور قائد اللواء ان روميل قد قتل لامحالة ، وبعد عشرة دقائق أخرى كانت هناك طرقة أخرى على غطاء الدبابة . وقد كان روميل ، الذى عاد الآن بعد أن اندفع الى داخل القرية . وقال للرجل هل انت بخير هناك أربع مدافع مضادة للدبابات في النهاية الاخرى لهذا الشارع . عليك في المرة التالية أن تذهب بنفسك لتحصل على مثل تلك المعلومات

تلك كانت المعركة قبل الاخيرة لروميل في أفريقيا . أما الاخيرة فكانت معركة ميدنين التى وقعت في الخامس من مارس . عندما كان روميل قد تأخر لمدة أيام لاصطياد مونتجمرى وهو في حالة انعدام الوزن . فعندما انضمت الفرقتان بانزر الخامسة عشر والواحد والعشرين الى الهجوم ، كانت هناك قوة كبيرة في انتظارهما وتكررت معركة علم الحلفا . ويقول الفريق ويجن جان وهو رئيس أركان الجيش الثامن ، « كانت المشاة تذود عن مواقعها ضد مجموعات قوية من المشاة وهجمات الدبابات بلا اتصالات ومجموعة قليلة من الالغام لحمايتها وكانت المدافع المضادة للدبابات قد وضعت لقتال الدبابات وليس لحماية المشاة وكان تأثير استخدامنا المركز لمدفعيتنا مدمراً .................... لقد كانت أقوى المعارك الدفاعية التى تم فيها القتال على نحو رائع ................ وفشل فيها روميل تماما حتى في اختراق مواقعنا » . وترك ٥٢ دبابة من المائة والاربعين التى بدأ بها في أرض المعركة وكانت خسائر القوات البريطانية مائة وثلاثون رجلا بين قتيل وجريح من كل الرتب . ويقول الفريق ديجن جاند أن الاسرى قد أفادوا بأن روميل كان يتجول بينهم لمحاولة اثارة حماسهم وليترك بين الجنود انطباعا بأهمية المعركة الا انه كان واضحا انه يعاني من مرض شديد ، كما كان يربط رقبته بالاضافة الى ان وجهه كان مغطى بقروح الصحراء . وينقل اللواء الكسندر ماقاله شاهد عيان بأنه قد قال لاحدى المجموعات التى كانت تقف بجواره بأنه ان لم يكسب هذه المعركة فسيضيع آخر أمل في أفريقيا .

وبعد أسبوع سافر روميل الى المانيا وقد تعددت تفسيرات هذا السفر المفاجىء قبل معركة خط ماريت . كان اقواها ماقاله اللواء ايزنهاور . فقد كتب يقول « لقد هرب روميل بنفسه قبل الهزيمة النهائية ، ويبدو أنه كان يود ان ينجو

بجلده بعد أن تكشفت له النهاية المحتومة » . وبالفعل كانت النهاية الحتمية فقد تكشفت له . الا انه ليس هناك ممن يتتبعون الخط البياني لحياته حتى هذه اللحظة من يعتقد بأن تقديره لحياته الشخصية قد أثر على تصرفات روميل واتخاذه للقرارات منذ اليوم الاول الذى أصبح فيه مقاتلا . وقد قيل أن الايطاليين قد طالبوه بالانسحاب الا أنني لا استطيع ان أجد دليلا على هذا . أما الاحتمال الاقوى الذى يمكن أن يكون سببا في عودته فهو اعتلال صحته وحاجته لاستكمال العلاج . ولقد قيل بأن هتلر قد أمره بالعودة خوفا مما يحدثه الاثر المعنوى على الالمان اذا ماتم أسره ، وبما أن هتلر لم يكن قد استوعب بعد أنه فقد كل شيء في تونس وفي الحقيقة فان أوامر القيادة العليا باخلاء افريقيا عندئذ وأن على القوات الالمانية والايطالية الانسحاب عن طريق البحر ، لم يصدر الا في الثامن من مايو . وفي ذاك الوقت لم يكن بالامكان اطاعة هذا الامر مثل الكثير من اوامر هتلر وقد تم الاستسلام بعد ذلك بأربعة أيام .

وقد كان التبرير الذى أدلت به أسرة روميل والذى جاء على لسانه مباشرة هو أنه قد طار عائداً بناء على رغبته الخاصة دون أية أوامر ، وذلك ليلتمس من هتلر مرة أخرى بأن يأذن له بانقاذ القوات الالمانية على أساس التضحية بالمعدات التي يملكونها . ورفض طلبه مرة أخرى ، واطلق عليه هتلر مرة أخرى صفة الانهزامية والجبن . وعندما اقترح العودة ليرى مايفعل لم يعط الاذن بذلك . واني لا اجد سببا في عدم تصديق هذه القصة .

ولم ينس الفيلق الافريقى روميل ، فقد كانت فرقته القديمة تقاتل حتى النهاية بنفس العناد والشراسة التى كانت تقاتل بها تحت قيادته . كما لم تغب ذكراه سريعا عن اذهان خصومه . ويذكر الفريق دوجن جاند في كتابه ( عمليات النصر ) بأنه قد ترك أفريقيا قبل معركة خط ماريت . ومع ذلك وربما دون أن يدرى استمر يطلق على القوات الالمانية بأنها « قوات روميل » .

وبعد سقوط تونس استدعى روميل الى مقر قيادة هتلر بالقرب من راستنبرج في شرق بروسيا ( عرين الذئب ) ، وقد كان هتلر يبدو يائسا الا أنه كان منطقيا فقال مخاطبا روميل « كان ينبغى ان استمع اليك من البداية ، لقد فقدت أفريقيا الآن » ، وتحدث روميل عن الموقف العام للقوات الالمانية وفجأة سأل الفوهرر : « هل تعتقد حقيقة بأننا لن ننال النصر الكامل الذى نهدف اليه ؟ » فأجاب هتلر ( لا ) وضغط عليه روميل متسائلا أتدرى ما النتائج المترتبة على الهزيمة ؟ » .

فأجاب هتلر ( نعم ) ، اني اعلم أنه من الضروري ان اعقد اتفاق سلام مع طرف أو آخر ، لكن ليس هناك من يمكن أن يعقد سلاما معي ... وعندما كان رومل يروى نبأ تلك المقابلة على السيدة رومل ومنفرد قال رومل ان هتلر كان نسخة حديثة من لويس الرابع عشر وأنه لايستطيع أن يميز بين مصلحته الخاصة ومصالح الشعب الالماني . فلم يخطر له على بال أن ينزوى من الطريق اذا ما أحس بأنه هو العقبة في طريق السلام . وأضاف رومل بأن الوقت الذى يمكن فيه التفاهم معه هو الوقت الذى يكون فيه في شدة الاكتئاب . وبمجرد أن يحيط به مرة أخرى اولئك المنافقين الذين يؤكدون له انه مازال فوق الرؤوس يعود الى ما كان عليه في الحال . كما أدرك رومل أيضا ولكن في وقت متأخر بأن الكراهية الشديدة هى المنبع الاساسى لشخصية هتلر . فعندما كان يكره فان كراهيته كانت شديدة تتوقد غضبا فلم يكن يستطيع ان يتحكم في نفسه أو يسيطر عليها . فقد كان ببساطة ينزع الى القتل . وقد تذكر مانفرد ذلك الحديث فيما بعد ، ومازال يذكره .

وفي السادس من أبريل في وادى العكاريت فان قتال الفرقة بانزر الخامسة عشر والفرقة الخفيفة التى قال عنها القائد الكسندر « لقد قاتلا أحسن المعارك في كل وجودهم العسكرى » قد عطلتا الكارثة ولو لمدة قصيرة لكنهما لم يتمكنا من منع اتصال الجيش الاول بالثامن . وفي التاسع والعشرين من أبريل استمر مع الفرقة بانزر الواحدة والعشرين في الحفاظ على حالته المعنوية العالية بالرغم من الخسائر الفادحة . وفي الثلاثين من أبريل امكن تعزيز الجيش الاول بأحسن تشكيلات الجيش الثامن . وقد انتقى الجنرال مونتجمرى الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الهندية الرابعة وكتيبة الحرس رقم ( ٢٠١ ) . وهما الفرقتان اللتان كسبتا أول أنتصار بريطاني في أفريقيا تحت قيادة الجنرال وافل . وفي السابع من مايو كانت قوات الفرسان الحادية عشر التابعة للفرقة السابعة المدرعة دخلت « فئران الصحراء » الحقيقية الاصيلة الى تونس . وفي الثاني عشر من مايو بعد معركة أخيرة في الجبال فوق انفدافيل ، سلم الجنرال جرفون سيونك الفرقة الخفيفة التسعين الى عدوه القديم ، الجنرال فراى بيرج وقواته النيوزيلاندية . ووقعت آخر قوات الفيلق الافريقى . مع قائدها في الاسر وانتهت بذلك حرب الصحراء .

وبقى المشير كيتل في نوبة أسى على فراش الموت ان يقول آخر كلماته عنها .

: « ان من اكبر واعظم المعارك التى خضناها كانت عند العلمين . واني لاقول بأننا في هذه الذروة من الحرب كنا قريبين من النصر عنه في أى وقت آخر سواء قبله أو بعده . فقد كان كل مانحتاجه هو شيء قليل كى نفتح الاسكندرية ونتقدم أماما للسويس ثم الى فلسطين ........................ »

ومع هذا فقد بقى الجنرال هولدر غير آسف أو نادم . ففى كتابه الضخم والذى لم يعتن بكتابته هذا الذى أطلق عليه هتلر هو المسئول » ويوجه كل لومه عليه في أن هزيمة المانيا ترجع الى الفوهرر كما حاول فيه تبرئة هيئة القيادة الالمانية كما يقدم شكلا جديداً لـ ( الطعنة في الظهر ) فمازال يصر فيه على « أن الهزيمة الكاملة لانجلترا في شمال أفريقيا ضرب من المستحيل » وأنه لايمكن انتزاع السيطرة على خطوط الامدادات في البحر المتوسط من أيديها . وأن الغواصات الالمانية لم تصل الا بعد ان خسرت خمسين بالمائة من قواتها . ( والواقع أن اثنين فقط قد فقدتا من ستين ) . كما أنه يمكن لانجلترا ان تجلب كل ماتحتاج اليه عن طريق البحر الاحمر ( ولم يذكر بأن انجلترا كانت مضطرة بان تجلب كل ماتحتاج اليه عن طريق رأس الرجاء الصالح ) ويقول « ان المسألة من البداية كانت مسألة وقت فقط .......... » . ولحسن حظ البريطانيين فان هيئة القيادة الالمانية كانت دائما ما تأتي بأمثال هولدر هذا .

## الفصـــل العاشر

## « حـــائط الاطلنطى »

كان رومل في أواخر صيف ١٩٤٣م يقود مجموعة الجيش ( ب ) في شمال ايطاليا في مقر قيادتها بالقرب من بحيرة جار دا وهو مكان يسعد به جميع القادة الالمان على الجبهة الروسية اذا ما اتيحت لهم فرصة تبادل العمل فيه مع رومل.

وقد دخل اولا الى المستشفى في زمرنج وهو في طريق عودته من شمال أفريقيا لمدة ست او سبع اسابيع ثم عين بعدها كمستشار ا عسكريا لمقر قيادة هتلر. ولم يكن يؤخذ بنصيحته وشعر أنه يضيع وقته فقط. وقد نتج عن احدى الاشاعات التى قالت ان مستر تشيرشيل كان على وشك شن هجوم لاوروبا عن طريق البلقان ان ارسل هتلر برومل الى اليونان ، الا أنه لم يكن قد مضى عليه أربعة وعشرون ساعة فقط في أثينا عندما أسرع الفوهرر باستدعائه تليفونيا على أثر نبأ سقوط موسولينى في الخامس والعشرين من يونيو . عندها شكلت مجموعة الجيش ( ب ) حول مدينة ميونخ ، حيث كان هتلر يشك في قرب استسلام الايطاليين أو ربما ينضمون الى الجانب الاخر.

وقد زادت شكوكه عندما ذهب رومل مع المشير جودل الى مقر قيادة بادليو لمناقشة مسألة ارسال مزيد من القوات الى ايطاليا . وقد بذل الجنرال رواتا وهو رئيس أركان بادليو كل ما في وسعه للحيلولة دون أن تغير هذه الخطة التى تعتبر على حد تعبيرة خطوة غير محببة للايطاليين . كما عارض أيضا اقتراح جودل بوضع القوات الخاصة حول مقر اقامته . وتساءل بأى حق يجلب جودل « القوات السياسية » الى ايطاليا ؟ وماذا يمكن أن يقول جودل اذا ما أرسل اليه بمجموعة من اليهود لحراسته ؟. وكان جودل الذى سمع بأحد التقارير الخاصة بأن السم سيدس له ولرومل لم يعقب على ذلك لكنه احتفظ بقواته الخاصة . وقد كان رومل يعتقد أنه كلما أسرعت قوات الجيش ( ب ) بالانتقال الى ايطاليا كلما كان أفضل . وقد كانت القوات التى شاهدتها في صبيحة التاسع من سبتمبر هى دبابات رومل من طراز تايجر وهى تتحرك على طول طريق ريفرجارو لاحتلال باسترا .

وعندما اعلنت الهدنة في معسكر الاعتقال الذى كنا فيه في المساء السابق ، أسرعت بشراء حلة من الصوف القديم وقبعة كبيرة من القش من متعهد السجن . والان قد خرجت لالقاء نظرة على ما كنت اتصور ان يعجب به كل فلاح ايطالى ، وهو

أن أطل من سور احدى الحدائق لاستمتع بأشعة الشمس في أول احساس لى بالحرية على مدى ستة عشر شهرا . وقد كان منظر الدبابات الالمانية في هذا الريف الهادىء غير مستحب ، وكذلك كان ظهور اثنين من رجال القوات الخاصة بمدافعهم الرشاشة في الحديقة بعد ذلك بدقائق قليلة . وكان على عندها ان أتسلل بسرعة داخل أشجار الكروم ثم أعبر الحقول الى المعسكر لكتابة تقرير بما رأيته وقد سمعت بعد ذلك ان كل من رآنى ما عدا لحسن الحظ ، رجال القوات الخاصة قد تعرفوا على شخصيتى وتساءلوا ماذا كنت أفعل وأنا ارتدى تلك الحلة التى ظهرت بها .

وقد كنا نعلم حتى في معسكر السجن ما لم تتمكن اجهزة مخابراتنا من معرفته وهو أن الالمان كانوا على استعداد ان يتصرفوا بوحشية اذا ما استسلم كل الايطاليون . وقد كتب أحد رجال الحرس الاليفين الخاصين بنا قبل ذلك بأسبوعين في أحد تقاريره يقول ، بان فرق الالمان كانت تنتشر فوق منطقة البرنر . ولم نكن نتوقع أن رد الفعل سيكون بالسرعة التى جرت فبعضنا كان يأمل حقيقة ان يأخذ القطار من بياسنزا بعد ظهر ذلك اليوم ، والى روما ثم الى الجنوب بعد ذلك . وحيث اننا قد أسرنا جميعا في شمال أفريقيا فقد كان التفاؤل بيننا سيقل كثيرا اذا ما أدركنا ان رومل هو الذى يتولى القيادة ( ولقد كان ، كما كنا نحس ، من الغريب بأن نرى خمسين الف أسير بريطانى في ايطاليا لم يتلق أى منهم أية أوامر او معلومات من أى نوع عند توقيع المعاهدة . وكانت النتيجة أن معظمهم وهم ينفذون أمرا يرجع الى ستة شهور مضت بان « يظلوا في مواقعهم » قد تم نقلهم الى المانيا . واستمرت المفاوضات مع بادليو من نهاية يوليو حتى سبتمبر : مما دعا البعض أن يوحى لنا بفكرة ما ).

ولم تكن قوات رومل تفتش عنا خاصة الا عندما كانت القوات تقوم بمسح المنطقة التى تتخللها التلال المجاورة . وقد كان أكثرهم في الصحراء . (١) البنزين والزيت (٢) الماء – (٣) الغذاء (٤) الاسرى . وعن الاسرى كان من عادته ان يقول ( يمكننا اخذهم فيما بعد ) . وكان من الواضح انه لا يزال يتابع هذا الامر. وبمجرد أمسكت المانيا بزمام الامر في شمال ايطاليا ، بدأ اهتمامهم يزداد نحو نهب غذاء واجهزة حلفائهم القدامى وارسال الصغار منهم الى معسكرات العمل الالمانية وأكثر من حراسة والاحاطة بالاسرى الزائدين عن الحاجة .

وقد كان من الواضح أن رومل يمل وظيفته المريحة . ويجوز ان يعود ذلك لعدم استعداداه للخدمة تحت قيادة كسلرنج . فقد كان يسعى بالتأكيد لقيادة عمليات حربية أخرى . فلم تكن الحرب بالنسبة له هى ان يقضى الصيف في البحيرات الايطالية . وبالاضافة الى ذلك فانه سريعا ما بدأ يجابه المتاعب بعد الهدنة مباشرة

مع القوات الخاصة ومع سيب ديترتش وهو قائد كتائب القوات الخاصة . وكانت هناك تقارير متعددة عن كثير من الغنائم وعن السلوك الوحشي في ميلانو كما هو الحال في مدن شمالية أخرى . وقد كان رومل ساخطا ناقما بسبب هذه الاحداث وأيضا لانه لم يكن من المسموح به له أن يتدخل في اعمال القوات الخاصة . وقد قدم قائمة طويلة باسماء ضباط من القوات الخاصة من اجل توقيع العقوبة عليهم وبما لديه من حرية في التحكم في مواقع قواته امر وحدات القوات الخاصة بالخروج من ميلانو وعندما زاره هتلر للتفتيش في ايطاليا بادره بالسؤال « كيف تسير الامور الان في ميلانو يا سيادة المشير ؟ « فرد رومل » انها احسن الان بعد ما أخرجنا القوات الخاصة منها » . ومع ذلك لم تكن القوات الخاصة لتهزم بهذه السهولة فعندما شكا رومل لاحد قادة القوات الخاصة عن الغنائم ، أرسل اليه القائد الذى كان على علم بأن رومل يجمع الطوابع ، مجموعة رائعة منها « كانت ضمن الغنائم » .

وهكذا علم رومل وهو في حالة معنوية عالية مع بداية نوفمبر أنه قد أسند اليه مهمة خاصة بواسطة الفوهرر . وكان عليه أن يقوم بالتفتيش على المواقع الدفاعية الساحلية في الغرب . من شجراك حتى الحدود الاسبانية — كما كان عليه أن يقوم بكتابة التقارير عن مدى استعداداتهم لمقاومة الغزو . وأصبح في حاجة الى بعض النصائح والخبرات من جانب القوات البحرية . وقد كان رئيس أركان رومل وهو الجنرال جوزى والذى كان يرافقه في شمال أفريقيا الى أن جرح في ٣١ مايو سنة ١٩٤٢م على علم بالرجل المناسب في القوات البحرية وكان هذا الرجل هو نائب القائد البحرى روج الذى كان يتولى قيادة القوات البحرية الالمانية في ايطاليا والذى كان يتولى كاسحات الالغام في الوقت السابق على ذلك . ( وقد اعتقل بعد الحرب العالمية الاولى لدوره في اغراق الاسطول الالمانى في اسكابا ) وكان جوزى قد قابل روج وأعجب به وقد تقدم اليه رومل بطلب المشورة بناء على توصية جوزى . ولم يكن أمامه خيار أفضل . فان اللواء البحرى روج مازال يعيش في كوكس هامن ويقوم بتعليم الالمانية الى ضباط الاسطول البحرى البريطانى وهو نفس النمط المتميز من الضباط بالنسبة للاسطول البريطانى حسب اعتقادنا . وفي الحقيقة ان كل الاساطيل يمكن أن تعطى هذه الخبرة لانها حصيلة التدريب المبكر ونظم العمل في البحر وبما ان روج كان رجلا ذكيا نشطا معتزا بكرامته فان رومل أسرع اليه . وسريعا ما أصبح روج صديقا حميما ومحل ثقة رومل .

لماذا اذا شعر اللواء البحرى روج بأنه لم يكن هناك أى تكلف بينه وبين رومل منذ اللقاء الاول مع أن المشير رومل قد لمحه وهو يرتدى معطفا باليا ملتفحا باحدى

الكوفيات على رقبته عندما كان عائدا بصفة مفاجئة الى مقر قيادته ؟ فقد كانت اجابته على هذا السؤال هى التى مكنتنى ان أقدم رومل كما يمكن أن تساعدنى في تفسير شخصيته الى عديد من القراء الانجليز . فيقول اللواء روج ( لقد كان من النمط الذى يقابله الفرد كثيرا في الاسطول عنه في أى مجال آخر من مجالات الخدمة العسكرية.

وعندما وضعت ذلك في ذهنى ونظرت الى صورة رومل الفوتوغرافية مرة أخرى ثم غطيت الصورة وأمعنت التفكير في كل القصص التى سمعتها عنه ، فان دقائق شخصيته الغريبة بدت تتسلل الى المكان الذى أجلس فيه . وربما لان والدى كان بحارا وأننى قضيت معظم حياتى الاولى في البحر فقد شعرت اننى الان يمكن ان افهم ما قاله هذا القائد الالمانى النادر . انه لم يكن قد رأى ملوحة المياه حتى كانت مهمته الاخيرة . ولكن اذا ما نظرنا اليه في سلسلة القادة ـ البحريين لنلسون فهو أحد نافخى الابواق الواقعيين ، والذى أينما تضعه تجده .

وليست السمات التى ابداها في الصحراء او في أى مكان آخر غريبة على القوات البحرية . فالجنود ايضا لا بد ان يكونوا شجعان اقوياء العزيمة شديدى البأس جادين . ويمكن ايضا ان تكون لهم عقول منظمة دون أن تكون لهم أية دراسة اكاديمية ودون ان يكون لهم اهتمام بالفنون . ويمكن ان يكونوا أيضا غلاظ السلوك صرحاء في التعبير لا يتحملون التقصير شغوفين بتطوير أعمالهم . الا أنه عندما يضيف الانسان بعضا من السمات الاخرى التى يتميز بها رومل مثل براعته اليدوية ومهارته في القيام بالاعمال الميكانيكية ، وبساطته الشديدة وكراهيته « للتكلف » بالاضافة الى سمته المعتدلة والتى لا تخلو من التزمت الغير متعمد ، لدرجة أنه لم يكن يستطيع أى فرد ان يقص أى قصة مخلة بالاداب اثناء حضرته ، وفوق كل هذا ولائه الشديد لبيته وأسرته ، فان كل ذلك يعيد الى ذكرى والدى ومعاصريه مثلما يذكرنى العيون الزرقاء الصافية بشبكة الخيوط الرفيعة من حولهم . ولم يستوعب الادميرال السير وولتر كوان تلك المقارنة وهو الذى أسره رومل في الصحراء ، والذى كان يخدم بالجيش وهو في سن الثانية والسبعين مع أحدى كتائب الفرسان الايطالية ، والذى كنت معه في معسكر السجن بعد ذلك ولكنى يمكننى أن اتصور كل منهما وهو يؤنب الاخر ، دون أى استعداد من أى منهم للتسليم بأية بوصة واحدة ، ومع ذلك فقد كان يفهم كل منهما الاخر فهما جيدا ، لقد كان الاثنان حقيقة من نوع واحد وكان الادميرال روج يمكن أن يكون ثالثهما رغم أنه كان أقل حساسية . وقد ارسل روج ليكتب تقريرا عما يجرى من أحداث في العاشر من نوفمبر فأرسل الى برلين لجمع كل الخرائط واللوحات والمعلومات التى يمكنه الحصول عليها . وعندما تمكن من

الحصول على جميع الاوراق تلفت جميعها بسبب احدى الغارات الجوية . ولم يكن روميل تمكن من البدء في العمل في الدانمارك الا في بداية شهر ديسمبر. وقد استغرق التفتيش على الساحل الدانماركى قرابة عشرة أيام . ثم نقل روميل مقر قيادة المجموعة ( ب ) من الجيش الى منطقة فونتن بلو حيث بدأ في دراسة الساحل الفرنسى. ( وقد استبعدت من مهمته المنعطف الالمانى لبحر الشمال ) ولم يكن قد ذهب الى فرنسا منذ عام ١٩٤٠م وكان قد روعه كل ما رآه او ما لم يره . لقد كان « حائط الاطلنطى الذى تمكنت به الدعاية الالمانية أو أجهزة الدعاية الالمانية من التأثير على شعبها مثلما نجحت في التأثير على قوات الحلفاء عبارة عن خدعة او دجل او زيف ، مجرد سياج من الورق على الحلفاء ان يمروا من خلاله قفزا .

وفي الحقيقة قد أقام الاسطول الالمانى مجموعة من البطاريات لحماية الموانى الرئيسية . وقد اتصلت هذه البطاريات الى حد ما ببطاريات مدفعية السواحل بالجيش. ولكن بينما كانت مدافع الاسطول كأفران صهر الحديد ، كانت مدفعية الجيش مجرد مدافع توضع في دشمها دون أى غطاء ضد القذائف أو القنابل.. ( وقد فسر الادميرال روج ذلك بان قيادة الجيش لم تكن راغبة في وضع مدفعيتها تحت غطاء من الخرسانة بسبب القيود المترتبة على نطاق النيران . ومنذ بداية سنة ١٩٤٢م فصاعدا استحال الحصول على مواسير المدفعية اللازمة لندرة وجود الحديد ) . اما بالنسبة لطابور النقاط القوية ، فلم تكن لديهم اية ملاجىء من الخرسانة في حالات كثيرة على الاطلاق . وكانت تلك النقاط بصفة خاصة توجد على طول الساحل بين اورن والفاير . وحيثما وجدوا فان الغطاء كان لارتفاع قدره ستون سنتيمتر سميكا بلا فائدة ، ولهذا فقد كان يستخدم ضد الغارات الجوية الاولية المتوقعة .

وحتى الاحتياطيات الاولية للنقاط القوية المجاورة بما فيها من حقول الغام قد أهملت. ففى مدى ثلاث سنوات زرع حوالى مليون وسبعمائة الف لغم فقط. وكان المعدل الشهرى لزرعها عند وصول روميل حوالى اربعين الف لغم — وهو جزء من واحد صحيح لما زرعناه في سنة ١٩٤١م تحت مواقع السلوم — الحلفاية . ولم يكن هناك الغام في المياه الضحلة تحت مستوى المياه المنخفضة . كما لم تكن حقول الالغام باتجاه ساحل البحر كافية . وكانت العوائق على رمال الساحل بدائية جدا ، بل غير ذات أثر في مواجهة الدبابات وبدون أية فائدة في مواجهة قوات المشاه . والحقيقة انه لم تكن هناك أية محاولة جادة قد تم التخطيط لها لكى تضع الساحل الفرنسى في حالة دفاع ضد الغزو . ولم يتم أى شىء خارج الموانى الى أن قامت غارات سانت نازير ، وديب وعندها بدأ العمل الى حد ما .

ويلوم اللواء البحرى روج القائد المهندس المسئول الذى لم ينجز عمله فقد عجز جملة وتفصيلا ولم يقم بالتفكير في خطة كاملة واضحة . فلم يكن بالرجل الذى يمكنه ان يسوى بين وجهات النظر المختلفة بين الجيش والاسطول ) . ويمكن أن يقع اللوم بنفس القدر على القيادة العليا الالمانية لعدم اشرافها عليه . ففى حالة هدوء الغارات الجوية ، كان القادة المحليين لا يكترسون بشيء كما كانوا يقررون بأنفسهم ولانفسهم القدر الذى يمكن أن يقوموا به من اعمال . ولقد اصبحت فرنسا بالفعل مقرا للراحه لهؤلاء القادة المتعبون وتلك الفرق المتعبة من روسيا . وكانت الحامية العسكرية الدائمة تتكون من مجموعة من القوات الضعيفة يقودها مجموعة من الضباط يمكن أن تتلائم مع هذه النوعية من الجنود . وكانت هيئة ادا رة تودت التى قامت ببناء خط سيجفريد مشغولة باصلاح الخسائر التى سببتها القنابل في المانيا .

وقد بدأ رومل بارادته القوية على ما يبدو ا أن يعيد اصلاح كل هذه الامور وبدأ قبل احتفالات اعياد الميلاد حيث أمضى أيام في جولات طويلة بسيارته مع هيئة قيادته الى المواقع المتعددة على الساحل والى كافة مقار القيادة بالفرق ذاتها . ففى ضوء النهار كان يقوم بالتفتيش على المواقع الدفاعية وعندما كانت ظلمة ما بعد فترة الظهيرة في فصل الشتاء تحول دون هذة الجولات كان يقوم بعقد اللقاءات . ويقول اللواء روج ( لقد كان يصحوا مبكرا ويتحرك بسرعة ، ويمر بعينه على كل شيء ، ويبدو أنه كان يحس بالاماكن التى يمكن أن تتواجد فيها الاخطار . وفي احد جولاته التفتيشية التقليدية في الشتاء وصلنا الى بير بيجنان في وقت متأخر من الليل ثم غادرنا المكان في السادسة من صباح اليوم التالى دون أفطار . فقمنا بالسير خلال الثلوج والامطار ، حيث وصلنا بالسيارة الى بابون في الثانية بعد الظهر. وبعد ساعة ، فما أن تلقينا من القائد المحلى المسئول ، حتى غادرناها دون تناول الغذاء الى سانت جون وليز ، على الجبهة الاسبانية . وهناك قمنا بالتفتيش على البطاريات . وصلنا الى موردو في السابعة مساءا واجتمعنا مع القائد فون بلاسكوفيتش . وفي الثانية مساءا تناولنا عشاءنا في ساعة للراحة ، وكانت تلك أول وجبة لنا في هذا اليوم . ثم بدأنا العمل مرة أخرى في التاسعة مساءا ، ولكن لحسن الحظ نام القائد المهندس على المائدة ). وكان رومل يفاجيء مقار هيئات القيادة في المواقع الساحلية مثل الرياح الباردة الغير مرغوبة الاتية من بحر الشمال .

وكان رومل يرى القليل من مقر قيادته الخاص التى قام بنقلها الى لاروشجيون شمال غرب باريس ، الا في الليل . وبالرغم من أن مقر القيادة كان في قلعة قديمة جميلة ، تملاها المقتنيات التاريخية باعتبار أنها كانت تخص عائلة لاروش فوكود

وهو دوق روش جيون الا انها لم تكن تثير فيه اى اهتمام . كما أنه لم يمكن التأثير عليه بزيارة موت سانت مايكل من اجل البحث عن المتعة او التسلية لفترة طويلة . وعندما نجح اللواء بجرى روج اخيرا في استدراجه الى هناك ابدى ملاحظة غريبة بأن قال ان هذا المكان يمكن « ان يكون مخبأ جيدا » الا انه كان يستمتع بالاوانى الخزفية حسب ما قال روج . ومن ناحية أخرى فلم يكن يحتاج الى اقتناع او تأثير كي يذهب مرتين الى باريس لكى يقوم بالتفتيش على الرشاشات التى قام الفنيون الالمان بتصميمها على الطبيعة .

ولسوء حظ روميل لم تكن له مطلق الحرية في التصرف . فلم يكن بامكانه اصدار الاوامر مباشرة الى القوات لكنه كان باستطاعته فقط ابداء الاقتراحات للقائد العام للمنطقة الغربية وهو المشير فون رندستد أو تقديمها للقيادة العليا . وحيث أنه كان يعمل بتكليف شخصى من هتلر وفي نفس الوقت كان تابعا لفون راندستد ، كان يستحيل عليه ابراز كل كفاءته كما لم يمكن تجنب وجود بعض الخلافات. وقد أمكن حقيقة ان يقوم روميل مع رندستد بمهام انجزت على نحو أفضل مما كان متوقعا . فقد كان فون رندستد ضابطا المانيا ارستقراطيا معتزا بنفسة مبجلا من المدرسة الحربية القديمة . وربما كان يبدى اسفه لوصوله الى هذا المجال حيث قفز الى رتبة المشير دون تدريب كاف على ذلك ودون خبرة سابقة على الحرب في أوربا، وهذا الوضع غير السليم كان يحوى كل أسباب المنازعات المريرة . ولحسن الحظ لم يكن فون راندستد بأى حال جافا بمثل ما كان يبدو عليه بل على العكس كان يتسم بروح المزاح فبعد وفاة روميل بوقت طويل اخبر النقيب ليدل هارت انه ليس لديه أى شكوى ضده . فقد قال « كلما أعطيته امرا كان يطيعه . . . . . وأنا لا اعتقد أنه كان يملك المؤهلات الحقيقية للقيادة العليا ، لكنه كان رجلا شجاعا وقائدا كفؤا ».

الا ان هذا لم يغير حقيقة ان القائد العام للمنطقة الغربية الذى تولى القيادة في اوائل عام ١٩٤٢م قد ادرك بسرعة مثلما ادرك روميل ضعف حائط الاطلنطى ، ولم يكن ليعتقد انه من الممكن تقويته لكى يشكل عائقا حقيقيا امام الغزو . وكان يشعر أنه لا يوجد ما يمنع الحلفاء من النزول الى البر بقواتهم . وكنتيجة لذلك فقد فشل في الاسراع في انجاز الاعمال في المواقع الدفاعية . ولم يكن روميل قد بدأ في السعى والحصول على قيادة مستقلة الا في بداية سنة ١٩٤٤م ففى نهاية يناير اصبح القائد العام للجيوش الالمانية من هولندا الى اللوار . وكانت تلك المنطقة تشمل القوات المختلفة في هولندا ، والجيش الخامس عشر الذى يحتل المنطقة من الجبهة الهولندية الى نهر السين ، والجيش السابع الذى يحتل المنطقة من نهر السين الى اللوار . وكان

جيش المجموعة ( ج ( بقيادة القائد بلاسكوفيتش يسيطر على الجيش الاول ، الذى يغطى المنطقة من خليج بسكاس وجبال البرانس والجيش التاسع عشر ، الذى يتحكم في ساحل البحر الابيض . وبقى المشير راندستد قائدا أعلى ليرأس الجميع .

وكان هذا ترتيبا منطقيا بالنسبة لهيئة قيادته كان الاقتراح مقدما من فون راندستد وبالنسبة للواء البحرى روج فان الاقتراح قد تقدم به روميل . وأيا كان صاحب هذا الاقتراح فان الفرد يشعر بأن وجهة نظر راندستد كانت على النحو التالى : — « اننى لا أرى شخصيا اى معنى في محاولة القيام بأى أجراء بالنسبة لحائط الاطلنطى ، ولكن اذا ما كان روميل يشعر بأنه يستطيع فمن الافضل ان تدعمه بالفعل . » وكان رد فعل هيئة القيادات على كلا الجانبين هو الراحة العميقة .

وبالفعل قام روميل بالمهمة وكان من حسن حظ الحلفاء انه لم يمض ستة أشهر اخرى . فلو تم ذلك لكانت المشاكل والصعاب البدنية للنزول الى البر هائلة .

وكان روميل يعمل وسط عوائق خطيرة . فقد قال اللواء البحرى روج ، « لقد كان له تأثيرا بسيطا على الاسطول ، وأما بالنسبة للقوات البحرية الجوية فلم يكن له أى تأثير على الاطلاق » . ولم يتمكن روميل من الكتابة الى القائد العام للمنطقة الغربية إلا في أوائل يوليو ، بعد أكثر من ثلاثة أسابيع بعد الغزو ليقول : « انى أقترح أن أتولى مهام مقر القيادات ووحدات الفرقتين المستخدمتين في منطقة فرقة الجيش او أتعاون معها واضعا في الاعتبار الحصول على قيادة موحدة للفيرماشت وتركيز جميع القوات . . . . . . فان التعاون والتقارب بين التشكيلات الجوية وبين قوات المدفعية المضادة للطائرات وقوات الجيش المعنية الاساسية يمكن ضمانها اذا ما توفرت القيادة الحازمة من موقع قيادة واحد فقط . فان تعدد الاوامر يؤدى الى نتائج نسبة نجاحها ٥٠ ــ فقط . . . . . . . . . . . . . » وكان هذا امعانا في توضيح الامور الا أن الغيرة بين القوات العاملة ونظام الجيوش الخاصة التى تدين بالولاء لجورنج وهملر . . . . . . الخ . . . . . . . كانت احد الاسباب الرئيسية في هزيمة المانيا .

وبالاضافة الى ذلك فان حقيقة عدم ايمان راندستد بتوحيد الدفاع والذى كان يشاركه فيه بقية قيادة الجيش وميله الى اسقاط اى شيء يقوم به روميل من الاعتبار ، قد وصل الى القادة المرؤوسين . وفي ٢٢ أبريل كتب روميل متأخرا ليقول : « ان رحلتى التفتيشية للقطاعات الساحلية . . . . . . . . . . تبين ان هناك تقدما غير عادى قد تم . . . . . . . . . . . . وعلى ذلك فقد لاحظت من مكان لاخر بعض الوحدات التى لا تتصف بالجدية التى يمليها الموقف الراهن . كما أن هناك البعض الاخر لا

يستمعون ولا يمتثلون الى التعليمات . وهناك تقارير عن حالات كانت أوامرى فيها تنص على أنه يجب ان تكون جميع حقول الالغام على الساحل في حالة نشطة في جميع الاوقات ولم تنفذ هذه الاوامر . بل على العكس فقد اعطى احد قادة الوحدات الصغيرة امرا يناقض ذلك تماما . في حالات أخرى تؤجل فيها اوامرى الى اوقات تالية. وتقول التقارير الواردة : من بعض القطاعات بأنهم سيقومون بمحاولة وضع احد اوامرى موضع التنفيذ وأنهم سيبدأون في تنفيذ ذلك في اليوم التالى . وكانت بعض الوحدات تعلم أوامرى لكنها لم تقم بأية استعدادات لتنفيذها . وأنا اعطى أوامرى في حالة الضرورة فقط . وانى اتوقع تنفيذها في الحال وبكل دقة والا تقوم أية وحدة تحت قيادتى بتغيير هذه الاوامر ، ومع ذلك فان مرؤسى يعطون اوامرهم بالنقيض أو بتأخير التنفيذ من خلال اوامر روتينية غير ضرورية .

ولا بد أن روميل قد افتقد الاستعداد الفورى لطاعة قوات الفيلق الافريقى. ففى الصحراء لم يكن له ان يعطى اوامره مرتين .

وقد كان نقص الغطاء الجوى ونقص الحماس على الارض من أكبر العوائق في سباقه ضد الوقت . فبالنسبة للامر الاول فقد كان روميل معتادا عليه . أما بالنسبة للامر الثانى ، فلم يكن هناك أفضل منه في اثارة الروح المعنوية للقوات – الفائزة المتعبة . فقد استطاع مثل سارى شراع السفينة ( يثير الحماس حتى في الكلب الكسول(. وقد قال اللواء البحرى روج ، « لقد كانت له البراعة في التعامل مع الرجال والتحدث معهم ، مثل كثير منا من الذين كانوا ضباطا صغارا في سنة ١٩١٨ فقد أرسى بعض أسس التفكير العميق بعد الثورة عن العلاقات بين الضباط والجنود . وهذا هو أحد الاسباب ، على ما اعتقد في سبق احتفاظ جيشنا واسطولنا بالنظام لفترة طويلة بهذا الشكل تحت ظروف بمثل هذه الصعوبة . فعندما ذهبنا في هذا الوقت في فرنسا فانه كان يتحدث بلا حرج ت وبغير كلفة الى جميع الرتب . وكان يشرح افكاره لهم بصبر وبطريقة واضحة . وكان ينقل اليهم ما يود ان يقوموا به بالضبط . وبالطبع ، فقد كان يستمع له لما كان له من احساس كبير بالذوق العام ناهيك عن سمعته الشخصية كما كان يتمتع بروح المرح الهادىء وميله للحديث عن المواقف البشرية الناجمة عن نقص تدريب هيئة الضباط . عندها تسرى روح جديدة في القوات ويبدأ العمل في الاستعدادات لمقاومة الغزو » .

وعلى الجانب الاخر من القتال كان الجنرال مونتجمرى بنفس النمط المؤثر المباشر البسيط الى قواته الذين كان يتعين عليهم تنفيذ اوامره والى عمال المصانع الذين كان يتعين عليهم الاستمرار في عملية امداداتهم .

ولم تكن لتلك الاحاديث اى أثر عند القيادة العليا في أى من الحالتين فكلا القادة على الجانبين كانا مهتمين بالتطلع الى صنع الامجاد الشخصية . ويقول مورهيد ان الصحف البريطانية كانت تشجع على شن ( هجوم بطيء ) على مونتجمرى واذا ما ما رجعنا الى صيف ١٩٤١م وجدنا أن المختصين بالدعاية للجيش قد القيت اليهم التعليمات بواسطة الجنرال هولدر على ما يبدو بالا يرفعوا من شأن روم وقد رفض السماح للبارون فون اسبيك باللحاق به في شمال أفريقيا . وأصبح اعداء روم في المراكز العليا في مأزق . فعليهم أن يستثمروا حائط الاطلنطى لاقصى درجة حتى ولو لاخافة الحلفاء فقط . ولم يكن بامكانهم الاعلان عن هذا او عن العمل يجرى دون الاعلان عن الرجل المسئول في نفس الوقت. ولهذا فقد كانوا يرضون أنفسهم بان يصفوه في المجالس الخاصة بانه دجال ومن ذوى السمعة السيئة . كما اضافوا بأنه لم يكن في حالته الطبيعية المعروفة منذ معرفته في شمال أفريقيا . وقد أدرك روم في ذلك الحين مثلما أدرك مونتجمرى بان الدعاية باستغلال شخصيته كانت مجرد سلاح آخر . فقد قال لكبير مصوريه « يمكنك أن تفعل كل ما يحلو لك معى ، اذا ما كان ذلك يعنى تأجيل الغزو ولو لمدة اسبوع » . ويقول اللواء البحرى روج انه ظل متواضعا وغير مدع في السر . ولم يكن رجلا مغرورا مزهوا بنفسه ولم تكن عنده أى رغبة في الزج بنفسه الى الامام .

واستطاع روم ان يتجاهل الاحقاد الشخصية : اما عدم توافر الامدادات العسكرية المطلوبة فقد كانت عائقا لم يستطع ان يتغلب عليه . ففى تلك الفترة كانت كميات هائلة من الحديد والخرسانة قد استهلكت لبناء مخابىء للغواصات ومواقع اطلاق صواريخ اف ١ ، اف ٢ . وكانت هذه الغواصات الجديدة وهذا السلاح السرى هى أحدث وسيلة لهتلر في كسب الحرب ولو لم تتعطل زمنيا لتمكن بها من اطالة فترة الحرب لفترة غير معلومة على الاقل ان لم يستطع بها ان يكسب هذه الحرب. وربما كان لهذه الاسلحة الاولية في الاطلاق والعمل على المواقع الدفاعية . وكان على روم بناءا على ذلك ان يستغل ما تحت يديه من أسلحة وربما اعطى هتلر موافقته ، وقد قام بهذا بالفعل على أنه يجب ان توضع بطاريات المواقع الدفاعية الساحلية في مواقع خرسانية او ، على بعد ستة اقدام على الاقل من السقف الخرسانى . ومع ذلك فبالرغم من ان روم قد اعطى الامر بذلك فانه لم يستطع ان يحصل على المادة الخرسانية ويرجع ذلك ببساطة الى أنه لم يكن هناك ما يكفى في المناطق المجاورة . فعندما بدأ الغزو كانت عديد من البطاريات بلا غطاء على الاطلاق وبالتالى فقد دمرت بسرعة من الجو.

وبالرغم من ذلك فقد استطاع روممل ان يقوم باعباء غير عادية مذهلة كما اظهر في هذا المجال الجديد موهبته الأصلية على الارتجال . ففى مدى شهور قليلة وبرغم عوائق الامدادات . وصعوبة النقل واستمرار الغارات الجوية غرب النهاية نجح في أن يزرع اربعة ملايين لغم في مقابل ما يقل عن مليونين لغم في الثلاث سنوات السابقة . واقترح ان يزرع من خمسين الى مائة مليون اذا ما اعطى الوقت الكافي كما أنه بعد ان يتمكن من أن يسور جميع النقاط القوية بحقول الالغام العميقة ، أن يملأ فرنسا فيما بين هذه النقاط القوية الالغام اينما وجدت اية ( عربة مدرعة ). وماذا يمكن أن يكون الرد اذا ما استطاع ان يحول كل فرنسا على هذا النحو الى حقول شاسعة من الالغام ؟ . فبالرغم من أن هذه النقطة قد خطرت لاحد القادة الكبار واحد الدارسين للحرب وهو الفريق السير فرانسيز توكو فان هذه النقطة لم تثر في مؤتمر المشير مونتجمرى الذى عقد بعد الحرب في كامبرلى في مايو سنة ١٩٤٦م. وربما كانت هذه الفكرة لتذهل اللواء باتون .

ولان الالغام مثل اى شيء آخر كانت قليلة فلم تكن تقام على الشكل التقليدى وكان روممل يغير على مستودعات الذخيرة وأماكن صناعة الاسلحة حيث اكتشف مخزونها من مئات الالاف من القذائف القديمة . فاستطاع تحويلها الى الغام ، كما فعل اليابانيون ، على شكل بدائى في بورما وحسب النظام اليابانى في الالغام ( فقد جلس احد الافراد سيء الحظ مع قذيفته في حفرة في الطريق حيث كان عليه ان ينزع فتيلتها عند عبور احدى الدبابات عليه ) . كما لم تكن حقول الالغام تزرع بالنمط التقليدى . وكانت فكرة روممل هى استخدام الالغام على هيئات مختلفة كلما أمكن ذلك . فقد قال اللواء روج « انه هنا كان عليه ان يقاتل معارك عدة ضد المهندسين ، وكانوا يريدون وضع الغامهم بجانب كتابه حيث كان يسعى الى بعض الراحة » وقد كان كل من روج وروممل بالفعل يقومان بدراسة مقارنة لفنون زرع الالغام على الشاطيء وفي مياه البحر عندما باغتهم الغزو .

وقد أثرت عقلية روممل المتفتحة كثيرا على عقلية مستشاره البحرى » فلم يكن جنديا تقليديا وعلى عكس كثير من القادة كان يهتم بالامور الفنية كثيرا . وكان يلحظ نقاط أى تجديد من أى نوع في آية آلة بمنتهى السرعة . واذا ما اوحى اليه أحدهم بأية فكرة في المساء مثلا فما كاد يأتى الصباح حتى يتصل بالهاتف ليقترح عليها تعديلا جديدا . فقد كان يتمتع بنزعة ميكانيكية قوية وكانت كل ارائه واقتراحاته سليمة في هذا الخصوص « وفي كثير من الاجهزة التى ارتجلت لكى تجعل من نزولنا على البر أمرا صعبا ، يمكن للمرء أن يرى آثار الضابط الصغير الذى كان يفك اجزاء

دراجته البخارية ثم يقوم بتجميعها مرة أخرى . ، مثلما يمكن للمرء أن يرى من خلال الخدع والحيل المستخدمه العدو الماكر الذى عرفناه في شمال أفريقيا .

ومن بين هذه « الاجهزة » على سبيل المثال بعض العقود التى كانت ملقاه على الشواطىء تحت المياه الضحلة ، بعضها كانت تتصل به بعض الالغام على السطح، وبعضها كان يتصل ببعض القواطع الحديدية التى يبدو على شكل « فتاحات العلب ». كما كانت هناك بعض الالغام على هيئة كسارات البندق مصنوعة من كتل الخرسانة وكانت هناك كتل خشبية ملغمة على بعض المنحدرات المتجهة ناحية البحر . كما كانت هناك عوائق الدبابات المهملة والتى تتركب من ثلاثة قضبان حديدية ذات زوايا قائمة ، والتى اصبحت غير ذات جدوى ضد الدبابات الا انها حسبما أشار روميل كان يمكن أن تقوم باعاقة المشاه اذا ما وضعت تحت علامة المياه المرتفعة . كما كانت هناك بعض الالغام البحرية الموجودة في أعماق المياه الضحلة . ولها خيوط طافية تتصل بصمام التفجير . وعلى الشواطىء كانت تغرس بعض الاعمدة في الحقول الخالية وتلغم هذه الاعمدة ببعض الاسلاك من الاجزاء العلوية لاعاقة الاجزاء العلوية لاعاقة هبوط الطائرات . ومع ذلك فان كثير من تلك الحيل لم تكن قد تمت في السادس من يونيو بسبب صعوبة الامدادات وصعوبة النقل وصعوبة تنفيذها .

ومن بين تلك الخدع كانت هناك بالطبع حقول الالغام الكاذبة بالرغم من أن روميل كثيرا ما كان يشكو من انها لن تكون مقنعة بالنسبة للاستطلاع اذا ما كان يسمح للمواشى بالرعى عليها . وكانت هناك كثير من بطاريات المدفعية الزائفة أيضا التى دمرتها القنابل بالفعل . كما أن هناك التمويه العادى بالرغم من أن روميل كان عليه أن يبين هنا مرة أخرى انه ليس من المفيد التمويه على مواقع البطاريات بوضعها في حقل أخضر تغطيها شباك سوداء . كما كانت هناك ترتيبات لعمل بعض الادخنة لتغيير المواقع من القش وأوراق الشجر ، حيث أن أجهزة اثارة الادخنة الحقيقية كانت قليلة جدا . وكانت الاوامر تعطى الى القادة المشاه والمدفعية للاستعداد لاطلاق النيران على البطاريات الكاذبة وعلى الهياكل الكاذبة وعلى الخنادق خلف الخطوط وذلك لتشتيت نيران العدو وابعادها عن الشواطىء . ولكن في الثانى والعشرين من أبريل ، » لم تكن قد وصلت أى تقارير من أى أمكنة لتفيد بان هذه الترتيبات قد تم تنفيذها » .

وكأجراء أولى عندما اقترب موعد الغزو كان روميل يتطلع الى استعمال مدافع اف واحد ضد مناطق تمركز القوات البريطانية في جنوب انجلترا . الا أن امره قد رفض بالرغم مى أن كثير من المواقع كانت معدة لذلك ، لانه لم يكن هناك من أف واحد

للسماح باستمرار اطلاق النيران . وربما كان الوقت قد تأخر . الا أنه لمن المثير ان ندون ما قاله الجنرال ايزنهاور بانه لو كان الالمان قد نجحوا في اتمام اسلحتهم في وقت مبكر لفترة تصل الى حوالى ستة أشهر ولو كانت هذه الاسلحة قد استخدمت بصفة أساسية ضد منطقة بورتس مادس وسوسى هامتون لاصبح غزو اوربا صعبا للغاية وربما كان مستحيلا . »

وعلى نحو مشابه اراد روميل أن يقوم الاسطول بتلغيم القنوات الملاحية كما اراد ان تسقطت طائرات اللوفت وافي صناديق الالغام الجديدة التى تعمل بالضغط حول جزيرة وايت . واعترض الاسطول على وضع الالغام بالقرب من الشاطىء ولم يسمح الفوهرر باستعمال صناديق الالغام بالضغط لانه لم تكن قد عرفت طريقة كسح الالغام . كما أنه ربما يتمكن الحلفاء من وضع الغام مماثلة ثم « يدمر موانينا تماما » . ( ومن المحتمل انه كان يفكر في غواصاته الجديدة .

ومع ذلك فقد كان الصراع الحقيقى للاراء هو السؤال الكبير كيف يمكن مقاومة الغزو ولم يكن لدى روميل أية شكوك وعلى ما يبدو . فقد قال ، « لابد لنا أن نوقف العدو وهو لا يزال في الماء ، وندمر معداته اثناء طفوها في الماء . وكان من رأيه أن الاربع والعشرين ساعة الاولى ستكون هى الساعات الحاسمة فاذا ما تمكن الحلفاء من اقامة رأس جسر سيستحيل علينا دفعهم الى البحر مرة أخرى او منعهم من اختراق خطوطنا . وكان يبنى اعتقاده هذا بصفة اساسية على عامل التفوق الجوى.» « فلم يكن قد نسى كيف ان القوات الجوية الملكية قد ثبتته هو وجيشه المكون من ثمانية الاف رجل الى الارض لمدة يومين او ثلاثة أيام في شمال أفريقيا » فان القوات الجوية التى من المحتمل ان تصاحب القوات الغازية ستكون من القوة بالقدر الذى لا يضاهى . أما بالنسبة لطائرات اللوفت وافي فربما تطلق عليها النيران لاسقاطها كما أنه كان يعتقد بأن التعزيزات التى وعد بها جورنج ، مثل الامدادات بالنسبة لشمال أفريقيا ، فهى لن تظهر على الاطلاق . كما ان حركة المرور على الطرق وبالنسبة للسكك الحديدية يمكن ان تتوقف تماما اما التحرك في المناطق الخلفية فسيصبح مستحيلا. ولهذا فلا فائدة من القيام بالهجمات المضادة التقليدية على المستوى الكبير : فان القوات لن تتمكن من النهوض للقيام بذلك او ربما تصل على نحو مشتت او ربما يصلوا متأخرين . فاذا ما صحت كل هذه التكهنات فان خط المقاومة الرئيسى سيكون هو الشاطىء . كما يجب على كل فرد بالفرق المتقدمة ان يكون مستعدا اذا ما حاول العدو النزول على الجزء المواجه له في الساحل . كما يجب ان تكون كل القوات الاحتياطية ومقار القيادة وفرق الخدمات خلف القوات المقاتلة مباشرة.

كما يجب على المدرعات ان تكون على مقربة كي يمكن لمدفعية الدبابات تتحمل كل العمل في فترة وجودها على الشواطىء . واذا ما تحطم هذا الحزام القوى للمقاومة فسوف يتمكن على الاقل من ايقاف الغزاة لفترة ما وبذا تكون هجمتهم محدودة .

وتبنت قيادة الجيش والقائد العام للمنطقة الغربية وهيئة قيادته ومعظم الجيش الفيالق وقادة الفرق وجهة النظر الاكثر الفة . وكان هذا للدفاع عن الخط الساحلى الممتد لمسافة ثلاثة الاف ميل ، وذلك بتسع وخمسين فرقة فقط معظمهم من المرتبة الثانية ومنهم عشر فقط من المدرعات . التى يحسن بها الدفاع عن بقية الفرق ، والجميع لم يتأكد لهم مكان النزول الرئيسى للقوات كما كان من غير المجدى التفكير في منع قوات الحلفاء من وضع اقدامهم فوق علامة المياه العالية . وكان المنهج او الطريقة الصحيحة الوحيدة هى المحافظة على القوات الاحتياطية ، بما فيهم من مدرعات ، خلف القوات بمسافة للانتظارحتى يمكن التعرف على القوة الرئيسية بصفة مؤكدة ثم يقوم بهجمة مضادة على نطاق كبير في اللحظة المناسبة . ويمكن ان يتم كل ذلك عندما يصبح الغزاة على الشاطىء قبل لحظة تجمعهم . ويمكن ان يكون الهجوم عندما يكونوا قد تحركوا من رأس جسرهم ويصبحوا في حالة انعدام الوزن لفترة قصيرة. وبذا وجد فون راندستد مبررا كى يعتقد انه قائد كفؤ وجيدا في اختيار وقت الهجوم حسب الظروف .

أما بالنسبة لرومل يمكن القول بأنه ثبتت صحة توقعه لقوة تأثير القوات الجوية للحلفاء . فقد تبين للقوات أنها يمكن أن تتحرك خلف الجبهة بصعوبة بالغة ثم يعبرون بالعرض ، في فترة سكون الليل وفي تشكيلات صغيرة . وقد أخذت احدى الفرق اثنين وعشرين يوما لتغطى مسافة اربعمائة ميل من جنوب فرنسا حتى نورماندى وكان عليها ان تقطع هذه المسافة سيرا على الاقدام وقد استغرق الجنرال بايرلين ، وهو آمر الفرقة بانزر الحديثة اكثر من ثلاثة أيام كى يقطع مسافة تسعين ميلا جنوب كان فقد فيها خمس دبابات ومائة وثلاثين عربة وعديد من المدافع الالية قبل ان يتعامل مع العدو ، بالرغم من أنه كان قد زود – بالمدفعية المضادة للطائرات كما كان قد درب فرقته على استخدام التغطية والتمويه . وفي فاليز كانت الطرق والمرتفعات والحقول ملأى بالمعدات المحطمة بجثث القتلى والحيوانات ويقول الجنرال ايزنهاور أنه كان من الممكن مجازا ان نسير لمسافة مئات من الياردات دون توقف لا نخطوا على شيء سوى الموتى واللحوم المتعفنة .

ومن الناحية الاخرى يمكن اتهام رومل بانه قد بالغ في تقدير فرص تدعيم حائط الاطلنطى . فلم يكن من المفيد ان يقال ، في نهاية أبريل « أنه يجب علينا في الوقت

القصير المتبقى ان نجعل كل مواقعنا الدفاعية تضبح في المستوى الذى يصد أقوى الهجمات « وقد كان ينبغى له ان يتولى تلك المسئوليات قبل ذلك بعامين كى يصل الى هذا على أن يكون في حوزته المعدات والرجال اللا زمين وحتى لو تم ذلك فلن يكون هناك ما يسمى بالحزام الدفاعى « اى المانع ضد أقوى الهجمات » . وقد كان ذلك درسا ساعد هو والفرقة الشبح » على تلقينه في عام ١٩٤٥م. وكما حدث فلم تتم من قواته الدفاعية حتى ربعها كما لم تكن لديه اى ثقة في الرجال اللذين كان يقودهم . فقد كان بعضهم من المرضى الناقهين على الجبهة الشرقية والبعض الاخر كان من الشباب عديمى الخبرة بالمعارك ، من بقايا البولنديين والرومانيين واليوغسلاف والروس العائدين للخدمة ، ولم يكن من المحتمل ان يقفوا على مثل هذا الساحل ويتحملوا الغارات الجوية التى سبق وأن تحدث عنها روملى . وقد كان من الممكن ان تصل شهرته كمخطط حربى الى الافاق العليا اذا ماكان قد ايد اقتراح فون راندستد بالجلاء عن كل جنوب فرنسا حتى نهر اللوار قبل الغزو . ولو كان ذلك قد تم لكان قد حارب آخر المعارك التحركية الذى كان فيها من الاساتذة .الا ان مثل هذه الخطة على قدر ما كان لديه من معلومات كان قد وقع عليها الحكم مسبقا . وقد كانت مهمة توصيل افكار الانسحاب الى الفوهرر اصعب من الدفاع عن حائط الاطلنطى . ومع ذلك ، كما سنرى في الفصل التالى فلا يمكن ان نحكم حكما تاما على كل ما قاله وما بدا أنه كان يعتقده في تلك الفترة .

ولم يكن لدى الجنرال مونتجمرى اى شك فيما سيقوم به روملى . وكان تحليله لخطط منافسه العجوز كما كان تحليله لشخصيته من الروائع . فقد قال في شهر مايو « لقد تولى روملى القيادة من بولندا الى نهر اللوار في فبراير الماضى . . . . ومن الواضح الان انه ينوى هزيمتنا على الشواطئ. . . . . . . . . وانه لقائد نشيط ذو اصرار عجيب ، فقد قام بتغيير كل شئ منذ توليه القيادة . وأنه يصبح في أوج عظمته في الهجمة التى يسعى الى الغنائم من ورائها ، وان موطن قوته هى اثارة الفوضى. ، ويكون في منتهى التهور في مثل هذه المعارك وأنه سيبذل اقصى ما في وسعه لكى يعيد معنا ما حدث في دانكرك . بمعنى الا يحارب معركة المدرعات بمحض اختياره ولكن ليتجنبها كلية ويمنع نزول دباباتنا بان يتقدم هو بدباباته . وفي اليوم ( س ) سيحاول ( أ ) ان يبعدنا عن الشواطئ ( ب ) أن يحمى ويضمن سلامة كان وريبو وكارنتين. وبعد ذلك سيستأنف هجماته المضادة . . . . . . . . . . وعلينا ان نشق طريقنا للشاطئ لنجد مكانا مناسبا للتمركز عليه قبل ان يأتى احتياطيه فيغيروا علينا ويطردوننا . وعلى طوابير المدرعات ان تدخل متسللة على وجه السرعة على ارض اليابس . . . . . .

وعلينا ان نحتل مساحات كبيرة بسرعة ، ونقضى على كل المواقع داخل الارض اليابسة . . . . . . . . . . وبينما نحن مشغولون في ذلك يجب على القوات الجوية ان تمسك بزمام الامور وان تجعل تحريك العدو لقواته الاحتياطية سواء بالقطار او بالطريق البرى في اتجاه منطقة تواجدنا امرا صعبا للغاية . ان معركة البر ستكون رهيبة وستكون في حاجة الى الدعم الجوى والهجوم السريع طوال الوقت »

وقد حدث ما توقعه كل من الرجلين ، فبالفعل قام رومل بمحاولة ان يعيد ما حدث لنا في دانكرك وأخذت القوات الجوية بزمام الموقف . وكانت الساعات الاربع والعشرين الاولى هى الساعات الحاسمة فبمجرد ان تمكنت قوات الحلفاء من
الاربع والعشرين الاولى هى الساعات الحاسمة فبمجرد ان تمكنت قوات الحلفاء من
تأمين رؤوس جسورهم كانوا على وشك ان يرتدوا مرة أخرى الى البحر بسبب احد الاخطاء الكبيرة الذى وقعوا فيه . فهل كان بالامكان لفون راندستد ان يملك فرصة خير من هذه لهزيمتهم في حرب مكشوفة عندما خرجوا من البحر ؟ الا ان ذلك لم يكن ميسرا في مواجهة القوات وامام التفوق الجوى للحلفاء . كما لم يكن الجنرال مونتجمرى ليعطيه الفرصة في اصطياده وهو في حالة « انعدام الوزن » وقد تأكد لنا التقدم رغم انه كان بطيئا .

وفي الواقع ان خطط مقاومة الغزو لم توضع موضع الاختبار حيث لم تكن لفون راندستد او لرومل الحرية في أن يفعلوا ما يريدون . ولان هتلر ، ان لم يكن قد استلهم ذلك بنفسه ، قد ايد رومل في اعتقاده بان الشواطئ يجب أن تكون خط المقاومة الاساسى فلم يتمكن فون راندستد من تشكيل جيش مناورات ولم يتمكن رومل على الفور من تركيز قوة مدرعة قوية خلف الشواطئ النورماندية ، حيث كان يتوقع الانزال في هذه المنطقة لان فون راندستد على ما كان يشعر به هتلر وما يعتقده رومل ، قد تبنى وجهة النظر التقليدية بأن عملية الانزال الرئيسية ستتم في منطقة كاليه ، وهى أقرب موقع لانجلترا وهى الطريق المباشر الى الروهر ولم يكن تحت تصرفه على طول الجبهة من الشيلدت حتى اللوار سوى ثلاث فرق مدرعة ضعيفة فقط . اما الباقى فكانت عبارة عن قوات احتياطية تحت قيادة القائد العام للمنطقة الغربية بصفة شخصية. ولم يكن باستطاعة القائد العام نفسه ان يحركهم دون اذن من كيتل ، وجودل ، هتلر اللذين كانوا يحضرون متأخرين كعادتهم وقد كان لدى رومل في المنطقة الامامية في نورماندى فرقته البانزر الواحد والعشرين القديمة ، التى اعيد تشكيلها بمجموعة قليلة من الشخصيات التى كان يعرفها فيما سبق . وحسب ما جاء على لسان فون اسبيك فقد انتقلت قيادة هذه القوات من تحت امرته الى مجموعة الفرق البانزر التابعة

لفون راندستد بينما كان بعيدا في مقابلة لهتلر في اليوم السابق على الغزو . فجددها واستطاع ان يستفيد من كل مميزاتها ، لان تلك كانت الفرقة التى حالت دون وقوع مدينة كان في الاسر في اليوم الاول للمعركة . الا ان رومل لم يشعر سواء كان ذلك صوابا ام خطأ ، ان قائدها وهوالفريق فوشتنجر قد قادها بنفس شجاعة فون رافنستين ايام عمله بالصحراء . ويقول فون اسبيك انه عندما وصل الى جبهة القتال وجدها قد وقعت في أيدى القوات المحمولة جوا . عندها سأل روممل ، « كم كانت الطائرات الشراعية التى توجد هناك ؟ فأجاب فوشتنجر « مئات ومئات » فسأل روممل » كم من هذه الطائرات قد استطعت اسقاطها ؟ « فرد الاخر » ثلاث او أربع » عندها قال روممل ، « لقد ضيعت فرصتك » وقد اشتكى فوشتنجر من جانبه بأنه لم يتلق أى أوامر من أية جهة حتى عودة روممل ، كما أنه كان قد منع من التحرك دون أية أوامر .

وكما حدث في أفريقيا ، كانت جريمة القيادات العليا الالمانية أنها « بسيطة جدا ومتأخرة جدا » فقبل الغزو بعدة أسابيع كان روممل قد طلب الاذن بنقل الفرقة بانزر الخاصة الثانية عشر ، الى مصب نهر فير بالقرب من كارنتان . وكان الامريكان قد نزلوا قرب كارنتان . وكانت كارنتان من احد ثلاث نقاط التى تنبأ الجنرال مونتجمرى بأن روممل سيقوم بالاستيلاء عليها وتأمين حمايتها . فما أن نزلت الفرقة الى كان حتى بدأت تقاتل بشراسة تحت قيادة قائدها النازى المتعصب كيرت ماير . وربما أنها لم تستطع ايقاف عمليات الانزال الا ان هذه هى الطريقة التى خطط لها روممل لمنع الانزال ورفض فون راندستد ان يعطى الفرقة لروممل . ومع ذلك فلم يكن فون راندستد هو الملام على ذلك . فلم يكن باستطاعته أن يحرك الفرقة دون اذن مسبق من جودل كما لم يكن لجودل ان يحركها إلا بأذن من هتلر ؛ ولا يمكن لاى قائد أن يسيطر على أية حركة في مثل هذه الظروف .

وبعد أن تأكد تأمين رأس الجسر وجد كل من روممل وفون راندستد نفسيهما لاول مرة على وفاق تام . وقد رد فون راندستد على النقيب لدل هارت بعد ذلك بوقت طويل على سؤاله اذا ما كانت لديه أية آمال في أن يتمكن من صد الغزو في أى وقت بعد عملية الانزال قائلا : « ليس الا بعد الايام الاولى . فان القوات الجوية للحلفاء تشل كل التحرك أثناء النهار وتجعل التحرك صعبا اثناء الليل . فلقد دمروا الكبارى التى على نهر اللوار كما دمروا تلك التى على نهر السين . فأسكتو المنطقة بأسرها . وهذه العوامل قد عطلت تركيز قوات الاحتياطى هناك بدرجة كبيرة — فأصبحت تستغرق وقتا مضاعفا ثلاثا او اربع مرات عن الوقت الذى حددناه نحن

للوصول الى جبهة القتال » . وكلمة « نحن » هذه لم تكن تشمل روميل ، الذى تبين صدق تنبؤاته بالنسبة لضربات العدو وان لم يتبين حتى الان مدى صحة الرد الذى ينبغي القيام به ضد الاعداء . وقد رويت قصة بواسطة الجنرال بلمنترت وهو رئيس اركان فون راندستد الى مؤلف كتاب « الهزيمة في الغرب » ومضمونها هى كيف ان الجنرال كيتل قد اتصل تليفونيا بفون راندستد وسأله قرب نهاية الشهر وهو في حالة يأس شديد « ماذا سنفعل ؟ » فرد عليه فون راندستد دون أى تأثر « نفعل ؟ بالطبع سنعقد السلام أيها الابله ، فماذا غير ذلك يمكن أن نقوم به ؟ ثم أغلق سماعة التليفون. ويحكى اللواء البحرى روج بأن روميل قد اخبره قبل ذلك بفترة طويلة ان الحرب يجب ان تنتهى مهما كانت التكاليف. فقد قال » من الافضل ان تنتهى هذه الحرب الان . حتى ولو كان هذا يعنى ان نعيش في دولة تابعة لممتلكات بريطانيا فهو افضل من ان نرى المانيا قد دمرت عن آخرها اذا ما استمرت في هذه الحرب اليائسة « . . . . . وفي الحادى عشر من يونيو تحدثنا لقرابة ساعتين . فقلت ان من رأى انه يجب على هتلر أن يتنحى ليفتح الطريق الى السلام . أما البديل لذلك ان لم يرضى به فعليه ان ينتحر . فرد على روميل قائلا « انى اعرف ذلك الرجل . انه لن يتنحى كما انه لن يقتل نفسه . انه سيحارب دون ادنى اهتمام بالشعب الالمانى ، حتى لا يظل هناك منزل قائم في المانيا . . وكانت تقارير روميل الى حد ما اكثر تخوفا . ففى الثانى عشر من يونيو . أرسل تقريرا عن الوضع القائم في اليوم السابق . وبعد ان اشار اشارته التقليدية الى المقاومة المستميتة للقوات الالمانيه على القطاعات الساحلية التى أمكن بها تعطيل الحلفاء – استرسل في مسحة من التشاؤم الشديد فكتب يقول :.

« ان قوة العدو على الارض تتزايد بسرعة اكثر من امكانية وصول القوات الاحتياطية لنا الى جبهة القتال . . . . . . وعلى فرق الجيش ان ترضى بالنسبة للوقت الحاضر بتشكيل جبهة قوية بين الورن والفير على ان نسمح للعدو بالتقدم . . . . . . . . فانه من المستحيل ان نترك القوات مستمرة في المقاومة في اماكن متعددة على الساحل . . . . . . . . . وأن عملياتنا في نورماندى ستصبح صعبة للغاية وربما مستحيلة بشكل ما بسبب التفوق الشامل والغير عادى في بعض الاحيان للقوات الجوية التابعة للحلفاء وبسبب مدفعية القوات البحرية الثقيلة . . . . . . . . . . وكما سبق ان بينت وكررت انا وهيئة قيادتى من الضباط وقادة الوحدات وبصفة خاصة سب ديترتش ، بان العدو قد سيطر تماما على أرض المعركة حتى مسافة ستة أميال خلف جبهة القتال وان جميع وسائل النقل على الطرق وفي الاراضى الحالية مغلقة اثناء النهار بسبب القاذفات المقاتلة القوية وبسبب تشكيلات القاذفات . كما ان كل تحركات قواتنا في الارض

المعركة قد توقفت تقريبا اثناء النهار ، بينما يمكن للعدو ان يتحرك كيفما شاء . . .
ومن الصعب أن نأتى بالذخائر او بالغذاء . . . . . . . . وما تكاد المدفعية تحتل الموقع
وتنتشر الدبابات . . . . . . . . الخ . . . . . . . . . حتى يمطروننا بوابل من القذائف
المدمرة . . . . . . . . . . . . وكثيرا ما تضطر القوات بل وهيئات القيادة الى الاختباء
اثناء النهار. . . . . . . . . . . . . ولم تستطع المدفعية المضادة للطائرات الخاصة
بنا كما لم تنجح طائرات اللوفت واف ان تتعقب العمليات المدمرة ومتعرجة المسار
لقوات العدو الجوية . . . وأن تأثير المدفعية البحرية الثقيلة من القوة لدرجة ان عمليات
المشاه او تشكيلات البانزر . التى تتم تحت قيادتها في المنطقة أصبحت مستحيلة . . . . .
وأن المعدات المادية للانجلو اميركان ، والتى تتميز بتعدد أسلحتها وفعاليتها القتالية
أكثر تفوقا من كل معدات فرقتنا .وكما اخبرنى سب ديترتش فان فرق العدو المدرعة
تتحمل أعباء المعركة حيث تجعلها تتقدم لمسافة ٣٥٠٠ ياردة مكلفة بنقل اكبر كمية
من الذخيرة تدعمها قوات العدو الجوية بشكل يثير الدهشة . . . . . . . . كما ان القوات
المظلية والقوات المحمولة جوا تعمل باعداد كبيرة وبشكل مؤثر لدرجة ان القوات
المهاجمة تصبح أمام مهمة صعبة اذا ما أرادت – الدفاع عن نفسها . . . . ولن تستطيع
طائرات اللوفت واف لسوء الحظ أن تتعامل ضد هذه التشكيلات – كما كان مخططا
لذلك من قبل . وبما أن العدو يمكنه ان يصيب كل تشكيلاتنا عن طريق قواته الجويه
أثناء النهار . بينما يقوم بعمليات عن طريق القوات سريعة الحركة والقوات المحمولة
جوا . فان موقفنا يصبح صعبا للغاية .

« انى لارجو اخطار الفوهرر قبل ذلك .

« روميل »

واذا تصور روميل بأن الفوهرر يمكن ان يقبل وجهة النظر « الانهزامية » هذه
اذا ما رجع الى سب ديترش وهو من رجال النازى المفضلين لدى هتلر فانه قد وقع
في خطأ كبير . ففى السابع عشر من يونيو استطاع فون راندستد ان يقنع هتلر بأن
يأتى الى أحد المؤتمرات في مارجينال بالقرب من سويسونز وقد عقد في مقر القيادة
الذى شيد في عام ١٩٤٠ والذى قام هتلر بنفسه بالاشراف على عملية غزو بريطانيا
منه . وأخذ فون راندستد روميل معه الى هذا الاجتماع وتحدث المشيران بصراحة
ووضعا امام هتلر بما لا يدعو مجالا للشك كما كان يدور بخلدهم بشأن مسألة القاء
النازيين مرة أخرى في عرض البحر . وكان أكثر ما يمكن الوصول اليه هو الامل
الوحيد في منع تقدم الغزو هو الانسحاب خلف اورن ثم يستمر خط الانسحاب حتى
جرانفيل في الجانب الغربى من شبه جزيرة الكونتنيش . وهذا الخط الذى يمر

موركارح وهى منطقة مليئة بالاعشاب في الشرق ثم تمر بالتلال كثيفة الاشجار والتى يمكن ان تتحملها قوات المشاه . . . ويمكن لبقية المدرعات ان يعاد تشكيلها والاحتفاظ بها كقوات احتياطية . وكان رد رومل التقليدى هو « لا تراجع — و لا انسحاب» .
وزاد الجوتوترا بين رومل والفوهرر عندما احتج عليه ضد « حادثة » اد وارد ورسيرجلاد ، والتى وقعت قبل ذلك باسبوع . وهنا كانت لدى فرقة القوات الخاصة الرغبة في الثأر لقتل أحد الضباط الالمان فقاموا بطرد النساء والاطفال من الكنائس ثم أشعلوا النيران في القرية وعندما ظهر الرجال والاولاد من بين النيران قاموا بحصرهم بالمدافع الرشاشة . ثم نسفوا الكنيسة وحوالى ٦٠٠ امرأة وطفل كانوا بداخل الكنيسة ولسوء الحظ أنهم اعترفوا بأنه كانت هناك قريتين تحمل اسم ادوارد وأنهم قد قاموا بالقضاء على القرية الغير مقصودة . ومع ذلك استمرت عمليات الاخذ بالثأر او الانتقام وطالب رومل بالاذن لمعاقبة الفرقة فقد قال « ان مثل هذه الاعمال تأتى بالعار على العسكريين الالمانيين ، فكيف يمكن ان نندهش لقوة المقاومة الفرنسية من خلفنا عندما تقوم القوات الخاصة بتحريض كل رجل مدنى فرنسى للانضمام اليها ؟ .
وعندها اوقفه هتلر بالكلمات التالية « انه لا شأن لك بذلك ، انها خارج منطقة قيادتك ، ان مهمتك هى مقاومة الغزو ليس إلا .

وعندما تجرأ كل من فون رونشتد ورومل بالتبادل بطرق موضوع مفاتحة القوات الغربية انفض الاجتماع بسرعة وبصورة مفاجئة . كما لن تكن عبارات التوديع من القلب من كلا الجانبين على خلاف العادة . وسريعا ما أصابت مقر القيادة المدافع من طراز ف ١ . ولسوء الحظ لم تحدث اى خسائر .

وكانت تقارير رومل للاسابيع القليلة التالية أكثر واقعية . فلم يكن بها اية أراء عن المستقبل . فكان كل ما ذهب اليه هو « ان فرقة الجيش ب عليها ان تستمر في مجادلتها لمنع كل محاولات العدو في الاختراق » . وقد كان تعليقه على الخسائر التى حدثت بين السادس من يونيو والسابع من يوليو باعتبار انها ١٠٠٠٧٩ ضابط وجندى مقابل ٨٣٩٥ قد جاءوا للجبهة بدلا منهم كتعويض و ٥٣٠٣ صدر اليهم الامر بالفعل ، « ان مسألة التعويض تسبب بعض القلق بالنظر الى حجم الخسائر المتزايدة » . فقد كان « قد خدع » في الحقيقة . ففى التاسع والعشرون من يونيو استدعى رومل مع المشير رونشتد الى برشتجادن . وهناك اعلن الفوهرر ان حرب الحركة لا بد ان تتوقف بسبب تفوق القوات الجوية للعدو ووفرة عرباته ووقوده . ويجب اقامة جبهة لسد الطريق عليه في رأس جسره ويجب انهاك قواه عن طريق حرب استنزافية . ويجب استخدام كل أساليب حرب العصاباط وأضاف انه لمصلحة

رومل في مواجهة كيتل وجودل أن « كل شيء سيكون على ما يرام اذا ما أديت واجبك القتالى على أتم وجه . وعاد رومل الى مقر قيادته في لاروش جايون وهو يتمزق من الغيظ وأقام هذه الوليمة لرئيس أركانه الفريق دكتور هانس سبيدل الذى خلف جوزى في نهاية أبريل .

وحيث ان الجنرال كان عليه ان يقوم بدور اكثر اهمية ( وقد كان يقوم به بالفعل ( في حياة رومل من كونه رئيس اركانه فانه يستحق اهتماما خاصا . فهو يشبه لدرجة كبيرة بل ومدهشة وزير الدولة البريطانى لشئون الحرب آنذاك السير جيمس جريج فله نفس السمات ونفس الانف الحساسة ، فقد كان له ( وما زال ) عقلية سليمة صافية كما كانت له نفس الميول الفلسفية وربما زاد عليه وهذا ليس بغريب حيث أنه هو الطائر النادر والجندى المحترف والذى يحترف الفلسفة أيضا . فبعد ان التحق بالجيش في سنة ١٩١٤ وكان عمره سبعة عشر عاما وبعد ان خدم خلال الحرب على الجبهة الغربية في الحقبة التى رافق فيها رومل في نفس الكتيبة وبقى فيها في الفترة ما بين الحربين ، وبدأ في الدراسة في كلية أركان الحرب . وفي نفس الوقت عكف على دراسة الفلسفة والتاريخ في جامعة توبنجن فأصبح دكتورا في الفلسفة حيث منح شهادته في فبراير ١٩٢٥ ، فان لم يكن هذا الازدواج قياسيا فانه نادرا على الاقل .

وكان سبيدل كأحد ضباط الاركان بعقليته التحليلية الأكيدة وذاكرته المنظمة كان مهيأ للنجاح ، وخاصة اذا ما كان يجمع الى جانب هذه الصفات مشاعر انسانية دافئة بالاضافة الى روحه المرحة الساخرة . وبما أنه كان مساعد الملحق العسكرى في باريس سنة ١٩٣٣ ( فقد كان يتحدث الفرنسية دون أخطاء ) فقد عين رئيسا للقطاع الغربى عندما عاد الى برلين . وبعد ان رأى المناورات الفرنسية في سنة ١٩٣٧ كتب مذكرة قال فيها ان الجيش الفرنسى ليس معدا لحرب هجومية حديثة الا أنه مع قواده يمكن أن يقوموا بمقاومة عنيفة اذا ما تعرضت فرنسا للغزو . فقد قال أنه « لحسن الحظ او ربما لسوء الحظ — فقد كنت مخطئا » . وقد أكد ان أوامر هتلر المباشرة بالنسبة للفيلق التاسع في دانكرك هى التى منعت فون بوك من استخدام الفيلقين المدرعين لجودريان ، وفون مكبست ضد القوات البريطانية التى تقوم بعمليات الرحيل عن فرنسا . ويقول ولو كانت قد استخدمت لما تمكن أى جندى بريطانى من مغادرة ساحل فرنسا » وبعد ذلك بفترة وجيزة كان يجلس في فندق كريلو في باريس يصيغ مع الجنرال دانتز شروط الاستسلام الفرنسى . وبما أننا كنا نعتبر الجنرال دانتز من أكبر المنافقين لما بدر منه في سوريا وأدانه الفرنسيون فحكموا

عليه بالموت ثم خفف الحكم الى السجن مدى الحياة ، فربما مما يدعو الى التأمل أن يعتقد الجنرال سبدل بأنه قد بذل كل ما في وسعه في مثل هذه الظروف كما كان « مواطنا وجنديا وفيا لفرنسا » .

وأصبح سبيدل بعد ذلك رئيسا للاركان للجنرال فون ستالب ناجل وهو الحاكم العسكرى لفرنسا ، وبقى في هذه الوظيفة حتى سنة ١٩٤١م . بعدها عندما رأى ان كل السلطة كانت تتبلور في أيدى شرطة الامن التابعين للقوات الخاصة . فطلب اعفاءه من هذه الوظيفة . وهى الحقيقة التى تلقى بعض الضوء على شخصيته وسلوكه فيما بعد . كما كانت صداقته الطويلة بالعميد بيك وهو الرئيس السابق للاركان العامة تؤدى نفس الغرض .

وبعد فرنسا ذهب ليتولى وظائف قيادية عليا متعددة في روسيا . فأمام موسكو بجيشها الخامس كان سبيدل يتحمل مسئوليته في التخطيط من جهة الجنوب في الصيف عام ١٩٤٢ ، وهو الهجوم الذى جعل الالمان على حافة النصر . واشترك كرئيس لهيئة الاركان العامة للجيش « الايطالى الثامن » خلال سنة ١٩٤٣ والشهور الاولى من سنة ١٩٤٤ في جميع المعارك الكبرى لتلك السنة المصيرية . وقد سألت الجنرال سبيدل بلهجة شديده عن الاحوال في روسيا . فلا بد أن البرد كان قارصا أليس كذلك ؟ ، فرد موافقا بلطف ورقة شديدين « بالفعل فانه شديد جدا » ، وكل ما ما يمكن ان يقال بشأنه أنه قد جعل من المستحيل على ضباط الاركان ان يقوموا بواجب الكتابة . « أما بالنسبة لاسباب الفشل الذريع قال « لقد كان السبب هو العدد الكبير جداً من الروس وفرد المانى واحد ( يزيد عن ما هو مطلوب ) — هو هتلر » .

ومازال دكتور سبيدل الان وعمره واحد وخمسين عاما فقط يحاضر في جامعة توبنجن حيت يقوم بتدريس الفلسفة . وكما سنرى فيما بعد فانه قد وصل الى هذه المكانة في عالم السلم بعد رحلة مليئة بالمغامرات . وفي نفس الوقت فقد كان وسط معمعة القتال في نورماندى يشغل وظيفة المستشار الخاص للقائد العام للجيش ( ب ) في غير الامور العسكرية المحضة .

وفي السابع عشر من يوليو استطاعت القوات الجوية للحلفاء اخيرا ان تباغت رومل . ولم يكن هناك شئ غير عادى فيما حدث له . فقد كانت سيارة القيادة الخاصة به واحدة من آلاف السيارات الالمانية التى تصاب عبر طرق نورماندى في يوليو سنة ١٩٤٤م ويدلى النقيب هلموث لانج ، الذى كان معه في السيارة بحقيقة

ما جرى . ويمكن ان نستخلص مما قاله أنهما كانا سيئا الحظ في اختيار أحد الطرق الذى كانت طائراتنا تقوم بعملياتها من فوقه * .

ويكتب النقيب لانج ، « كان المشير روميل كعادته كل يوم يقوم بجولة على الجبهة . وفي السابع عشر من يوليو وبعد أن قام بزيارة فرقتى المشاه ٢٧٧ ، ٢٧٦ واللتان قامتا بصد هجمة شديدة للعدو في الليلة السابقة ، ذهب الى مقر قيادة الفيلق المدرع الثانى للقوات الخاصة حيث أجرى مناقشة مع القادة بيترتش وسيب ديترتش . وكان علينا ان نحصر طائرات العدو التى كانت تحوم حول أرض المعركة بصفة مستمرة والتى كان يشدها ويحجب انظارها — الغبار المتناثر على الطرق .

« وفي حوالى الرابعة من مساء نفس اليوم بدأ المرشال روميل رحلة العودة من مقر قيادة الجنرال ديترتش . وكان متشوقا للعودة الى مقر قيادة الجيش ( ب ) بأسرع ما يمكن حيث أن العدو كان قد اخترق جانبا آخر من جبهة القتال .

« واستطعنا ان نرى على طول الطرق جميع وسائل النقل ترتفع منها السنة اللهب : وكانت قاذفات العدو من وقت لاخر تجبرنا على الدخول في الطرق الجانبية . وفي الساعة السادسة مساءا كانت سيارة المارشال بالقرب من ليفاروت وكانت عرباتنا التى هوجمت تتكوم فوق بعضها الاخرى عبر الطريق ومن فوقها أسراب قوية من قاذفات العدو تنقض عليها على ارتفاع قريب . وهذا هو السبب الذى جعلنا نستدر عبر طريق صغير طلبا للنجاه ، لنتصل بالطريق الرئيسى مرة أخرى بعد حوالى ميلين ونصف من فيموتير .

وعندما وصلنا اليها رأينا في سماء ليفاروت حوالى ثمانى من قاذفات العدو الانقضاضية — وقد علمنا فيما بعد انها كانت تتعامل مع حركة المرور على الطريق الى فيفاروت على مدى الساعتين السابقتين . وحيث أننا كنا نعتقد أنها لم ترنا فقد استأنفنا المسير على طول الطريق الرئيسى من ليفاروت الى ليفونير . وفجأة حذرنا العريف هولك وهو المكلف بالمراقبة أن طائرتين تحلق فوق الطريق في اتجاهنا وأعطى السائق دانيل الامر بزيادة السرعة ثم ينحرف الى طريق جانبى صغير على اليمين على مسافة ٣٠٠ ياردة . فربما وجدنا فيه مخبأ .

* وتفترض الكنتيسة ولدك في مقال لخص في مجلة ريدرز دايجست بأن الطائرات التى أصابته ربما كانت المانية عليها العلامات المميزة البريطانية ، صدرت اليها الاوامر من هتلر بالقضاء على روميل لا نه قد أرسل انذارا الى الفوهرر في ١٥ يوليو — ولا يوجد أى دليل لتأييد هذا الفرض لعدم توافر الاحتمالات التى تجعله محل اعتبار .

« وقبل أن نصل اليه كانت طائرات الاعداء تطير بسرعة كبيرة وعلى ارتفاع عدة أقدام فقط فوق الطريق ، ثم دنت الى ما يقرب من ٥٠٠ ياردة منا وفتحت الطائرة الاولى منها النيران علينا . وكان المارشال روميل ينظر الى الخلف في نفس تلك اللحظة فأصيبت الناحية اليسرى للسيارة بالقذيفة الاولى ». وشطرت احدى قذائف مدفعية الطائرة الكتف الايسر والذراع الايسر لدانيل . وأصيب المارشال روميل في وجهه بسبب الزجاج المتناثر وتلقى ضربة على عظمة الوجه والصدغ الايسر فأحدثت ثلاثة كسور في الجمجمة وجعلته يفقد الوعى في الحال . أما الرائد نيهوس فقد أصيب في موضع مسدسه حول وسطه وكسرت شدة الضربة عظام حوضه .

« وفقد دانيل السائق السيطرة على السيارة نتيجة اصابته الخطيرة – فاصطدمت بجزع شجرة وانحرفت الى يسار الطريق ثم انقلبت في حفرة على اليمين . وقفز كل من النقيب لانج والعريف هولك من السيارة واختبأ على يمين الطريق . أما المارشال روميل الذى كان قد أمسك بمقبض الباب في يده اليسرى في بداية الهجوم فقد القى الى الخارج فاقدا للوعى عندما انقلبت السيارة ، وتمدد على الطريق على مسافة عشرين ياردة خلفها . وحلقت طائرة أخرى وحاولت ان تسقط قنابلها على اولئك الذين انبطحوا على الارض .

« وبعد قليل تم حمل المارشال روميل الى أحد المخابىء بواسطة النقيب لانج والعريف هولك . وكان مستلقيا على الارض فاقدا للوعى تغطيه الدماء التى نزفت من الجروح المتعددة على وجهه وخاصة من عينه اليسرى وفمه . وبدا أنه قد أصيب على صدغه الايسر . ولم يستطع أن يستعيد وعيه حتى عندما حملناه الى مكان آمن .

« وحاول النقيب لانج ان يجد سيارة ليحصل بها على أية مساعدة طبية للجرحى . واستغرق منه ذلك حوالى ثلاث ارباع الساعة . وضمد أحد الاطباء الفرنسيين جراح المارشال روميل في احدى المستشفيات الدينية . وكانت الجراح خطيرة وقال الطبيب ان الامل ضعيف في انقاذ حياته . ونقل بعدها وهو لا يزال فاقد الوعى مع دانيل الى أحد مستشفيات القوات الجوية في بيراندى . وهى على بعد حوالى خمسة وعشرون كيلو . وقد قام الاطباء هناك بتشخيص الحالة على أنها اصابات بالغة في الجمجمة وكسر في القاع ، وكسرين على الصدغ وتلف عظمة الخد ، وجروح في العين اليسرى ، وبعض الجروح الناجمة عن الزجاج وارتجاج في المخ . ومات دانيل اثناء تلك الليلة رغم عملية نقل دم له .

« وبعد عدة أيام نقل المارشال روملل الى مستشفى البروفسير ايتش في فبزينية بالقرب من سانت جيرمين .

وفي أوائل يوليو تم عزل المشير فون راندستد من القيادة وقد كان ذلك يرجع دون شك لنصيحته التى أدلى بها الى كيتل بأن يعقد السلام . وحل محله المشير جانتر فون كلوتجه من الجبهة الروسية وقرر روملل ان يقوم بمحاولة أخرى كي يحاول ان يغير من تفكير هتلر ويجعله يستمع لصوت العقل غير عابئ بهذا التحزير الموجه للانهزاميين . فقد أرسل احد التقارير بعد ان تبادل المشورة مع جنرال اسبيدل الذى كان قد اعد مسودة به الى فون كلوتمه قبل أن يصب بيومين وطلب منه ان يقدمه شخصيا الى الفوهرر وقد كان التقرير يدور حول نفس السطور التى خطها . في الثانى عشر من يونيو الا أنها كانت أكثر تشاؤما .

وكتب فقال « ان الموقف على الجبهة النورماندية يزداد صعوبة يوما بعد يوم في المدفعية والمدرعات ، ثم تناول الخسائر الالمانية ونقص التعزيزات ، ليصل الى عدم خبرة بعض الفرق التى قذف بها في أرض المعركة ، ثم تناول عدم كفاءة المعدات ، كما تناول أيضا تدمير شبكة خطوط السكة الحديد عن طريق الهجمات الجوية وصعوبة استخدام الطرق ، مثلما تناول نقص الذخيرة وانهاك القوات المقاتلة ومن ناحية أخرى فقد كان العدو يقوم بتمويل يوحى بتعزيزات جديدة وكميات هائلة من المعدات ، كما ان طائرات اللوفت واف لم تشكل أية تهديدات على خطوط تموينانه . وبذا ظل الضغط مستمرا . وخلص روملل الى النتيجة التالية . « ولابد أن نتوقع في مثل هذه الظروف ان يتمكن العدو في وقت قريب من اختراق جبهتنا الواهية وخاصة في قطاع الجيش السابع ، ويتقدم حتى يصل الى فرنسا . . . . . . . . . . كما لا توجد اى قوات – احتياطية متحركة على الاطلاق تحت تصرفنا كي يمكن بها أن تقوم بهجمة لصد هذا الاختراق . كما ان قواتنا الجوية لم تشترك في المعركة على الاطلاق .

« ان أفراد قواتنا تقاتل بشكل بطولى ومع هذا فان نهاية هذه المعركة غير المتكافئة تقع على مرمى البصر » .

وأضاف روملل بخط يده هذه الكلمات ، « وينبغى على أن الفت نظركم في الحال للمعنى السياسى للموقف الحالى . فانى أشعر ان من واجبى كقائد عام لفرقة الجيش أن أعلن هذا صراحة » .

ولم يكن رد فون كلاج برسالته المؤرخة في الواحد والعشرين من يوليو يشكل

أى اهتمام . بل انها تبين رغم الامال الكبيرة التى كانت معلقة عليه انه لم يستغرق وقتا طويلا ليدرك أو يصل الى نفس النتيجة التى وصل اليها فون راندستد وروميل . كما يبين الرد أيضا أنه رجل كان يتمتع بقدر كبير من الشجاعة الاخلاقية والا لما استطاع القول بأنها لن تكون موضع تقدير في مقر قيادة الفوهرر .

فكتب ، « عزيزى الفوهرر ، انى أقدم لك هذا مع تقرير من المشير روميل ، أعطاه لى قبل وقوع حادثه والذى ناقشنى فيه . والان بعد ان صار لى ما يقرب من الاربعة عشر يوما ، وبعد مناقشات طويلة مع القادة المسئولين على مختلف الجبهات ، وبصفة خاصة قادة القوات الخاصة ، وصلت الى النتيجة التى كان المشير فيها مصيبا ، لسوء الحظ ، . . . . . . . . . . . . فلا توجد أية وسيلة يمكن بها ان نستمر في القتال معوجود هذه القوة الجوية الهائلة للعدو . . . . . . . . . دون ان نضطر للتفريط في جزء من الاراضى التى تحت سيطرتنا . . . كما أن التأثير النفسى على القوات المقاتلة وخاصة على المشاه من تلك الكميات الهائلة للقنابل التى تنزل عليهم كالمطر مع قوى الطبيعة لمن العوامل التى ينبغى وضعها موضع الاعتبار . فليس من الاهمية بمكان اذا ما سقطت مثل هذه الكميات من القنابل على قوات فانها لاتفرق بين القوات الصالحة وغير الصالحة فان جميعها يدمر تقريبا ، وبالاضافة الى ذلك فان معداتهم ايضا ستدمر . فكل ما هو مطلوب هو تكرار اسقاط هذه القنابل لعدة مرات. . . . . . وتشل المقدرة على المقاومة . . . . . . . . . . . .

« وقد جئتكم بقرارى أن أضع أوامركم موضع التنفيذ باقامة جبهة للمقاومة بثمن من عندى . الا أن الانسان عندما يرى ان الثمن الذى سيدفع هو التدمير المؤكد والبطىء لقواتنا . فانى أفكر في فرقة شباب هتلر التى ذاع صيتها . . . . . . . بالاضافة الى ان القلق على المستقبل القريب على هذه الجبهة له ما يبرره . . . . . . . . . .

« وبالرغم من كل جهودنا فان اللحظة تقترب سريعا عندما يتم اختراق هذه الجبهة المجيدة. . . . . . . . . . . وانى اعتقد انه من واجبى كقائد مسئول ان اضع هذه النقاط امام انظاركم في الوقت المناسب يا عزيزى الفوهرر. » .

وبعد ذلك بخمسة أسابيع استبدل المشير فون كلوتمه ومات . واختار أن يموت بيديه عندما رأى أن الموت يدور في كل مكان لكل من يطلب وأن الرصاصات الطائشة تجعل الجبناء ابطالا في أى لحظة ليلا أو نهارا . فقد قال انه شعر انه خذل الفوهرر في السيطرة على العمليات . ومع هذا فلم يكن ذلك هو السبب لعدم رغبته في مقابلته .

## ( الفصـــل الحـــادى عشر )

## قـــدر لا يرحـــم

عندما ظهر البحارة الامريكان على متن السفن المعنية التى نجت في بكين ، بعد تفجير القنبلة الذرية ، سيطرت عليهم تدريجيا نوبة من الخوف الغريب . وكانوا يقولون ، « انكم لا تستطيعون البقاء على ظهر السفينة اكثر من بضع دقائق ولا يمكنكم استنشاق الهواء دون ان تلبسوا واق من الغاز إلا الذى يعطى نفس الهواء السابق ، ولا يمكنكم الاستحمام في الماء ، كما أنه لا يمكنكم ان تتخذوا من الاسماك غذاء : لقد أصبح عالما ملوثا حيث أن الناتج الذرى قد شكل غطاء كالطلاء على تلك السفن ولا يمكنكم التخلص منه عن طريق التنظيف بواسطة الوسائل التقليدية للقوات البحرية بحكها جيدا في المقدمة والمؤخرة ، وقد ظلت النيوترونات وأشعة جاما ، لتكتشف بواسطة أجهزة جايجر فقط إلا أنها كانت تهدد بنشر الامراض ، والتحلل والرعب الجديد من الموت الذرى .

وأنه لا حاجة للانسان الان أن يكون شديد الحساسية او حتى مفرطا في حساسيته بالنسبة للجو حتى يشعر بأن هناك شر ما ، وأنه نوع من الشرور لا يمكن ان تسجله عدادات جايجر ، وأنه ما زال معلقا في أجواء المانيا حتى هذه الايام . فلم يتصاعد الدخان العفن من بقايا المدن التى دمرت وأصبح الريف نظيفا وجميلا . بعد أن تخلص من الالام المادية اللعينة ، وأصبح الالمان يقبلون على أعمالهم برغبة وحماس . وكانوا يغنون ويرقصون ويشربون الجعة بطريقة أكثر مرحا منا في حانات القرى أثناء الليل. ولا شك أنهم كانوا يحملون الاحقاد لهذه القوات المحتلة ولؤلئك الذين أقاموا المسكرات في بلدهم الا أن هذه الكراهية كانت دفينة في أنفسهم . لماذا إذا لا يشعر الانسان بالراحة ؟ ربما يرجع السبب في هذا ان الكل يعرف أن هناك عدد كبير من البوليس السرى النازى وأن القوات الخاصة مازالت موجودة بأعداد كبيرة ، يحملون اوراقهم المزيفة ولهم مطلق الحرية باعتبار ان اولئك الذين كان بامكانهم أن يضعوهم موضع الاتهام قد واراهم التراب ، وربما أصبح الشاب المهذب الذى ينتظر آخر في أحد الفنادق يحمل بين يديه دماءا لمئات من الاخرين . ( وقد عين أحد أفراد البوليس السرى النازى أخيرا كمترجما في أحد المعسكرات البريطانية وهو متهما بحوالى ٦٠ عملية قتل كل على حده ( . وربما كان السبب أبعد من هذا بقليل — حيث أن فساد النظام النازى ، الذى يختفى بانتحار او اعدام قادته ، لن ينتهى بموت آخر شركائه . لقد شرب الناس كأس التجسس الدائم والشك الذى لا ينتهى والاعتقالات في الفجر ،

والتعذيب والسادية والقتل في الزنزانات ، وفوق كل ذلك الكذب والنفاق الذى استشرى في دولة حكم رجال الشرطة حتى نهايته ومثله في ذلك مثل آثار القنبلة الذرية التى لا يمكن ازالتها ومازال شبح هتلر يعطى انطباعا مظلما على المسرح الالمانى. أنه لعالم فاسد » .

هذا وما شعرت به على الاقل وأنا استمع الى قصة الايام الاخيرة لرومل والطريقة التى انتهى بها . فلم يكن هناك أى شيء يمكن ان يشير بالتشاؤم الى البيئة التى كنت استمع فيها الى القصة ، كما لم يكن هناك ما يدعو الى الكابة بالنسبة للذين كانوا يرون أحداث هذه القصة على مسامعى . بل على العكس ، فعندما جلست في منزل الجنرال سبيدل الذى يقع على الغابة السوداء الهادئة لمدينة فرودنستد ، كان ينتابنى الشعور بالحنين للعودة الى الاحداث الاولى لفترة طفولتي التى عاصرت فيها فيكتوريا وادوارد لقد عشت في مثل تلك المنازل في منزل مؤثث بأثاث ينتمى الى الذوق الحديث حسن الترتيب ، مريح الى حد كبير ( مع أنه ربما لم يكن يتسم بالنظافة الكاملة ) ، حيث أن الانجليز أيضا قد اعتادوا ان يعيشوا حياتهم المريحة والمنظمة ، كما كانوا يستثمرون أموالهم على نحو سليم ، كما كانوا يؤمنون بربهم ويثقون بحكومتهم ، كما كان كل خادم في مكانه ، وحتى القطط كانت قابعة بجانب المدفأة كما كان كل رجل شرطة واقفا في موقعه وبذا يبدو للمرء وكأنه موجود في شمال اكسفورد منذ أربعين سنة مضت .

وكان منزل السيدة رومل الصغير ، مع أنه يمتلىء بكل آثار رومل ومخطوطاته وبالرغم من أن صوره الزيتية والفوتوغرافية تغطى حوائط المنزل ، ومع أن تماثاله محفوظا في أحد الصناديق في احدى الزوايا فقدكان المنزل يتسم بجو من الهدوء والامن . وكذلك كان منزل الدنجر. وعلى نفس النمط كان يتميز المنزل الذى وجدت فيه دكتور سترولن ، وهو آخر من روى لى من أحداث . وفي كل منزل كان لا بد من تفسير كل القصة ونقل بعض الاوراق من أجل اتاحة الفرصة لوضع احد الاقمشة المطرزة تمهيدا لوضع اوانى شرب الشاى . وفي كل طقم من أطقم الشاى كانت الاوانى الخزفية من المسين ، توزع ولا يقربها أحد ثم تعاد الى مكانها وفي كل مكان هناك حاملات الكيك ذات الاربعة ادوار المعروفة التى ترمز الى عصر مضى وانتهى . أما بالنسبة للجنرال سبيدل فانه يبدو كما هو في واقعه نبيلا . وكانت زوجته الصغيرة سنا تبدو وكأنها اما لابنه عمرها سبعة عشر ربيعا ، ولم يبدو انها تهتم سوى بالامور المنزلية الصغيرة في هذا العالم وكان الاطفال يتسمون بالاناقة وحسن الخلق ولا يتكلمون الا اذا طلب اليهم الكلام . وبالنسبة لالدنجر وزوجته فانهما بديا وكأنهما من الانماط

الاساسية لمجتمع المدينة الصغير . وكان الدكتور سترولن يبدو كرجل قد تعود منذ زمن بعيد على ممارسة السلطة واحتلال المكانة الرفيعة . وكانت السيدة لوسى ماريا رومل بالرغم من جدية تعابير وجهها فقد كانت التجاعيد كثيرة الا أنه لم يبد عليها أى أثر آخر لاية خبرات أخرى في الاعمال التى تسبب الضيق مثلما تفعل بقية النساء . وكانت ملامحها تقترب من ملامح سكان شمال ايطاليا اكثر من سكان المانيا ، فقد كان شعرها أسودا وعيناها رماديتان ، كما لم تكن تبدو عليها العاطفة التى تبدو على العديد من الالمانيات . وعندما كانت تتحدث عن « الرجل الذى أنا بصدده » كانت تتألق فخراً وبهجة ، فقد كانت لفترة تقترب من الثلاثين عاما عاشا فيها سويا حياة طيبة ، برغم وقوع حربين ، وكانا في أسعد حال . وعن نهاية زوجها فانها كانت على استعداد للحديث عندما تثق جيدا فيمن يحدثها . وكانت تقوم بذلك دون الاحساس بأية مرارة لكنها كانت تكن احتقارا شديدا لأولئك الذين تسببوا في وفاته . ولم تبدى عمق أحزانها ومشاعرها بعد حوالى خمس سنوات الا مرة واحدة . فعندما أخذنا السيارة معا الى بيتها السابق على التل فوق هيرلنجن الذى تحول الى مدرسة الان بقيت في سيارتها تنتظر خارج البوابة . وقالت « اننى أحب أن أرى الاطفال في الحديقة ، لكننى لا أود أن أدخل الى هناك مرة أخرى » .

أما الابن مانفرد ، الذى يدرس القانون الان في جامعة توبنجن فهو شاب عادى تماما يتسم بروح المرح ، قد كرس حياته لامه ولذكرى والده ، بعيدا جدا حسب ما يتراءى لأى انسان عن أى عقد او مركبات نقص فانه لم يفقد توازنه كما لم يتأثر بما رآه في عمر الخامسة عشر . وهى الفترة التى يتأثر فيها الانسان بكل شىء . ومع ذلك ففى مواجهة هذه الخلفية لفترة حياته العادية الفيكتورية ، فان هؤلاء الناس الذين يبدون طبيعيين والذين لا يوجد مثلهم في هذا الزمان بسهولة قد دخلوا او قد تعمدوا ان يقحموا انفسهم في صراع مع نظام فاسد لا يرحم لدرجة ان الموت كان أبعد من أسوأ أنواع العقاب لاولئك الذين تحدوه . وكان هذا التناقض هو الذى جعل القصة بالنسبة لى أكثر ازعاجا وأكثر رعبا . فقد تصادف انهم جميعا قد قاموا باظهار الشجاعة امام زوار الفجر مما جعلنى اقتنع تماما بأن اعصابهم كانت أقوى من أعصابى .

وكان رومل قد عاد من شمال أفريقيا سنة ١٩٤٣م بعد ان « استولى » على قلب هتلر كما يقولون . وكان قد عرف ان كيتل وجودل منذ فترة طويلة يكنان له العداء على مستوى العمل وعلى المستوى الشخصى . أما جورنج فقد كان لايثق به بل ويحتقره حيث كان يشك في أنه بتأثير من كسرلنج قد انحاز ضده وضد الفيلق الافريقى . وأخيرا حذره الجنرال شموندت ان رصيده مع رؤساء الحزب وبصفة خاصة مع

بورمان ذا التأثير الغامض والخطير قد تناقص الى أدنى حد . وفي الواقع لم يتبقى لديه في القيادة أى صديق سوى شموندت نفسه وهو الشخص الوحيد الذى ظل يتولى مهمة الثناء عليه . ومع ذلك ، وحتى بعد العلمين فقد ظل رومل يعتقد ان مشكلته مع الفوهرر هي حاشيته اى الفئة المحيطة به ، وأن عليه ان يعدل في قراراته ويتوخى الحكمة اذا ما اراد ان يحرر نفسه من متملقيه .

والان قد تكشفت الصورة الحقيقية لديه . فقد بدأ يدرك ان ادولف هتلر لم يكن له استلطاف او محبة او رصيد من الود او اى ولاء لأولئك الذين يقوموا بخدمته . كما لم يكن يركن الى الحكمة والتعقل . وكان هذا مفاجأة اليمة لرومل ، الشخصية المستقيمة البسيطة الذى يتسم بمسحة من الرقة الا أثناء المعارك . وبما أنه لم يكن يعتبر جنديا سياسيا بل وبعيدا تماما عن أى اتصال بالسياسة الحالية ، فان الصدفة كانت في أول الامر تقتصر على عمله وشخصيته فقط . وكان قد فقد الثقة في رجل كان صديقا له ونصيرا بل وقائدا اعلى للقوات المسلحة . وقد أدرك تدريجيا بأن هناك شيء أغلى من النصر يتعرض للاخطار ، فبفضل هتلر اصبحت المانيا على أبواب الهزيمة والتفسخ والانحلال .

وقد تفتحت عيناه خلال الشهور التى كان فيها في المانيا قبل ان يتولى قيادة فرق الجيش ( ب ) ولم يكن يقر وجود هذه « الحثالة » النازية منذ فترة طويلة . أما الان فقد عرف لاول مرة من الضباط الالمان مباشرة ما يقوم به البوليس السرى النازى والقوات الخاصة في بولندا وروسيا ، وما يزالون يقومون به هناك ، وفي المناطق المحتلة لاوروبا الغربية . كما علم للمرة الاولى عن الاستعباد ، والابادة الشاملة لليهود ، ومعركة يهود وارسو ، وعن حجرات الغاز ، وعن بقية كل ذلك. أما في شمال أفريقيا فقد كان من المعتقد ان المانيا تقاتل « حربا نبيلة » .

وكانت من روائع رومل أنه ذهب مباشرة الى هتلر بكل ما تكشف له ، فقد قال « اننا اذا سمحنا باستمرار هذة الامور فاننا سنخسر الحرب » واقترح تنحية البوليس السرى النازى وحل القوات الخاصة من بين القوات النظامية وفي نفس الوقت طلب من هتلر ان يوقف تجنيد الاحداث . فقد قال : « انه من الجنون ان نقضى على شباب الدولة » . . . .

ولا بد ان مثل هذه المقترحات اذهلت هتلر . وأنها قد أدخلت البهجة على هملر ، اذا ما أسر هتلر له بهذه المقترحات . ومما يدعو الى الدهشة فان الفوهرر قد تنازل بل وتلطف ليناقش الامر مع رومل باستفاضة الا أنه لم يترك اى أثر في ذهن رومل

بانه لم يكن لديه ، أى ميول لتغيير أساليبه . وبذا أدرك روميل أن جرائم رؤسائه كانت بتفويض من القيادة العليا . وخلال الفترة الاولى من الصيف كان يتأمل تلك الامور واصبح لاول مرة في حياته يهتم بالامر من الناحية السياسية .

وكانت الاستنتاجات التى خرج بها هى نفس ما وصل اليه كثير من القادة الالمان . وهى أن هتلر يقود الدولة الى الدمار . وعليه فلا بد من كبح جماحه . فطالما أنه يستحوذ على الحزب والقوات الخاصة وكثير من الضباط والجنود الشبان للروهر من خلفه ، فلم يكن هناك سبيلا لتنحيته دون وقوع حرب أهلية . وكان كل ما يمكن هو محاولة ابعاد مستشاريه ليصبح رئيسا صوريا دون أية سلطة فعلية فكيف يمكن تحقيق ذلك ؟ وقبل أن يسترسل روميل في هذا الخط عين بفرقة الجيش (ب) وأبعد ، أولا الى شمال ايطاليا وبعد ذلك الى فرنسا . وبذا طرح هذه المسألة برمتها جانبا بصفة مؤقتة وانشغل كعادته في العمل الذى بين يديه . ومع ذلك فقد كان هناك آخرين ، الذين كانت لهم بعض الخطط المتقدمة والذين كانوا قد وضعوا عيونهم على روميل فترة من الوقت فكان الدكتور جودلر ، وهو عمدة لايبزج والعميد بيك ، وهو الرئيس السابق لقيادة الاركان ، هما الرؤوس المدبرة للمؤامرة ضد هتلر . فقد أدرك أنه اذا ما حالفهما بعض النجاح ، فلا بد لهم من البحث عن شخصية محبوبة ، أحد سكان هيدنبرج الجدد ، كى يضعوه على رأس الدولة عندما يحين الوقت . وينبغى أن تكون هذه الشخصية من الذين يتمتعون بثقة العامة والذين لا يصل اليهم الشك في السعى وراء المصلحة الذاتية .

كما يجب أن يكون جنديا يسير الجيش من ورائه . ومع ان الجنرال بيك كان يتمتع بشخصية ومقدرة عالية ، فانه لم يكن ليشغل هذا الفراغ . فلم يكن يسمع به الاغلبية العظمى من الالمان كما انه كان قد طرد بواسطة هتلر في عام ١٩٣٨م ولم يكن بين القادة الذين يعملون ممن يتمتعون بالسمعة الطيبة في رأى العامة ما يضاهى روميل . فقد كان الرجل الذى يتمتع بأكبر قدر من الشعبية في المانيا بعد هتلر نفسه . فمن الناحية السياسية لم يكن هناك ما يدينه ومما أغضبه ان رجال الاعلام قاموا بالفعل بالدعاية له على أنه احد رجال النازى الاكفاء . وفي نفس الوقت كان روميل يتمتع كما هو معروف باحترام البريطانيين الذين يمكن أن يتعامل معهم في اللحظات الحاسمة . ولم يكن أحد يعلم الا في نطاق ضيق انه كان على خلاف مع الفوهرر . وبذا فقد اصبح هو الاختيار السليم ، والحقيقة انه كان الشخصية الوحيدة المؤهلة لذلك .

ولحسن الحظ فان المتآمرين كانوا قد وقع اختيارهم على الاتصال بالدكتور كارل سترولن ، وهو عمدة شتوتجارت من سنة ١٩٣٣م كما انه شخصية معروفة

في الخارج كرئيس لاخر اجتماع للاتحاد الدولى للاسكان وتخطيط المدن في فترة ما قبل الحرب . وبما له من شعبية كبيرة في شتوتجارت وما يتمتع به من نشاط ومقدرة ، فان دكتور سترولين كان من المؤيدين الاوائل لهتلر وللحرب وقد ظهر في مقدمة لدكتور سترولن من القنصل العام للولايات المتحدة في شتوت جارت الذى عرفه لمدة سبعة أعوام من سنة ١٩٣٤ الى ١٩٤١ أنه كان بالامكان ان يكون الفرد نازيا ، على الاقل في أول الامر ، دون أن يكون ه عضوا في هذه العصابة. فقد كتب في سنة ١٩٤٨ ، » انه رجل ذو مبادىء انسانية سامية ، كما تأكد لى مما سمعته عنه من الامريكان والالمان معا خاصة من أعضاء الجالية اليهودية ، حيث تحدث العديد العديد منهم عنه بتقدير واحترام كبيرين . وان مثل شخصيته ومجهوداته لا تعرف الملل نيابة عن اولئك الذين خدمهم دون أى تفضيل لذاته .

الا أن اغتصاب تشيكوسلوفاكيا قد جعل دكتور سترولن ينقلب على هتلر كما كانت صداقته مع دكتور جوردلر هى التى جعلت منه احد المتآمرين . وبالرغم من أنه قد احتال على أن يظل عمدة شتوتجارت حتى نهاية الحرب ، فقد كان يعمل بنشاط كبير ضد النازيين من سنة ١٩٣٩ فصاعدا . وقد تسربت قصة انقاذه لواحد وعشرين من أعضاء المقاومة الفرنسية الذين حكم عليهم بالاعدام في الالزاس ، عن طريق اعضاء هذه المقاومة . وقد أظهرت هذه القصة قدرا كبيرا من ذكاءه وشجاعته .

وكان كاحد ضباط المشاه برتبة نقيب في الحرب الاولى يخدم مع روميل في عام ١٩١٨ ، بعد ان جرح مرتين ، في قيادة الفرقة الرابعة والستين . وقد اصبح هو وروميل أصدقاء حيث كانا من جنود الخط الاول كما كانا غير محبوبين لدى القيادة . وبالرغم من أن اهتمامات سترولن كانت أكبر من اهتمامات روميل فقد ظلت الصداقة لفترة ما بين الحربين . وفي الفترة الاخيرة كلف سترولن كى يقوم بنقل اسرته من وينزنيوستد الى فيدنبرج .

وقد بدأ سترلون العمل من خلال السيدة روميل . ففى أغسطس سنة ١٩٤٣ استطاع ان يستجمع شجاعته فيضع اسمه على احدى الوثائق التى قام بكتابة مسودتها مع جوردلر ليطلب التخلى عن اضطهاد اليهود والتعدى على الكنائس واستعادة الحقوق المدنية ونقل السلطة القضائية من أيدى الحزب . وارسل هذا الاجتماع الى أمانة وزارة الخارجية . وعندها وجه تحذيرا الى سترولن بأنه سيقدم الى المحاكمة لـ « جرائم ضد الوطن » اذا لم يخلد الى الصمت . فقد قال « اننى الان على الاقل مقتنع تماما أنه لا يتم أى أمر بالاسلوب القانونى .

وقد سلم سترولن نسخة من هذه الرسالة الى السيدة رومل ، ولا تستطيع بالضبط ان تذكر متى سلمتها بدورها الى زوجها سواء قرب نهاية نوفمبر او عندما عاد الى منزله في اجازة قصيرة لقضاء عيد الميلاد . وقد كان لهذه الرسالة تأثيرا كبيرا عليه . حيث ان ذهنه كان مشغولا بنفس الاهتمامات . وفي ديسمبر استطاع سترولن ان يرتب زيارة الى السيدة رومل في هيرلنجن عندما علم بان الجنرال جوزى – رئيس أركان رومل يتواجد هناك . وكان هدفه مجرد طلب مقابلة مع رومل الا أنه وجد ان جوزى أيضا من الموالين لهتلر والذين كانت لهم بعض الاتصالات مع مناهضيه في الفترة الاخيرة .

وتم اللقاء المصيرى في منزل رومل في هيرلنجن قرب نهاية فبراير سنة ١٩٤٤ وكان على سترولن ان يشق طريقه الى هناك . فقد كان رئيس شرطة شتوتجارت وهو هان نفسه الذى عرفه رومل في سنة ١٩١٩ وقد حذر سترولن بان اسمه قد وضع في القائمة للسحق الفورى اذا ما زادت حركة المقاومة في المانيا . كما كان يعلم بان الهاتف الخاص به كان تحت المراقبة وأن احاديثه كانت تسجل .

واستغرق الاجتماع ما بين خمس الى ست ساعات ومازال سترولن يذكره جيدا . فقد قال : « لقد بدأت بمناقشة الموقف العسكرى والسياسى لالمانيا ووجدنا أنفسنا متفقين تماما . عندها قلت لرومل ، اذا ما وافقت على كل هذا فعليك أن تبحث عن ما يجب القيام به » . وأخبرته أيضا ان هناك بعض كبار الضباط من الجيش في الشرق قد قدموا احد الاقتراحات باعتقال هتلر واجباره على أن يعلن عبر الاذاعة المسموعة انه قد تنحى . ووافق رومل على الفكرة ولم يكن يعلم عندها أو في أى وقت تال بخطة قتل هتلر .

« واستأنف سترولن قائلا » وتابعت قولى له بأنه أعظم واحب القادة لنا بالاضافة الى أنه أكثرهم احتراما بالنسبة للدول الاخرى . وقلت ( انك الشخصية الوحيدة التى يمكن أن تحول دون وقوع الحرب الاهلية في المانيا . وينبغى عليك ان تعزز الحركة بتوقيعك ) . ولم أخبره بأنه قد اقترح بأن يجعلوا منه رئيسا لالمانيا : فلم تكن الفكرة قد قدمت على شكل اقتراح في الواقع الا عندما رجعت وتحدثت مع جوردلر ، وانى لا اعتقد بأنه قد سمع بها حتى آخر يوم من أيام حياته .

« وتردد رومل . فسألته مرة أخرى اذا ما كان يرى أية فرصة لكسب الحرب ربما عن طريق الاسلحة السرية . فقال رومل انه لا يعلم أى شىء عن الاسلحة السرية ما عدا ما قرأه في تقارير الدعاية ، الا أنه شخصيا لا يرى اية فرصة في ذلك . فمن

الناحية العسكرية فان الحرب قد فقدت بالفعل . وسألته مرة أخرى هل كان يظن ان هتلر قد أدرك ما بلغت اليه الامور من سوء ؟ فرد رومل « انني لا أشك في ذلك »، وعلى أي حال فانه يعيش في وهم ، وكررت سؤالى الا يستطيع ان يطلب لقاءا معه فيلفت نظره الى ذلك ؟ فرد رومل « قد حاولت ذلك مرارا ، دون جدوى. وأنا لا أبالى اذا ما حاولت مرة أخرى ، الا أنهم يشكون في بمقر القيادة وبكل تأكيد فانهم لم يتركوني معه على انفراد . فان رفيقنا بورمان هذا لا يبارحه مطلقا » .

« وانفض الاجتماع على أساس أن رومل سوف يقوم بمحاولة ما ، في احدى اللحظات المناسبة ، لرؤية هتلر والعودة به الى أخذ الامور بتعقل . فاذا ما فشل ذلك ، فسيكتب اليه رسالة يفتح فيها الموضوع من كل جوانبه ، شارحا له استحالة كسب الحرب وطالبا اليه أن يقبل بكل النتائج السياسية . وفي النهاية كملاذ أخير ان يقوم بعمل مباشر بنفسه . وفكر في الامر لبعض الوقت ثم قال في النهاية ، « انى اعتقد انه من واجبى ان أتقدم لانقاذ المانيا ». وفي هذا لم يكن يخالجنى ادنى الشكوك. فلم يكن رومل رجلا واسع الثقافة ولا يفهم كثيرا في السياسة مثلما لم يفهم في الامور الفنية الا أنه كان مثالا للشرف ولا يمكن ان يحنث في وعده . وعلاوة على ذلك فقد كان على عكس معظم القادة رجلا يملك القدرة على اتخاذ القرار » .

وفي أبريل وجد سترولن حليفا جديدا عندما عين الجنرال سبيدل رئيسا لاركان رومل . فقد كان بالفعل على اتصال بالمتآمرين . ثم اصبح سترولن بعد ذلك على اتصال شبه يومى به عن طريق احد جنود المراسلة ومن خلاله يصبح على اتصال برومل. وكانت لسبيدل بعض المناقشات مع رئيسه السابق الجنرال هنرتش فون ستالب ناجل ، وهو الحاكم العسكرى لفرنسا مثلما كان له بعض الحوار مع الجنرال فون فولكن هاوش وهو الحاكم العسكرى لبلجيكا . وقد اشترك رومل في بعض تلك المناقشات ، كما أحيط علما بباقى المداولات التى تمت في هذا الخصوص . وكان ناجل من أكبر الرؤوس المدبرة للمؤامرة . فكان مع سبيدل قد قام بصياغة الخطوط العريضة لاتفاق هدنة مع الجنرالين ايزنهاور ومونتجمرى . فان لم يتنح هتلر فستتم من وراء ظهره . وكان الاتفاق يسمح بالجلاء عن الاراضى المحتلة في المنطقة الغربية على أن يحتفظ بجبهة قصيرة في الشرق .

والواقع ان الحلفاء الغربيين لم يكن ليوافقوا على مثل هذه الشروط . فقد عللوا عدم استطاعتهم عقد سلام منفصل دون اشراك روسيا . وبالاضافة الى ذلك فان « طيور النفايات » بدأت تحوم حول رقابهم بسبب الابستسلام الغير مشروط وما أن تتم

بمحض اختيارهم في الدار البيضاء ، فانها تكون قد الهبت ظهور كل الالمان الذين يظلهم الصليب المعقوف بالسياط » ، وفي الوقت نفسه تكون قد أظهرت هتلر بمظهر القوة وأطالت أمد الحرب وكلفت الامريكان والبريطانيين آلاف الافراد . ومع ذلك فقد افترض سبيدل واستالب ناجل ان مستر تشيرشيل والرئيس روزفلت سيرحبون بفرصة وضع قوات الجيش الاحمر خارج أوربا الغربية — شريطة أن لا يعقدوا اتفاقا مع هتلر او مع رجال النازى .

وفي السابع والعشرين من مايو عقد اجتماع هام آخر في منزل سبيدل في فراودن ستادت . وقد تم الاجتماع بناء على طلب من رومل . وهناك حضر سبيدل نفسه ، ممثلا لرومل وسترولن وفن نيوراث ، وهو وزير خارجية المانيا الاسبق والمفوض على تشيكوسلوفاكيا حاليا . وقد حكم على فون نيوراث بعد ذلك بالسجن لمدة خمسة عشر عام في نورنبرج . وربما اعتقد انه مما يدعوا الى السخرية أنه قد نجا بذلك من العقوبة الأشد على أيدى هتلر . وقد كنت أجلس تعترينى بعض الدهشة عندما قال الجنرال سبيدل معللا : « لقد تقابلنا حول هذه المائدة ، وكان نيوراث يجلس في المقعد الذى تجلس عليه » .

وقد كتب سترولن كما هو معهود بولع الالمان تسجيل كتاباتهم في مذكرة خاصة . وقد قال ، « انها تعى عرضا شاملا للموقف الحالى ، وكانت موجهة لارشاد رومل » . فسألته « وهل تعنى بها أن تقول انك قد وضعت كل ذلك في هذه المذكرة؟ « فأجاب » نعم ولقد نسختها كتابة في مكتبى على يد أحد موظفى » . وقد كان في ذعر كما قام باحراق مسودة المذكرة بعد ذلك . وأنا لا أعتقد ان الجنرال سبيدل كان يميل الى تسجيلها ايضا . ومع ذلك فقد ذهب بنسخته في جيبه وأحضرت أيضا نسختى معى الى شتوت جارت » . فقد كان الامر كمن يحمل احدى القنابل اليدوية وفتيلتها منزوعة منها .

ولم يكن رومل نفسه في حالته « متحفظا في حديثه » كما كان ينبغى أن يكون فقد كان يتحدث على سجيته بين العامة عن الحرب وعن الفوهرر حيث انه كان يثق بهيئة اركانه الشخصية . فلم يكن هناك ما يدعوا الى الخوف ان لم يكن ضابطه الادنى وهو انقيب هيلموث لانج حى الضمير صريحا أكثر منه تحفظا — فقد كان يحتفظ بيوميات الحرب مكتوبة بخط يد المسئول عنها كما لو كان رومل شخصيا. كما كان يعتقد انه من واجبه ان يقوم بتسجيل كل الاوامر وما يملى عليه من المشير وليس فقط مجرد الاحداث اليوميه . وكان دقيقا جدا في ذلك . وقد كان رومل

يسر عندما يرى الافتتاحية تبدأ بـ : « في الساعة ٧٠٠ تناول الفطور « بيض مقلى » ، في الساعة ٧٣٠ تبدأ معركة كان . « كما كان يسر أيضا عندما يقرأ : « لقد ذهب في جولة مع النقيب لانج والمشير فون بلاج ، « قد ناقش بعض الامور العسكرية مع النقيب لانج : وقد وافق على بعض آرائه » . ومع ذلك لم يكن يشعر بالراحة عندما يتصفح أوراق المذكرة فيعترضه ، « ان أوامر هتلر عبارة عن هراء ، ولا بد ان هذا الرجل مجنون ، » و « أن كل يوم يكلفنا كثيرا من حياة الافراد بدون داع ، ومن الضرورى ان نعقد السلام في الحال » . عندها قال رومل محدثا لانج « يا الهى أيها الرجل انك ستودى بى الى المقصلة . »

وقد صدرت التعليمات الى الدنجر كى يعد نسخة معدلة منقحة بعد مراجعتها جيدا في الحال . وقد قام مانفرد بالاشتراك معه بعد ذلك في حرق الاصل ، الذى كان على ما يبدو ان الدنجر ينوى أن يحتفظ بها في ملفه . وهذه هى الممارسة الالمانية الفعلية في احالة كل تصرف الى وثائق كتابية والحفاظ على الوثائق المورطة التى تودى بكثير من المتآمرين الى المشنقة .

وفي اجتماع السابع والعشرين من مايو رسم الجنرال سبيدل الصورة العسكرية . وعندما انهاها قال فون نيوراث : « اننا لا يمكن ان نعقد السلام وبيننا هتلر : عليك أن تخبر رومل أن يعد نفسه بان يتصرف على مسئوليته الخاصة » . وكان هذا هو شعور الاخرين أيضا وتلك كانت الرسالة التى عاد بها الجنرال سبيدل الى مقر القيادة في لاروش جيون .

وفي نفس الوقت كانت ارادة روملى على التصرف مقيدة باتجاه غريب جدا فقد كان اول من كتب ضد رجال النازى في أول رواية اسطورية بعنوان ( التل الرخامى ) التى صورت هو ايرنست جونجر وهو مؤلف كتاب ( ثورة الحديد ) وهو من جنود الخط الاول الذين كانوا يعتقدون ، حتى ما بعد الفترة ما بين سنة ١٩١٤ ، ١٩١٨ بان الحرب هى أنبل وظيفة للانسان . وقد أعد الان مسودة اتفاقية سلام ، تقوم على فكرة اتحاد اوربا على أساس اشتراك الكل في الديانة المسيحية والغاء الحدود وعودة الجماهير الى العقيدة المسيحية . وبهذه الطريقة فقط يمكن هزيمة والقضاء على التهديد البلشفى . وقد وجد رومل ذلك مؤثرا ومقنعا بل وقد تشوق الى أن ينشر ذلك عندما تسنح له الفرصة . وعليه الان ان يخلق تلك الفرصة .

وربما كان رومل من أول فبراير فصاعدا في أدق حالاته التى يمكن ان تجد فيها اى قائد نفسه . فمن ناحية قد كان هو الذى وقع عليه الاختيار للدفاع عن حائط

الاطلنطى ، كما كان موضع ثقة هتلر في مهمة صد الغزو على الساحل وهذا هو ما كتبته عنه الصحافة الالمانية : فقط من وجهة نظر الحلفاء ، ولم يكن هذا هو راى الحلفاء فيه فقط ولكن كان هو رأى الجيش الالمانى . ومن ناحية أخرى فقد كان مقتنعا بأن الغزو لا يمكن صده حقيقة بل ومتهما بأنه قد قام سرا بتقديم اقتراح عقد اتفاقية سلام مع الجنرالين ايزنهاور ومونتجمرى اذا ما نجح الغزو ان لم يتمكن من العودة بهتلر الى منطق الحكمة قبل ذلك .

وقد عبر عن هذه الحيرة في كثير من احاديثه الطويلة مع اللواء البحرى روج. فقد قال : « ان مسألة استمرار الحرب ضرب من الجنون ، ففى كل يوم نفقد احدى مدننا – فما الداعى لهذا ؟ . أيكون هذا لمجرد التأكيد على ان الشيوعية سوف تكتسح أوربا وتحطم كل القوى الغربية جميعا . فاذا ما توفرت لنا القنبلة الذرية ، فانى اعتقد انه من واجبنا ان تستمر طالما انها ستجعلنا نكسب الحرب وأيا كان الذى يمتلكها اولا فانه مستخدمها بكل تأكيد . ولكى ألخص الامر فاننى شخصيا لمتأكد بأننا لن نحصل عليها بعد ، وعلينا ان نعقد اتفاق سلام » . وفي نفس الوقت أدرك رومل انه لا فائدة في اعتقاده بمحاولة اقامة سلام من وراء ظهر هتلر وحتى ينجح الغزو . فقد قال ، « لقد كنت سيد نفسى في أفريقيا ، وكانت القوات تتطلع الى في انتظار القرارات ، أما هنا فأنا مجرد نائب لهتلر » . وبما انه كان يخضع يوميا الى الدعاية المركزة ويعتقد ضمن آخرين في وجود الاسلحة السرية الغامضة . وفي الوقت الذى تبحث فيه الملفات عن أى فرد يتحدث عن الاستسلام باعتباره احد الخونة الى جانب ان صغار الضباط تحت امرته قد رفضوا ان ينصاعوا لاوامره ، كان لا بد من قيام احد المحاولات لصد الغزو وفي نفس الوقت ان يقوم ببعض الاستعدادات لوصول الحلفاء .

واحتال رومل كى يركب هذين الحصانين معا عن طريق جهد بطولى رائع للحفاظ على التوازن الذهنى . فقد بذل كل ما في وسعه كجندى لاثارة الجيش الخامل الواقع في الجبهة الغربية وأن يثير القوات بالايحاء اليهم بضرورة الاصرار على منع العدو من القيام بعمليات الانزال . كما عمل ليلا ونهارا على تحسين احوال المواقع الدفاعية المهملة لحائط الاطلنطى وقد اعلن في اوامره ان الحائط سيكون منيعا في وقت قريب . وقد وقع قادة الحلفاء أنفسهم فريسة لفكرة مبالغة عن قوته الفعلية فعندما نجحت عمليات الانزال ، قاتل مستأسدا بل مستميتا لكى يلقى بالغزاة من على الساحل . فاذا ما كان يعمل بفكر واحد فقط ، واذا ما كان يؤمن ضمنا بتنبؤاته، فلم يكن يستطيع ان يفعل أكثر من ذلك . كما لم يكن بامكان اى قائد ان يخاطر

بحياته وعلى هذا النحو أكثر من ذلك . وهكذا احتفظ بايمانه بولائه للفوهرر ولعمله. كما انه قد حافظ على ولائه للجيش ولم يكن هناك اية ثغرة في قراراته اثناء توليه القيادة . وبالرغم من انه كان يكره التضحية الغير ضرورية بالقوات في معظم الاحوال فقد زج بهم في هجمات مضادة ، مع كل التصورات التى يمكن ان يشعر بها الانسان فيما يمكن ان يحدث لهم . فقد قال لروج « اننى لم يسبق لى ان ارسلت أية أفراد لمثل هذا الموت المحقق » . ربما وضعت اساليبه القتالية وفنونه في التخطيط للمعارك محل انتقاد . الا أنه لم يوجد من جانبنا من فكر في أن يهاجمه بقسوة .

كما أنه في الوقت نفسه كان ينفذ بالحرف الواحد كل الشروط التى صاغها مع الدكتور سترولن في اجتماعه في فبراير . وقد وجه تقريره عن الموقف في الثانى عشر من يونيو تحذيرا واضحا الى هتلر بان الامور « صعبة للغاية » وأن تفوق قوات الحلفاء وخاصة من ناحية الجو ، جعل الامل ضعيفا في امكانية صد هجومه وفي السابع عشر من يونيو في صيو سننز كانت له المقابلة الشخصية التى اتفق على أن يسعى اليها. عندها اعطى هتلر بديلا عسكريا لطلب عقد اتفاق السلام – وهو أن يقيم خطا دفاعيا خلف الاورن . وعندما لم يؤذن لهم بذلك أثار مع فون رونشتد مسألة الوصول الى الى شروط اتفاقية سلمية مع قوى الغرب . وفي النهاية أرسل في الخامس عشر من يوليو رسالته الاخيرة الى هتلر . وقد اصيب قبل أن يتلقى ردا ، وفي الوقت نفسه قبل أن يتمكن من اتخاذ الخطة الاخيرة في التقارب مع قادة الحلفاء » وهذه هى المسألة الوحيدة في البرنامج المتفق عليه التى ظلت دون تنفيذ .

وكما يتبين فيما بعد فقد كان من الافضل لرومل أن يموت متأثرا بجراحه . فمعظم الرجال كان يمكن ان يموتوا على هذا النحو . الا انه قد أظهر مرة اخرى قدرته الخارقة وتكيفه غير العادى وحيويته . فقد بقى يومها البارون فون اسبك الذى استطاع ان ينجو بنفسه باعجوبة حيث انه كان يعتاد السفر مع رومل في مقر القيادة في السابع عشر من يوليو ليكتب « موضوعا » عنه ، ورآه في المستشفى في فيزينينه في حوالى الثالث والعشرين من يوليو . وكان يجلس على حافة سريره فقال عندها رومل « اننى مسرور بقدومك فقدكنت أخشى أن تكون الطبيب . انه لايسمح لى ان اجلس في سريرى » . ثم أضاف « اننى متأكد انه يظن أننى سأموت ، لكننى ليست عندى أية رغبة في الموت . ويمكنك ان تلتقط صورة لى » وعندها وقف وارتدى سترته العسكرية فوق ملابس النوم وجعل فون اسبيك يلتقط صورة فوتوغرافية جانبيه لتبين الجانب السليم الايمن من وجهه . وقال « ان البريطانيين سيدركون اذا ما رأوها انهم لم يتمكنوا من اغتيالى بعد » ثم استأنف الحديث بشكل طبيعى الى فون

اسبك واعاد ما سبق ان اخبره به في الثاني عشر من يونيو ، بعد ان كتب تقريره الى هتلر ، أن الحرب قد ضاعت وقد قال فون اسبك « لقد كان يشعر بمرارة خاصة للفشل الذريع الذى حل بطائرات اللوفت واف ولم يذكر أى شيء عن محاولة اغتيال هتلر .»

وقد قام كل من سبيدل وروج بزيارة رومل بعد بضعة ايام من اصابته فوجدوا انه قد نجح في ان يحلق ذقنه بنفسه ! وقد عنف رومل بشدة أحد الجراحين سيء الحظ برتبة مقدم عندما أخبره بضرورة التواجد في سريره دون حركة حيث قال رومل ، لا تخبرني ما ينبغي وما لا ينبغي ان أفعله ، فأنا أعرف ما يمكنني عمله » . وتابع روج زيارته بعد ذلك كل يوم على وجه التقريب لكي يقرأ له . فقال ، « لقد قرأت كتابا بعنوان نفق كيلرمان ، وكان عن بناء نفق من أوربا الى الولايات المتحدة ، وقد كان هذا هو نوع القراءات التي يميل اليها تماما . وكان من عاداتنا ان نتحدث عن فترة ( ما بعد الحرب ) وقد كانت مسألة الارتفاع والانخفاض الشديد لحركة المد والجزر على الساحل البريطاني تترك لديه انطباعا قويا . وكان يقول انه يود ان يصمم مشروعا لتوليد الطاقة من حركة المد والجزر . وفي كل الاحوال كان يود ان يقوم بأى عمل فني وواقعي » .

وكان رومل يتحدث بحرية مع اللواء البحرى روج عن المؤامرة . فقد قال « انه لمن اكبر الاخطاء ان تحوم من حولها ، فان الرجل شيطان على هيئة انسان فلماذا اذا نحاول ان نجعل منه بطلا او شهيدا ؟ . فالمفروض أن يعتقل بواسطة القوات المسلحة ثم يقدم الى المحاكمة . وان اسطورة هتلر لن تنتهي حتى يعرف الشعب الالماني الحقيقة كاملة .

وقال روج ، « لقد كنت اخشى على رومل وكنت اتمنى لو تيسر وقوعة في أيدى البريطانيين . ولكن بما أننا كنا أصدقاء لم تتوفر لى الشجاعة في أن أطرح ذلك عليه . وفي كل الحالات عقد العزم على العودة الى منزله .

وفي الثامن من أغسطس وبرغم اعتراضات البروفسير اتش . وهو المسئول الطبي العسكرى في فيزينية والدكتور شننج من فرقة الجيش ( ب ) أصر رومل على أن ينتقل الى منزله في هيرلنج. وتقول السيدة رومل « لقد كان مصرا على الايقع باصابته البالغة في أيدى العدو » . وقد صحبه كل من الطبيبين . ووضعوه تحت رعاية الاطباء الاساتذة البرشت وستوك من العيادة الطبية بجامعة طوبنجن . وكان البروفسير البرشت متخصصا في جراحة المخ . وعندما فحص اصابات رومل قال ،

« لا بد لى من مراجعة محاضرتى مع طلبتى مرة أخرى فلا يمكن لاى انسان ان يستمر في الحياة وهو مصاب على هذا النحو » . وأضاف بأنه يفضل لو ان روميل انتقل الى عيادته في طوبنجن ( من اجل سلامته ) .

وعلى عكس كل التوقعات شفيت جروحة بسرعة . وبدأ روميل يقوى يوما بعد يوم . وفي نفس الوقت وجدت السيدة روميل انه من الغريب ان احدا من اصحاب المقامات الرفيعة في المانيا او من قيادة الجيش قد كلف خاطره بأن يقوم بالاتصال الهاتفى ليستفسر عن حالة روميل .

وليتها كانت تعلم ، بأن قبضة هتلر بدأت تضيق حول زوجها . فقد كان يشار اليه باصبع الاتهام في كل الاحوال ، بسبب ا رائه « الانهزامية » التى كان قد عبر عنها صراحة . الا أنه كان هناك اتهاما مباشرا موجها اليه . ففى مساء العشرين من يوليو عندما تبين ان المحاولة قد فشلت وان هتلر حيا ومازال يعطى أوامره . وقد استدعى الجنرال هنرتش فون ستالب ناجل بواسطة المشير فون كلوتمة الى لاروش جيون . وكان فون كلوتمة متهما بالاطلاع سرا على المؤامرة لكنه لم يكن له دور نشط فيها . فلو كانت قد نجحت ، لذهب الى المتآمرين علانية ولطالب بنفسه تحالفا بعقد اتفاقية هدنه . وحسبما سارت الامور فقد كان رأيه انه ليس هناك ما يمكن عمله . وقد تحدث كثيرا الى فون ستالب ناجل بهذا الخصوص . وقد أفزعه انه علم في ذاك الوقت قبل مغادرته لباريس ان فون ستالب ناجل قد امر باعتقال البوليس السرى النازى وشرطة أمن القوات الخاصة . والاكثر من هذا فانه كان يتوقع ان ينفذ فون كلوقه الخطة الاصلية . عندها اوضح فون كلوقه في الحال انه ليست لديه أية نوايا في أن يقوم بأى عمل من هذا النوع وبعد مناقشة عصبية أخبر فون ستالب ناجل بأن يعود الى باريس ويطلق سراح القوات الخاصة فورا .

وسريعا ما حاول قائد القوات الخاصة وهو الجنرال اوبرج الى تهدئة الامور والتظاهر بان اوامر فون ستالب ناجل لاعتقال القوات الخاصة كانت مجرد تدريب. ومع ذلك ففى اليوم التالى جاءت رسالة موجهة الى الجنرال فون ستالب ناجل ان يعد تقريرا الى مقر القيادة في برلين . وانطلق في سيارة . ولم يدرى أى فرد في أى لحظة اثناء هذا الطريق الطويل قرر أن ينهى حياته . ربما حدث ذلك عندما اقترب من مدينة فردين حيث كان قد قاتل ببسالة في المعركة الدامية في الحرب الاولى . وتلك على أى حال كانت المنطقة التى اختارها . فقد جعل سائقه يأخذ السيارة الى حافة قناة ميوز ويتركه هناك . فسحب وهو ينزل الى الماء مسدسه وأطلق طلقة على نفسه

عند الرأس . الا أنه لم ينجح الا في الفتك بعينيه . عندها سمع السائق الطلقة ، وأكتشف مكانه وسحبه من الماء . وانطلق به فاقد الوعى الى مستشفى ببرلين وهناك اجريت له عملية وازيلت احدى عينيه وعندما استعاد وعيه صاح ستالب ناجل لعدة مرات « رومل » ! وحسب ما جاء على لسان العقيد ولفجانج مولر فقد كان الجراح الذى قام بالعملية على اتصال بالبوليس السرى النازى في باريس . وحسب ما جاء على لسان جنرال سبيدل فان رجال القوات الخاصة والبوليس السرى النازى كانوا يحيطون بسريره في المستشفى وربما كان التناقض في التوقيت فقط . فقد سمعه رجل البوليس السرى النازى في المرة الاولى او الثانية وقد اكمل الجنرال فون ستالب ناجل رحلته الى برلين بصحبة رجال البوليس السرى النازى . وهناك عذبوه ولا يدرى احد ما قاله ، اذا كان قد قال شيئا يزيد على هذا بالفعل . فقد قال ما فيه الكفاية وهو في حالة الهذيان . فما أن فرغوا من تعذيبه حتى حوكم وشنق ويقول سبيدل انه كان رجلا شريفا شجاعا . ومما يؤسف له أنه لم يوفق في تصويب مسدسه الى رأسه . وعندما استدعى المشير فون كلوقه أيضا الى برلين في الثامن عشر من اغسطس ، قرر ان يقتفى اثر صاحبه ، فتناول السم الذى لم يخطئه .

ومرت الاسابيع هادئه في هيرلنجن ، وكانت الاحداث الوحيدة التى تمت هى الزيارات التى قام بها البروفسير البرشت ، وكان مغتبطا لتقدم حالة مريضه الصحية. وقد استطاع رومل ان ينهض ويجلس في الحديقة تحت أشعة الشمس وسريعا ما بدأ يقوم بجولات للتنزهة . وقد وقعت حادثة غريبة وحيدة أثناء فترة نقاهته ، ففى منتصف اغسطس ، بعد عودته الى منزله بقليل ، حاول احد الافراد ان يدخل الى منزله عن طريق احد الممرات السرية الذى يؤدى الى مخبأ الغارات الجوية . وفر عندما اوقفه الحرس واطلقوا عليه النيران . ولم يعر احد هذا الموضوع اى اهتمام. فقد كان هناك العديد من الشخصيات الغريبة ، الباحثين عن المأوى ، والاسرى الهاربين والعمال الاجانب في الطريق الى المانيا اثناء صيف ١٩٤٤م .

وفي السادس من سبتمبر حضر زائر غير متوقع الى رومل . فقد جاءه الجنرال سبيدل في منزله ليخبره بأنه قد عزل من وظيفته كرئيس لاركان مجموعة فرقة ( ب) في اليوم السابق ، وعليه في الغد ان يحضر لمقابلة الجنرال جودريان وهو رئيس اركان هيئة القيادة الان في برلين . وقالت السيدة رومل ، « انه قد اخبرنا ان كيتل وجودل كانا يتحدثان عن زوجى كأحد « الانهزاميين » وحذروه بالاحتراس منهم . وتصور زوجى انهم يبحثون عن شخصية يلقون عليها اللوم لما جرى للحالة العسكرية في الغرب . وكان يعتقد ان هذا يفسر السبب في أن الصحافة الالمانية والاذاعة قد أشارت

الى حادثته » ولم تذكر ولم تشر الى مهاجمة العدو والسبب في تباطئهم في نشر الخبر الذى نشرته الصحف الاجنبية قبل ذلك بعدة ايام .

ولم يعط الجنرال سبيدل الفرصة للوصول الى برلين . فربما كان يخشى منه ، اذا ما اخطأو فهم شخصيته ان يحاول سلوك الطريق السهل مثل المشير كلوغه والجنرالات بيك وفون ستالب ناجل وآخرين . ففى الساعة السادسة صباحا كانت هناك طرقة قوية على باب منزله في فرودن ستادت . وكان الطارق احد ضباط القوات الخاصة ومعه احد الحراس المسلحين . وكان على جنرال سبيدل ان يصطحبه على الفور . وقد كان على عجلة من امره لدرجة انه لم يقم بتفتيش المنزل . وقد تمكنت السيدة سبيدل من أن تنقل احدى الصور الفوتوغرافية للجنرال بيك التى كانت معلقة « وما زالت معلقة » في مكان لائق في حجرة الجلوس . كما تمكنت ايضا من اخفاء بعض الاوراق المعينة . وحمل زوجها بالسيارة الى شتوت جارت ومنها بالقطار مع حراسة مشددة الى برلين وسجن البوليس السرى النازى في برنز البرشت ستراس واتصل مساعده الخاص هاتفيا بهيرلنجن في الصباح واخبر رومل بهذا الاعتقال ولم يعلن عن هذا الاتصال رسميا بالرغم من ان رومل كان من الناحية الرسمية ما زال قائدا لفرقة الجيش ( ب ) . وكتب رومل رسالة احتجاج الى هتلر شخصيا التى ارسل بها الى سب ديترش يطلب تقديمها الى الفوهرر . واذا ما كانت قد قدمت الى هتلر فلم يرسل عنها أى رد .

وبعد ظهر ذلك اليوم حذر بعض الاصدقاء في هيرلنجن السيدة رومل هاتفيا ان هناك اثنين من المشبوهين قد شوهدا بالقرب من منزلهم . وعلى ما يبدو فقد كان يحاولان ان يتقصيا الاخبار . وعندما اقتربوا منهم اختفوا . وقد تمكن الدنجر من اثبات انه في الساعة الثالثة والنصف مساءا كان الرجلين واحدهما يضع على عينيه نظارة سوداء قد اتخذوا مواقعهم في الغابات المجاورة على احدى الهضاب خلف المنزل . كما علم ايضا انهما يحملان جوازات سفر جديدة تفيد بأنهما مهندسان من ريجنز بيرج . وقد قال انهما مكلفان ببعض الاعمال العسكرية وأنه قد تم نقلهما الى منطقة هيرلنجن وقد ادلى مالك احد الفنادق الصغيرة المحلية ايضا ويدعى اوجوتنت بوتشر بحديث الى سكرتير رومل ، والذى كان معه لسنوات عديده بان للرجلين سيارتين تنتظرانهما بالقرب من فناء الفندق .

وفي المساء خاطر سترولن بالحضور من شتوت جارت الى هيرلنجن بعد ان علم باعتقال سبيدل فوجد ان المنزل محاطا بافراد للحراسة وان رومل في حالة معنوية

سيئة ومنزعجا الى حد ما ، وأشار اليه ان يكون حديثه همسا . فقال روملي تتسلل مجموعة الى المنزل لتسترق السمع . وكان على مكتبه مسدسا . فسأله سترولن فيما يود ان يستخدمه . فرد روملي « اننى لا اخشى الانجليز او الامريكان ، اننى اخشى الروس . والالمان فقط » . ثم اطلع سترولن على نسخة من الرسالة التى قام بارسالها الى هتلر وتناقشا فيما اذا كان هناك أية امكانية لمساعدة سبيدل وشرح روملي انه قد قام بالاتصال الهاتفى بقيادة الجيش الا أنه لم يحصل على جديد كما انهم لم يخبروه عن سبب اعتقال رئيس اركانه . وكانت تلك هى آخر مرة يرى فيها سترولن روملي حيا . فقد اتصلت به هاتفيا بعد ذلك بقليل السيدة روملي لتطلب الا يأتى الى منزلهم مرة أخرى . فهى بالفعل تخشى البوليس السرى النازى .

وكان هناك زائر آخر بعد بضعة أيام . وكان هذا هو ماير رئيس الحزب المحلى من مدينة اولم . وقد حضر باعتبار انه احد الاصدقاء ، وسأل روملي ، بينما هما يتناولان الشاى اذا ما كان يثق بخدمه . فان رئيس القوات الخاصة في اولم قد اخبره ، على حد قوله ، بان روملي لم يعد يؤمن بامكانية تحقيق النصر وأنه دائما ما يقوم بنقد هتلر والقيادة العليا . وحتى مانفرد نفسه قد شعر بان والده يتحدث بحرية أكثر مما يجب الى ماير . فقد قال « أى نصر ! لما لا تنظر الى الخريطة ؟ ان البريطانيين هنا ، والامريكيين هنا ، والروس هنا : فماذا يجدى التحدث عن النصر ؟ « وعندما كان الماير يتحدث بشأن هتلر ، كان روملي يجيب « ذاك الغبى اللعين » وطلب منه ماير ان يكون أشد حرصا. وحذره قائلا ، « لا يجب عليك سيدى المشير ان تقول مثل هذه الكلمات والا فان البوليس السرى النازى سيسعى في طلبك — ان لم يكن يسعى في طلبك الان بالفعل .»

وقد كتب احد الصحفيين الايطاليين اخيرا رواية تضمن ان ماير قد عاد الى بيته ليكتب تقريرا عن هذا اللقاء في ثلاثين صفحة والذى اخذه في اليوم التالى الى برلين وسلمه شخصيا الى بورمن . الا ان اسرة روملي لم تصدق هذه الرواية ، فان ماير الذى جاء من هيدنهيم قد أمضى عدة شهور مع مانفرد في احد معسكرات الاسرى الفرنسية في ليندو . وقد اكد له انه ليس لديه ادنى شك في ان والده قد اغتيل . وقد مات في احد معسكرات الاعتقال الامريكية . ولا يمكن استجوابه وربما كانت القصة في نفس الوقت حقيقة واقعة ، فان استخدام الجواسيس كان احدى حيل النازى القديمة . ومضى شهرا قبل ان يتم التحرك التالى . وكان روملي في ذلك الحين قد تمكن من أن يخرج بسيارته الى توبنجن للعلاج . وكان مقررا لذلك العاشر من أكتوبر . وفي السابع من اكتوبر جاءت رسالة هاتفية من المشير كيتل وتتضمن الرسالة حضور روملي الى برلين في العاشر من أكتوبر من اجل لقاء هام وسيخصص

له قطارا خاصا في مساء التاسع . واتصل رومل هاتفيا بالبروفسير البرشت لكى يقوم بتأجيل علاجه ، معللا بأنه قد استدعى الى برلين . فقام كل من البرشت وستوك بتوجيه النصح اليه بشدة بالا يقوم بمثل هذه الرحلة الطويلة فأخبر رومل الدنجر ان يتصل بكيتل شخصيا . وقد رد على الهاتف من الناحية الاخرى الجنرال بيرج دورف وهو رئيس الشئون الادارية بالقوات المسلحة . وتقول السيدة رومل ، « وقد تحدث زوجى اليه بنفسه وكنت والنقيب الدنجر في الحجرة . وطلب اليه ان يخبر المشير كيتل ان الاطباء لم يسمحوا له بالسفر وهو في حالته الصحية الراهنة . ثم تابع حديثه ليسأل ما الخبر وعما اذا كان من الممكن ارسال احد الضباط ليراه . فرد الجنرال بيرج دورف بأن الفوهرر قد اعطى تعليمات بأن المشير كيتل لا بد ان يجتمع معه لمناقشة وظيفته المستقبليه » . ولم يكن رومل يتوقع أن يسند اليه اى عمل مرة أخرى ، بعد ما جرى بينه وبين الفوهرر . وعلى كل حال فانه من الناحية الصحية لا يمكن ان يكون لائقا لقيادة فعاله لعدة شهور وقد ترك هذا الحديث لدى الدنجر انطباعا بأن رومل قد اصبح متوترا ، الا ان رومل لم يكن يفضى اليه بدخيلة نفسه في ذاك الحين . كما انه لم يذكر اى شيء لزوجته بالرغم من خوفها عليه منذ اعتقال الجنرال سبيدل . وفي صباح ذلك اليوم عاد مانفرد الى بطاريته المضادة للطائرات .

ومرت خمسة أيام ولم تصل من برلين اية كلمة تزيد على ذلك . وفي الحادى عشر من أكتوبر جاء اللواء البحرى روج الى منزله لتناول العشاء وقضاء ليلته معه هناك وتحدثا معا الى ما بعد منتصف الليل وأخبر رومل روج عن الامر الذى صدر اليه بالتوجه الى برلين وأخبره لرفضه لذلك بسبب عدم استطاعته صحيا القيام بذلك وأضاف قائلا « اننى لن اذهب الى برلين : فلن اتمكن من الوصول الى هناك وانا على قيد الحياة ». ويقول اللواء روج ، « وأبديت ازدرائى في أول الامر » الا أنه استأنف حديثه قائلا . «انى أعلم بانهم سيقومون باغتيالى اثناء الطريق ليعللون الامر بانها مجرد حادث وانى لا اظن ان تلك كانت العقيدة التى هيمنت عليه بعد ذلك بيومين .

وفي الثالث عشر من أكتوبر جاءت مكالمة هاتفية من مقر قيادة فرقة الحرب الخامسة في شتوتجارت . وتلقى المكالمة احد الجنود العاملين بالمنزل حيث أن رومل والدنجر كانا خارج المنزل . وقد كلف الجندى بأن يبلغ المشير بان الجنرال برجدورف سيصل ظهر اليوم التالى الى هيرلنجن . وسيكون بصحبته الجنرال مايزل . وكان الجنرال مايزل هذا ايضا من الشئون الادارية . ومنذ العشرون من يوليو كان مشغولا ببحث قضايا الضباط المشكوك في اشتراكهم في المؤامرة ضد هتلر . وعندما تلقى رومل هذه الرسالة لم يعلق بالقليل من الكلمات . فقد المح الى الدنجر ان الجنرالين

قادمان بلاشك ليتحدثان بشأن احتمال الغزو أو بشأن اسناد عمل جديد له . أما بقية اليوم فقد خلد الى الصمت .

وفي صباح اليوم التالى وصل مانفرد في أجازة بقطار الساعة السادسة صباحا فوجد ان والده قد استيقظ من نومه . فتناولا معا طعام الافطار وقاما بنزهة طويلة على الاقدام . واخبر روميل ابنه بشأن الزيارة المتوقعة . فسأل مانفريد « وماسبب زيارتهم ، هل هناك وظيفة جديدة لك ؟ . فأجاب روميل ، « هذا ماقالوه » وظن مانفريد ان والده كان يبدو مضطربا . ومع ذلك فقد استجمع الوالد نفسه وبدأ يحدث الابن عن مستقبله وعن شئونه الخاصة . فقد أراد روميل وقتها ان يمثل دور الطبيب بدلا من دور رجل القوات المسلحة . وعندما عادا الى المنزل كانت الساعة الحادية عشر صباحاً .

وعند الظهر على وجه التحديد وصل الجنرال برجدورف مع الجنرال مايزل والرائد ارنبرجر وهو احد الضباط العاديين الاخرين . وقد جاؤا في سيارة خضراء وكان السائق يرتدى زى القمصان السود الخاص بالقوات الخاصة . وقام الجنرالين بمصافحة روميل . وقدم روميل اليهم السيدة روميل ونجله مانفرد والنقيب الدنجر . وبعد فترة قصيرة قال الجنرال برجدورف بأنهما يريدان التحدث الى المشير على انفراد . فصعدت السيدة روميل الى غرفتها . وقاد روميل الجنرال برجدورف الى أحدى الغرف بالدور الارضى وتبعهما مايزل . وعند انتقالهما التفت روميل الى الدنجر واخبره بأن يعد الاوراق . فقد كان قد نبه الدنجر واخبره بأن يعد قائمة بأوامره ويضعها في ملف مع تقارير عن الموقف كان قد اعدها خلال معركة نور مندية ، حيث انه كان يشك في أنه ربما يتعرض لموقف المساءلة عن مسألة الغزو ، وبالطبع فأن ملف الدنجر كان معداً وتحت الامر . وبقى الدنجر مع الرائد ارنبرجر خارج البوابه الامامية للمنزل بينما صعدا مانفرد كي يستكمل تلويين بعض الخرائط الخاصة بوالده . وبعد ساعة تقريبا خرج الجنرال مايزل . وتبعه بعد دقيقة أو دقيقتين الجنرال برجدورف . ولم يكن روميل معهم . فقد صعد الى زوجته بالدور العلوى .

وقالت السيدة روميل ، « عندما دخل الى الحجرة كانت التعبيرات المرسومة على وجهه غريبة ورهيبة لدرجة انى صحت في وجهه في الحال ( ماذا حدث لك ؟ ) ماالخبر ؟ هل انت مريض ؟ « فنظر الى وأجاب ، » لقد جئت لاودعك فاني سأقتل في مدى ربع ساعة من الآن ................ فانهم يشكون في أني قد

اشتركت في محاولة قتل هتلر . فيبدو ان اسمى كان ضمن قائمة الاسماء التي ضبطت مع جورلدر على أن اكون رئيساً لالمانيا .......... مع أنني لم ار جورلدر طيلة حياتي ............. وانهم يقولون بأن فون ستالبناجل والجنرال سبيدل والعقيد فون هوفاكر قد اتهموني ............. انه الاسلوب التقليدى في مثل هذه الحالات .................. وقد أخبرتهم بانني لا أصدق كل ماتقولوه وان هذا لا يمكن ان يكون صحيحاً ............. ان الفوهرر قد خيرني بين أمرين اما ان اتناول السم أو ان احاكم أمام محكمة الشعب . ولقد احضروا السم معهم . ويقولون انه سريع المفعول وسيؤدى الغرض في أقل من ثلاث ثوان فقط » . وتوسلت السيدة روملل الى زوجها ان يذهب الى المحاكمة فانه لم يشترك في محاولة قتل هتلر على الاطلاق كما انه لم يسبق له أنه وافق على مثل ذلك ، فرد روملل ، » لا ، انني لا أخاف المحاكمة امام الشعب ، حيث أني استطيع ان ادافع عن كل ماقمت به من اعمال . لكنني اعلم بانني لن اتمكن من الوصول الى برلين وأنا على قيد الحياة .

وعندما كان يستأذن من زوجته للخروج ، دخل مانفرد الى الحجرة وعلى وجهه علامة الغبطة والسرور ، كي يرى ماتبقى من والده . وكان الجنرالات في انتظاره . وودع روملل نجله ايضا ثم استدار ليدخل الى الحجرة التالية . وتبعه مانفريد مسرعا . ونادى روملل على تابعه الجندى وأرسله ليبحث عن الدنجر . وشرح الامر بكل تفصيلاته الى الدنجر . وكان قد بدأ يتمالك نفسه الا أن الدنجر استطاع ان يسمع نحيب السيدة روملل في حجرتها . ولم يكن الدنجر ليقبل الامر على هذا النحو . فقال له ، « لقد اخبرته انه ينبغى عليه أن يقوم على الاقل بمحاولة للهرب ولما لا نحاول ان نهرب معا ؟ » فلقد قمنا من قبل في مثل هذه المواقف السيئة واستطعنا الهرب مع ذلك ، فقال ، » ان هذا لا يفيد ياصديقى فالموقف هو كما يلى . أن كل الشوارع تسدها سيارات القوات الخاصة كما ان رجال البوليس السرى النازى يحيطون بالمنزل فلن نتمكن من العودة الى القوات كما أنهم قد قطعوا اسلاك الهاتف فانا لا استطيع حتى أن اتصل بمقر القيادة ، فقلت لهم انه بامكاننا على الاقل ان نطلق الرصاص على برجدورف ومايزل ونقتلهما فقال روملل ، (لا) انهم ينفذون الاوامر فقط . وبالاضافة الى ذلك انه لابد لى أن افكر بشأن ابنى وزوجتى ، ثم اخبرني انه قد تلقى وعداً بانهما لن يتعرضا لاى أذى اذا ما اختار تناول السم . كما انه سيصرف لهما معاشا وانه سيقام له جنازة رسميه وأنه سيدفن بمنزله في هرلنجن . وقد تمت جميع الترتيبات الخاصة

بالجنازة وشرحت له كل تفاصيل ................... اما اذا ما اختار المحاكمة فانه بعد أن يدان بطبيعة الحال فسيختلف الامر ............... وقال ، « لقد تحدثت مع زوجتي بهذا الخصوص واتخذت قراري ، فانني لن اسمح لنفسي بان اشنق بواسطة ذلك الرجل هتلر . انني لن لم اقم بأي خطة للقتل ، انني كنت احاول ان اقوم بخدمة بلدي فقط ، كما كنت افعل طيلة حياتي ، الا أن هذا هو ماينبغي على أن افعله الآن . فعلى مدى نصف ساعة ستأتي مكالمة هاتفية من اولم لتقول بأنه قد وقع لي حادث وانني قتلت ، وكان روميل اذا ما اتخذ قراراً يصبح الجدال معه بلافائدة ............... ويشعر بعض المتآمرين القلائل الذين نجو انه كان ينبغي على روميل ان يصر على ان يحاكم امام محكمة الشعب ثم يضرب من هناك ضربته الاخيرة باتهامه لهتلر من أجل المانيا . فان ظهوره في قفص الاتهام على حد قولهم كان يمكن أن يزعزع الثقة في النظام كله ، ولوكان روميل اكثر تعصبا ، ولوكان على استعداد للتضحية بزوجته وابنه ، ولوكان في صحة أفضل ولو كان متأكداً من امكانية وصوله الى المانيا ، ولوكان على استعداد ان يقبل اتهامه بالخيانة وان يموت على حبل المشنقة ، وربما دون ان تتاح له فرصة الكلام لاختلف اختياره . فان قضيته الحقيقية قابلة لجدال لا ينتهي : الا أن الاختيار سواء بطولي هو ام لا كان يجب اتخاذه على مدة ساعة واحدة .

فما ان اتخذ قراره حتى نزل روميل مع مانفرد والدنجر . وكان الجنرالات ينظرون الى الحديقة . ثم جاءوا الى السيارة ودخل فيها روميل أولا في المقعد الخلفي . ثم تبعه بيرج دورف ومايزل . أما الرائد ايرن بيرجر فقد غادر في الحال ليرتب الامور وانطلقت السيارة .

وبعد خمس وعشرين دقيقة دق جرس التليفون . ورد عليه الدنجر . وكان المتحدث هو الرائد ايرن بيرجر ، وكان يتحدث من اولم . وقال ، « لقد حدث شيء رهيب يا ألدنجر. ان المشير قد اصيب بنزيف مفاجيء في المخ وهو في السيارة وقد مات » ولم يجب الدنجر على ذلك بأي كلمة . فسأله ايرن بيرجر ، « هل سمعت ماقلته لك ؟ فاجاب الدنجر ، « نعم سمعت» فرد ايرن بيرجر « أرجو ان تخبر السيدة روميل أنني عائد الى المنزل في الحال » . ومشى الدنجر ببطء ليصعد الدروج الى أرملة روميل . وكان في غير حاجة الى حديث وبعد نصف ساعة سمع صوت سيارة على الطريق . فذهب الدنجر الى الباب . وقال ايرن بيرجر انه يرغب في رؤية السيدة روميل . واجاب بانها لا تستطيع أن تستقبله ولم يصر ايرن بيرجر على مقابلتها . وذهب في السيارة مع الدنجر ، في صمت الى

المستشفى في اولم . وادخل الدنجر الى حجرة صغيرة حيث كانت ترقد جثة روومل وقال الدنجر ، « لقد كنت اود ان اكون بمفردى معه ، الا أن ايرن بيرجر لم يتركني لحظة .

وسالت الدموع على وجنتيه وهو يحكى لى القصة ، فقد كان صديقاً لروومل على مدى ثلاثين عاما ، كما كان روومل بالنسبة له مثله الاعلى . فليس من السهل على مثل هذا الرجل الضئيل الجسم ، والذى كان يمكن أن يقضى حياته كلها في بعض المكاتب الحكومية قد مر بمثل هذه المعارك العديدة في فترة مابين الحربين . وكانت زوجته الصغيرة الجميلة البدينة تبكى في هدوء اثناء حياكة ملابسها بعد ان تركت المنضدة . ففى هذا المنزل لايمكن ان ينسى روومل .

وبينما كان الدنجر في الخارج جاء الى المنزل في هيرلنجن العقيد كوزمان وهو قائد القوات في اولم وقابلته السيدة روومل . وقد كان في شدة التأثر رغم انه لم يكن في شك من الحقيقة . فقد قال بعد نقل روومل الى المستشفى مباشرة ان الجنرالين برجدورف ومايزل قد جاءوا الى مقر قيادته ليعلنوا عن الوفاة المفاجئة للمشير . ثم أمراه بان يعد الترتيبات لجنازة رسمية .

واخذ الدنجر السيدة روومل ومانفريد بالسيارة الى المستشفى في وقت متأخر بعد ظهر ذلك اليوم . فأخبرهم الضابط الطبيب المسئول في المستشفى ان — الجنرالين قد احضروا اليه روومل ، ميتا ، في الواحدة والخمس والعشرين دقيقة بعد الظهر . وبناء على اوامرهم فقد حقنه باحدى الحقن لتنشيط قلبه . وقال الطبيب بصوت فاتر ، « الا انه لم يكن هناك أى استجابة » . وأحس الدنجر بانه كان على وشك ان يقول شيئا آخر الا أنه لم يجرؤ على ذلك » ومع ذلك فقد اضاف بالفعل بان الجثة لم تخضع للتشريح لمعرفة سبب الوفاة ............... وكان هذا تنفيذاً لاوامر عليا . ثم قادهم الى الغرفة . وقد قالت السيدة روومل ، « وعندما رأيت زوجى لاحظت في الحال تعبيراً مرسوما على وجهه يعطى انطباعا بالازدراء الشديد . وكان تعبيرا لم نر على وجهه مثله اثناء حياته ، » ومازال هذا التعبير حتى على وجه تمثاله » .

وفي مساء اليوم التالى ، اى الخامس عشر ، ذهبوا الى محطة السكة الحديد لمقابلة شقيقه روومل التى قاموا باستدعائها من شتوت جارت . وقد صدرت الاوامر الى الدنجر بأن يحضر الى مقر القيادة العسكرية في اولم واخذوه هناك وهو مازال في الطريق . وقالت السيدة روومل ، « وبينما كنا ننتظر في الخارج ، ظهر

الجنرال مايزل فجأة واقترب من السيارة وبدأ يقدم الى مواساته وتعازيه . فأشحت بوجهي عنه دون أن اتكلم بل اني تظاهرت بأني لم أر يده الممدودة الى وقال الدنجر ان مايزل قد سأله أين السيدة روميل وكيف تلقت الخبر ؟ وقال الدنجر ، « في السيارة في الخارج ، وكيف تظن انها استقبلته ؟ » وعندما رأت شقيقته جثة أخيها لاحظت هي الأخرى في الحال نظرة الازدراء التي لاحظها الاخرون في الليلة السابقة . ولم يكونوا قد اخبروها بكيفية موته التي مات بها بعد .

ونقلت جثة روميل الى المنزل ثانية ، حيث وضعت تحت علم الصليب المعكوف وكان وجهه مكشوفا » وفي نفس الحجرة التي قابل فيها الجنرالين . وبناء على أوامر من اولم وقف على رأسه اثنان من ضباط الحرس وسيوفهما مسلولة .

وذهب الجنرالين برج دورف ومايزل الى برلين وبعد مغادرتهما اكتشف الدنجر أن غطاء رأس روميل وعصا المارشالية قد اختفت فطلب الجنرال برج دورف على الهاتف وطلب منه ضرورة عودتهما ومعهما كافة الاوراق التي اخذت من الجثة . وبالفعل تم ارجاع غطاء الرأس وعصا المارشالية ولم تعد رسالة روميل في الخامس عشر من يوليو وهي النسخة التي كان يعلم الدنجر انها في جيب سترته . وقتل برج دورف في معارك الايام الاخيرة في برلين . أما مايزل فلايزال حيا في المنطقة الامريكية وأمام احدى المحاكم الالمانية التي كان يحاكم امامها في فرانكفورت منذ سنتين قال مايزل بان السيارة قد توقفت على بعد مئات من الياردات من المنزل في طريق بلنبريت . وصدرت اليهما هو والسائق الاوامر من الجنرال برج دورف بالنزول من السيارة لانه يرغب في الانفراد بروميل . « وبعد نحو خمس دقائق تقريبا لاحظنا ان الجنرال برج دورف قد غادر السيارة ليسير جيئة وايابا على طول الطريق . وبعد خمس دقائق أخرى أشار الينا . وعندما اقتربنا رأينا المشير منحيا على المقعد الخلفي « بعد أن فارق الحياة » وقد قال سائق السيارة التابع لفرقة القمصان السود ويدعى دوز بأن روميل قد انتفض الى أعلى وهو يتنهد الا انه كان من الواضح انه فاقد الوعي اثناء موته بالفعل وكان رجال القوات الخاصة من الخبراء في مثل هذه الامور ، وأعادة دوز الى جلسته العادية ، وألبسه غطاء رأسه الذى كان قد وقع على الارض . وقال مايزل أيضا أمام المحكمة انه لم يكن يود ان يصدق ان روميل وهو من المقربين الى هتلر ، كانت له أية علاقة بمحاولة اغتياله الا أنه عندما قرأ الجنرال برج دورف قرار الاتهام وكان يتكون من ورقتين من الحجم الكبير مطبوعتين على الآلة الكاتبة » تبين من تصرف روميل ماجعلني أشعر بأن قرار الاتهام كان صحيحاً مائة في المائة ولم يكذب قصته أحداً . وقد استدعيت

السيدة رومل لتدلى بشهادتها الا انها رفضت كى لا ترى وجه الجنرال مايزل مرة أخرى ، حتى وهو في قفص الاتهام . وتأجلت القضية من اجل الاستماع الى مزيد من الشهود .

وفي صيف عام ١٩٤٩م اعلن عن اتهام الجنرال مايزل في الباب الثاني من قانون اللانازية . وحكم عليه بالسجن لمدة عامان نتيجة لادانته . وحيث أن مايزل كان رغم الاعتقال لمدة تزيد عن العامين اثناء نظر قضيته فيصبح بذلك الحكم قد تم تنفيذه . ولقد وصف البعض برج دورف لى على انه «جزار عربيد بذيئا» وعن مايزل قال احد الجنرالات الذين كانوا على اتصال به ، «اذا كان هناك أى عمل قذر خفى يجرى في مكان ما فمن المؤكد ان تجد مايزل وراء هذا العمل بشكل او بآخر .

وقال الجنرال جوان كرامر وهو من الفيلق الافريقى ، «انى أريد ان اضع يدى هاتين على الجنرال مايزل .

وبدأ فيضان البرقيات ورسائل التعازى تتابع عند الاعلان عن وفاة رومل . فأرسل هتلر برقية قصيرة في السابع عشر من اكتوبر هذا نصها :

«أرجو ان تتقبلى احر العزاء لفقد زوجك ، وأن اسمه سيظل متصلا بالقتال البطولى في شمال أفريقيا» ، ويلاحظ أن البرقية لم تذكر شيئا لا عن اصابته ولا عن نورمندية .

ولقد عبر الدكتور جوبلر وزوجته ايضا عن عمق مشاعر المواساة . وقال جوشم فون رينتوب أنه قد تأثر كثيراً لسماعه بنبأ وفاة رومل» كنتيجة لجروحه البالغة في فرنسا» ولقد أكد للسيدة رومل بأن نجاحه يرجع الى احداث هذه الفترة العظيمة «كتب كلرنج بعد ذلك فقال» انه كانت هناك اوقات اختلفت فيها معه ، فغالبا ما كان لا يتفهم وجهة نظرى .............. (ولكننى) كنت في غاية السعادة عندما اختير ليتولى قيادة هامة في الغرب بأننى كنت اعلم ان خبرته في القتال ضد البريطانيين والامريكان ستكون ذات اثر كبير .............. فان نشاطه وشخصيته الملهمة وسرعة بديهيته كان يمكن ان تحول دون وقوع كثير من الاحداث التى كان من الممكن منعها» . وكتب الجنرال جمبارا ، وهو من احسن القادة الايطاليين انه ، سيعيش دائما في قلوب وأذهان اولئك الذين كان لهم شرف لقائه مثلى ، فقد كان دائما هادئا شجاعا اثناء القتال» . وأصدر موديل ، وهو الذى تولى القيادة العامة الغربية بعد فون كلوغه امر يوميا اشار فيه الى رومل

بأنه ، « من اعظم القادة في المانيا .................. فكان يتميز بالقرارت القوية السريعة كالبرق ، وبالشجاعة الفائقة واندفاع لا يبارى ......... كما كان دائما على الخط الأول من القتال ، كما كان يحث رجاله على القيام بالاعمال البطولية الجديدة متخذين منه مثلا ...................

وقد كان هناك شيئا أو شيئين قد أغفلا . فلم تصل في ذلك الوقت او بعده أية رسالة من كيتل او جودل . فقد اغفلا هنرتش بورج مان وهو الضابط المساعد لهتلر ان يضيف النهاية التقليدية فرسالته وهى « عاش هتلر » وبعد عدة أيام استقال من وظيفته .

وجاءت تعازى، هملر على نحو غير مألوف . كما كان فحواها غريب ايضا . فبعد ثلاثة أيام من وفاة روميل ارسل مساعدة الشخصى برندت ، الذى ذكر في أول الكتاب كمبعوث من وزارة الاعلام للفيلق الافريقى ، كى يسلم رسالة شخصية الى السيدة روميل وكانت الرسالة بأنه اى هملر ، يعلم القصة كاملة ، وأنه قد فزع . وأنه لم يشترك بأى شكل في مثل هذا الامر . وكان برندت يعمل الآن مع القوات الخاصة وكان قد عاد الى وزارة الاعلام وطرد بواسطة جوبلز حيث كان يردد ملاحظة روميل بان الحرب قد فقدت . وقد اضاف الى رسالة هملر تعليقا » من عنده للتضليل . فاعلن ان هتلر كان بريئا « هو الآخر . اما الامر كله فقد كان من تدبير كيتل وجودل وكتب بعد ذلك رسالة صوفية غريبة من على خط المواجهة قبل أن يقتل هو الاخر فقال لقد كان هناك « هدفا من السلطات العليا » في مقتل روميل الا أن هتلر لم يكن شريكا » فيه . وهذا ما كان يظنه بالتأكيد ، لانه كان من اولئك الذين لم يفقدوا ايمانهم في قائدهم الفوهرر . الا أن هملر لم يكن له يد في الامر حقيقة ، فانه كان يعلم على الاقل ان كيتل وجودل لم يكونا ليجرؤا على القيام بقتل روميل دون امر من رؤسائهم . كما لم يكن هناك عديد من الاعتبارات الهامة التى لم تتم دون استشارته او دون ان يستشار هو بنفسه فيها . وبذا فلايمكن تحديد مسئولية تدبير هذا الامر تماما . أو لم تكن الاوامر بالاغتيالات على مستوى المشير تكتب على اوراق حتى في النظام النازى الالماني . ولم يكن لدى أسرة روميل واصدقاؤه اى شك فيمن اعطى كلمة التنفيذ .

وشيعت الجنازة في الثامن عشر من اكتوبر . وقد كانت عملا متقنا وكان النازيون يهتمون بعملية الدفن مثل قطاع طرق شيكاغو . حيث كانوا ايضا لا يبخلون بالصرف على الموتي كما كانوا اساتذة عظماء في الاحتفاء بهم . وكان هتلر قد امر

باعلان الحداد العام . ودفن روميل بكامل مظاهر الحفاوة والتكريم العسكرى . وخرجت جميع القوات التى كانت بالقرب من المنطقة وحمل النعش من المنزل وهو مغطى بعلم ضخم للصليب المعقوف بينما حمله الحرس الذين يرتدون الخوذات والقفازات البيضاء واسلحتهم . ومن هناك نقل الى دار البلدية في مدينة اولم . وهنا رقد روميل في حجرة مقنطرة تستخدم للاحتفالات والاعمال الوطنية . ورفعت الاعلام على الواجهة الخارجية للمبنى وتوجهت الاعمدة الداخلية بالنسور والاعلام ، وأكاليل الغار . ووضعت عصا مارشاليته على النعش كما وضعت خوذته وسيفه وكانت مجوهرات الاوسمة التى حصل عليها في الحربين تلمع على وسادة من القطيفة . قام بالحراسة اربعة من الضباط الذين يحملون درع الفيلق الافريقى . وقد حل محلهم عندما اقتربت موعد بدء الاحتفال أربعة قواد من القيادة وفي الفناء الخارجى اصطفت فرقتين من المشاة لتقوم بالعرض مع فرقة من القوات الجوية بالاضافة الى مجموعة قليلة من فرق القوات الخاصة ، كما كانت هناك فرقة موسيقى عسكرية . واحتشد آلاف من الناس في الميدان ، وكان من بينهم كثير من الاولاد والبنات الذين كان روميل بالنسبة لهم بطلا من الابطال . فشاهدوا وصول كبار الضباط من جميع الفرق ، بالاضافة الى ممثلين عن الحزب وعن الدولة وعن حلفاء المانيا . وأخيراً وصل المشير فون راندستد ، وهو اعلى ضابط في القوات المسلحة الالمانية . وعندما دخل الى مكان الاحتفال مع أسرة روميل عزفت فرقة الموسيقى العسكرية اللحن الجنائزى الالماني . ثم القى المارشال فون راندستد خطابا نيابة عن الفوهرر الذى ، دعانا باعتباره القائد الاعلى للقوات المسلحة لنلقى نظرة وداع على المشير الذى سقط في ميدان الشرف » .

وقد وصف فون راندستد ، الذى اصبح متقدما في السن كما هو واضح ، كيف ان روميل قد اصيب بسبب أحد اعمال العدو العسكرية في نورماندى . واستأنف قائلا ، « ان القدر الذى لايرحم اختطفه منا ، في اللحظة التى وصل فيها القتال الى ذروته » . ثم تلا سجل اعمال روميل في الحربين العالميتين مشدداً باستفاضة على حملاته في أفريقيا وعلى المنزلة التى وصل اليها حتى لدى العدو . وقد مر فون راندستد على احداث نورماندى بسرعة ، بمجرد تعليق قال فيه انه ، « قد عمل دون كلل للاعداد لصد الغزو » . دون أن يهتم بصلاته الشخصية .

وكان قمة التهكم والسخرية الخطابية عندما اعلن ان « هذا المقاتل الذى لم يعرف السأم طريقا الى قلبه من أجل الفوهرر ومن أجل المانيا قد تشبع بروح الاشتراكية

القومية » وان هذا هو الذى منحه القوة وكان مصدر الهامه في جميع اعماله .
واختتم خطابه بالكلمات الخالدة : « لقد كان قلبه معلقا بالفوهرر » .

بعد ذلك وضع اكليلا ضخما من الزهور تحت قدمى رومل مردداً « بالنيابة عن ادولف هتلر » عندما عزفت الموسيقى العسكرية نشيدها الذى كان له أبلغ الاثر بين الجنود . فكثيراً ما كان هتلر يهتم بالامور العاطفية .

ونقل من مقر البلدية على عربة مدفع تجرها احدى سيارات المشاه نصف المجنزرة الضخمة الى المحرقة . وفي هذه الحالة لايمكن ترك اى دليل يمكن كشفه حتى بنبش القبور . وعلى مقاعد السيارة نصف المجنزرة جلس بعض الجنود الشبان بظهورهم المستقيمة ، مترىعى الايدى ورفع الحرس اسلحتهم مرة أخرى وعزفت الفرقة الموسيقية ، ووقف قادة الحزب والجنرالات وقفة انتباه شديدة ثم تلا ذلك عدة خطب ، وحملت اوسمة رومل امامه على الوسادة القطيفة ، وكان اكليل الفوهرر في مقدمة الجميع .

واحضر اللواء البحرى روج بقطار خاص من برلين ، ليمثل القوات البحرية الالمانية ولم يكن يعرف الحقيقة الا انه كان يشك ان هناك شيئا ما من الطريقة التى كان يلقى بها فون رانستد خطابه في مبنى البلدية ومن حقيقة ان المشير لم يحضر الى المحرقة وكان من بين الذين جاءوا للعزاء السيدة سبيدل ايضا وسترولن وفون نوراث . وكانوا يحتاجون الى شجاعة كبيرة من جانبهم لحضور مراسيم تشييع الجنازة . ولم تكن السيدة سبيدل تتوقع ان ترى زوجها حيا مرة أخرى لان ابواب السجن في البرشتيراس نادرا ماكانت تفتح ابوابها ليخرج منها احد . وكانت هى واطفالها يشعرون بخطر رهيب . وكان سترولن قد استطاع ان يستنتج الحقيقة بمجرد ان السيدة رومل قد اتصلت به هاتفيا في مساء الرابع عشر وأخبرته ان زوجها قد مات . ومنذ ذلك الحين كان ينتظر كل يوم عند الفجر تلك الطرقة القوية التى كانت قد ايقظت اسرة سبيدل أليس هو الذى اودى باقدام رومل كى تسلك هذا الطريق ؟ . وكما كان فون نوراث هو الاخر في غاية الانشغال والخوف . فقد كانت أفراد البوليس السرى النازى تنتشر في كل مكان بكل تأكيد . فقد كانوا هناك بالفعل حفنة من الشباب دمث الخلق — يرتدون الملابس المدنيه ، يراقبون من وراء الاسوار . فلا عجب اذن ان السيدة سبيدل بدت خائفة حتى لترد على تحية سترولن .

ومع ذلك بدت الاعتقالات من تلك اللحظة وكأنها توقفت . فان مؤلف هذا

الفصل الاخير قد قرر انه يجب ان يصاحب تمثيله جو من الاسى والاعزاز فقد كانت التوجيهات التى يجب ان تتم على المسرح هى « الاجلال العميق لوفاة المشير » .

وفي اليوم التالى نقلت رفاة روومل الى منزله في هرلنجن . اما هرلنجن فهى قرية جميلة تشمل منازل بيضاء لها اسطح من الطوب الاحمر تزينها اوانى الرياحين وتقع في واد ضيق تحيط به تلال الغابات التى تنتشر على الجانبين . ويجرى نهر سريع صاف من خلالها . وتبدو هرلنجن في اجمل حالاتها في الربيع ، عندما تمتلىء الحدائق بالزهور ، أو ، كما كان عندئذ في الخريف ، عندما تحول لون الاوراق الى اللون البنى الذهبي . والكنيسة البيضاء هناك سحرها ايضا بسقفها المنحدر الذى يشبه مخزن الغلال وهو على هيئة صخرة اردوازية قد تغير لونها بفعل الجو بالاضافة الى برجها المربع الذى يغطيه قبته الخضراء القديمة . وهى تحتوى على اثار يرجع تاريخها الى القرن الرابع عشر حيث اعدت بواسطة اول ملك فورتمبرج في سنة ١٣١٦ . ويشارك الكاثوليك البروستستانت في بناء الكنيسة بالرغم من أن الكنيسة تتبع الديانة الكاثوليكية ، وهو ينحدر على مراحل حتى يصل الى الطريق الذى يجرى النهر من خلفه . وفي الربيع تصبح القبور ملأى بزهور البنفسج والنباتات الزاحفة على الجدران . وأما شواهد أضرحة الاباء توجد بعض الصلبان الصغيرة ورسوم صغيرة مثل التى يراها الفرد في المقابر العسكرية لاحياء ذكرى شباب هرلنجن الذين سقطوا في أفريقيا وكاسينو وريجار بيجلجوورود أوببساطة اكثر في كل المعارك العظيمة » ويحيط بفناء المقبرة سور ابيض زرعت على جدرانه شجيرات الورود . وهنا في احد زوايا السور كانت القطعة التى خصصت لروومل . ومنها يمكن رؤية الكنيسة من خلفها ، وقمم الاشجار خلف الطريق والى اليسار منحدر الهضبة المغطاة بالخشب وهى تجرى في منحدرها حتى يرى جبل ماتاجون انها لبقعة هادئة . وهناك وفي حضور اسرته واصدقائه وكل اللذين كانوا على استعداد لفدائه بارواحهم انزل روومل الى مقبرته .

وبالرغم من انه ليس من السهل أن نسأل سيدة عن مشاعرها وهى تقف بجانب مقبرة زوجها القتيل ، فقد كنت اعرف السيدة روومل جيداً بالدرجة التى تمكننى من سؤالها اذا ما كانت قد قامت بمحاولة افشاء الامر وتجريم قاتليه . فقالت « لقد كان من الصعب على ان افعل وأنا في مبنى البلدية ، عندما كان المشير فون رانستد يلقى بخطابه ، فقد كنت أتوق لاعلن انهم جميعا كاذبون . ولكن مالفائدة ؟ فسريعا ما سيتمكنوا من اخماد الموضوع بشكل أو بآخر وبالتالى فاننى اكون قد الحقت العار بزوجى على الملأ . فقد مات على كل حال ........ وعلى

أن اهتم بمانفرد ، فانا لم اعد اهتم بنفسي ولكن يجب ان تعلم مايفعلونه حتى مع ابعد الاقرباء مثلما فعلوا مع اولئك الذين اعدموا بعد العشرين من يوليو ....... فربما قتلوا مانفريد . انهم يعتمدون على انه في منتهى الذكاء . لا لقد كان هذا هو قرار زوجي ولا يمكننى أن اغيره بعد أن رحل .

وهكذا كان كل شيء وانتهى كل شيء حسب الخطة الموضوعة . ولم يكن يستطيع سوى الناقد المتطرف ان يسأل عن سبب تعثر المشير فون رونشتد في قراءة خطابه ، كما لو كان قد اعطى اليه قبل قراءته بدقائق معدودة فقط . ولماذا لم يقم بأية محاولة للحديث مع السيدة روملِ ؟ ولماذا رفع عينه عند مرور سترولن وفون نوراث ويرميهم بهذه النظرة الغريبة ؟ وقد قال سترولن ، « لقد كان على علم بما جرى أو على الاقل فقد استطاع ان يستنتجه ، كما كان يكره الدور الذى أرادوا له ان يلعبه » . ولابد انه قد كره تصرفاته ايضا . وذلك لان فون رونشتد كان جنديا كما كان رجلا مهذبا ، يكن احتقارا عميقا لهتلر وللحزب ولقد كان هناك جنديا من نوع اخر تساوره الشكوك ايضا . فقد سأل احد ضباط القوات الخاصة ممن لهم اتصال باسترولن ، « ماذا جرى في هذه الجنازة ؟ ، لقد شعرت بشكل ما ان هناك شيئا غامضا فيها . »

ولم تكن هذه الشكوك على مستوى العامة فان الجماهير الالمانية العريضة خارج الدوائر الضيقة للحزب والقيادة العليا كانت تعتقد بأن روملِ قد مات متأثراً بجراحه وحزنوا عليه حزناً شديداً ، حتى أثناء مصائبهم . فقد سألت النقيب هارت مان من مدينة هيدنهيم اذا ما كانت تساوره أية شكوك فقال ، « في الأول الامر لا ، وبعد هذا بعدة أيام بعد الجنازة ، كنت في نزهة مع أحد الاصدقاء . فالتفت الى فجأة وسألني اذا كنت اعلم اى شيء ، حيث ان كل شيء بدا غريبا » وبدأت افكر . فقد رأيت روملِ بعد وفاته وكان يبدو هادئا تماما . ولم يكن هناك اية علامات عن مقاومة ، ولا اثر لاى جرح ناتج عن طلقة رصاص او أى شيء من ذلك النوع . الا أننى قد قضيت يوما كاملا ايضا معه في هرلنجن قبل ثلاثة اسابيع . وقد كان قد شفى تماما من جروحه كما كان في حالة ذهنية فائقة . وتحدثنا عن الحرب الاولى وكان يذكر كل اسم وكل تاريخ . ولم يكن يتوقع ان يسند اليه اى عمل بعد ذلك ، لان جورنج والاخرون كانوا ضده . كما كان مقتنعا ايضا بان الحرب قد ضاعت الا انه لم يذكر شيئا على الاطلاق يلمح فيه ان لديه اية مخاوف على حياته الشخصية » . واستأنف هارت مان ليسأل انه

ربما لم يكن هناك شيئا غريبا بالفعل . الا أن السيدة روملِ لم تخبره بانه كان يعرف كل الحقائق الا في أبريل سنة ١٩٤٥ .

في نفس الوقت استؤنفت الحياة في المنزل الوحيد على الجبل بالقدر الذى تأتي من الشجاعة . وكان هناك تغييراً واحداً في هذا المبنى . فقد اعطيت السيدة روملِ جنديا عجوزاً ليعمل كخادما ويساعدها في اعمال المنزل وقد كان الرجل مصابا بالعرج لان الجزء الاكبر من احد ساقيه كان مبتوراً . وقد كانت له اصابة شديدة ايضا في الصدر بسبب احدى شظايا طلقة مدفع . وكان من بين الواجبات الخفيفة المسندة اليه انه غالبا ما كان يرد على الهاتف . وقـــد رد عليه في الثالث عشر من أكتوبر ، عندما جاءت الرسالة بأن الجنرالين برج دورف ومايزل كانا في الطريق . فبعد الجنازة بقليل صدرت الاوامر للسيدة روملِ باعادته الى الخدمة . وبالرغم من احتجاجها بأنه لايستطيع ان يمشى لعرجه ، فقد اخذ الى احد الخطوط القتالية بالقرب من براغ . واستطاعت عن طريق الاتصال التليفوني بأحد الاصدقاء من ذوى النفوذ في مقر قيادة الجيش ان تعيده اليها ثانية وبعد ان امضى وقتا قصيراً في هرلنجن صدر له الامر مرة اخرى ان يحضر للخدمة في كتيبته وبعد ذلك بوقت قصير روى خبر مقتله . وربما يوعز الامر الى عجز الرجل البدني او الحقيقة ان السيدة روملِ ، بعد أن اصبحت الآن ارملة للمشير لم تعد تستحق خادما من الجيش . ومع ذلك فما زالت تشعر بان السلطات العليا كانت مهتمة بشكل غريب بالقضاء على جندى عادى أعرج .

الا أنها من ناحية أخرى لم تنزعج من هذا . وربما كان رجلا القوات الخاصة اللذان أكتشفت وجودهما في أحد الليالى في حديقتها لم يكن لهما اى غرض شرير . فانهما قد ابتعدا على اى حال عندما صدتهما وطلبت منهما معرفة ماذا يفعلان وقالت لقد كنت عصبية رغم انى اتوقع أنهما قد جاءا من أجلى ، وبصفة خاصة قرب النهاية عندما كانوا يقتلون الاعداد الكبيرة من الناس الذين كانوا يعرفون اكثر مما ينبغى . ولقد كنت دائماً عصبية لخوفي على مانفرد . فقد كان من اسهل مايمكن ان يكتبوا عنه بانه قد قتل في احد العمليات .

ووضع مانفريد يده على كتفها وقال ، « لقد كنت قلقا عليك مثلما كنت قلقا على نفسى ، فأنا الاخر كنت اعلم أكثر مما ينبغى وربما ظنوا انى ربما اتحدث بسبب حداثة سنى . فقد كان قائد اللواء الذى نقلت اليه من بطارية المدفعية التى انتمى اليها نازيا شرسا وكنت اعتقد انه يضع عينيه على بصفة دائمة وربما كان ذلك

مجرد اوهام ، فعلى أى حال ، قد عزمت ان اوقع بنفسى في الاسر بمجرد ان يصل الامريكان الى مدينة اولم ، واضاف باعتقادى ان امى ستكون في أمان .

ولقد اسعده الحظ بأن لم يقتل في هذه العملية ، فبينما كان يشق طريقه تجاه القوات الفرنسية في ريدلنجن على نهر الدانوب قابلته فرقة استطلاع من القوات الخاصة . وكانت تلك القوات الخاصة في ذاك الوقت مشغولة بآخر مهمة لها . فقد كان من واجبهم ، ومما يدخل السرور على أنفسهم بلاشك تخويف اى جنود المان ممن يجدهم خارج معسكر اتهم دون اذن سارى المفعول كما كانت لهم الصلاحية في ان يشنقوهم في أقرب شجرة بأسرع مايمكن . ولابد أن الجثث المدلاة من الاشجار بالزى الرسمى في الغابة السوداء وفي بعض الاماكن الاخرى قد ادهشت قواتنا . فقد كانت في الواقع من بين الشعارات الاخيرة للنظام النازى . واوقف مانفرد وتم استجوابه . ومع ذلك فقد كان على استعداد للاستجواب حيث اعد قصة ليدلى بها . لقد كان على وشك السقوط في أيدى الفرنسيين منذ عدة دقائق الا أنه قد استطاع الهرب . وهو الآن يسرع في البحث عن قائد فرقته . وكان الفرنسيون في تلك القرية التى على مقربة منهم . فتركتـــه قوة الاستطلاع التابعة للفرقـــة الخاصـــة وجعلته يمـــر . وبعد ذلك بوقت قصير اصبـــح مانفرد اسيراً بالفعـــل . ولقد عومـــل معاملة كريمـــة . فعندما عـــلم الجنرال دى تاسجنى انه ابنا لرومـــل جعله يعمل كمترجم واصبح من الصعب عليه ان يعرف اية اخبار عن والدته .

ولم يتعرض الدنجر الذى كان يعلم الكثير مثله في ذلك مثل الكثيرين مع أنه هو الآخر قد قضى ساعات من القلق والاضطراب قبل الاستسلام . وقد نجا سترولن ايضا من الاعتقال . ففى قضيته يبدو ان تبرير عدم القبض عليه يرجع الى ان مخابرات البوليس السرى النازى لم تكن ذات فعالية وانهم لم يستطيعوا ان يهتدوا اليه مباشرة . وقد احترمتـــه الجماهير في شتوت جارت ايضا كما عرف خارجها انه يبدو من الافضل أن يتركوه وشـــأنه وربما ان صديقه وهو القائد السابق للشرطة قد لعب دوراً في هذا الموضوع ايضا . فقد ظل الموضوع غامضا حتى بالنسبة لسترولن نفسه .

أما نجاة الجنرال سبيدل فقد بدت أقرب الى الاعجاز نتيجة للذكاء الحاد وضبط النفس ، كما يبين الى أى مدى يمكن ان يكون الفيلسوف مسلحا ضـــد عالم من الوحوش الضارية . فعندما سأله رجال البوليس السرى النازى في سجنهم في البرشت ستراس كان لديهم قناعة تامة بانه مدان ولابد انه كان ضمن قائمـــة

دكتور جورلدر . وعلاوة على ذلك فان جورلدر قد ضعف تحت التعذيب وانه من المعروف انه قد ادلى باسماء عديدة . لماذا اذا لم يشنق جنرال سبيدل ؟ ويقول لى ، « اعتقد ان السبب انى بقيت ساكنا تماما وناقشت كل شيء معهم على اساس منطقى سليم دون اثارة للعواطف . فجعلتهم يشعرون باننى لا اهتم بمصيرى بالقدر الذى اقدم لهم فيه الوقائع والحقائق . ولقد كانت لحظة سيئة للغاية عندما واجهوني بالعقيد فون هوفاكر وهو من هيئة أركان الجنرال فون ستالب ناجل ، ولاننى كنت قد سمعت انه قد وقع تحت التخدير والتعذيب لكى يتكلم . الا أننى تمكنت من النظر الى عينيه للحظة فاستجمع قواه وقال « بانهم لا يمكن ان يأخذوا بشهادتي على انها صحيحة » .

وتمكن الجنرال سبيدل من البقاء سليما بعد استجوابين كبيرين خطيرين عند البرشت ستراس بالاضافة الى عديد من الاستجوابات الثانوية . ولم تكن الحراسة تخفف عليه ولو لثانية واحدة . ولم يكن من السهل اقناع رجال البوليس السرى النازى بأنه برىء الا انه ابدى تفوقا فكريا عليهم لدرجة انه اوحى اليهم بأن هناك بعض الشكوك في قضيته ، لدرجة انه قد جعلهم يشعرون بالغباء الى حد ما . وبهذا انقذ حياته – في ذلك الحين . والاكثر من ذلك انه قد نجح الى حد كبير في اقناعهم بكلماته التى قال فيها . « لقد كان من المستحيل على روميل ان يشترك في أى امر من احداث العشرين من يوليو ١٩٤٤ على الاطلاق » لقد كان الامر بالنسبة له تدريبا على استعمال الاسلوب المنطقى ، وتتبع خطاه دون عواطف ودون توتر على مايبدو . لكنه لم يستطع ان ينقذ روميل لان غضب هتلر منه وكراهيته له كانت قد ظهرت على السطح ، فقد أراد ان يقتل روميل ، ليس بسبب انه احد الخونة على مابدا ولكنه لانه كان على صواب في الوقت الذى كان فيه كل من كيتل وجودل على خطأ في المسألة الافريقية ثم في نورماندى مرة أخرى . ولهذا بدأ يكن له العداء والكراهية وهما في مثل حالته يعتبران نمطا من انماط التعبير . أما سبيدل فلم يكن قد اثار كراهية هتلر نحوه . وربما ان هتلر قد شعر ايضا ان اعدام هيئة اركان روميل سيثير الشكوك حول المهزلة الكبيرة التى قام بها لتغطية القضاء على روميل نفسه . واستطاع بعد سبعة أشهر في ذاك الوقت الجنرال سبيدل او دكتور سبيدل الفيلسوف أن ينتصر على رغبات القضاء النازى . وبالطبع فلم يطلق سراحه . فلم يكن رجال البوليس السرى النازى يستسلمون امام ضحاياهم بهذه السهولة بل كانوا تحدهم الامال ان الدليل القاطع ربما يظهر من جديد .

وفي الاسابيع الاخيرة من الحرب كان سبيدل مازال بالمعتقل مع بعض المراقبين في أورنا بالقرب من بحيرة كونستانس . وكان هناك حارسا خاصا تحت قيادة احد ضباط القوات الخاصة وكان لدى سبيدل بعض الشكوك ان الاوامر التى كانت لديه هى أن يدبر الامر بان لا يقعوا في ايدى الحلفاء احياء . فبدأ الجانب العسكرى من عقليته يتحرك . فقد استطاع ان يزور برقية بالتضامن مع آمر السجن الذى كان يظهر الود نحوه لتوهمهم انها صادرة من هملر نفسه . ومفادها ان يكون ضابط القوات الخاصة مستعداً لنقل المعتقلين الى مكان أكثر أمنا . وكان عليه ان يتصل هاتفيا بمقر قيادة هملر من أجل مزيد من التعليمات الا أن هاتف السجن كان معطلا . وبذا كان على ضابط القوات الخاصة ان يذهب الى مكان آخر كى يتصل بالهاتف . وبينما هو في الخارج سمح آمر السجن للمعتقلين وجنرال سبيدل وأكثرمن عشرون آخرون بالهرب . فالتجأوا الى احد القساوسة الكاثوليك الرومان الذى قام باخفائهم . وقبل أن يكتشف امرهم كانت قوات الحلفاءقد اكتسحت المنطقة .

وهذه هى تقريبا نهاية قصة روميل . ومع ذلك لابد لى من أن اعــود لاسابيع قليلة لمايزال يبدو لى على أنه اغرب فصل فيها . ففى أوائل مارس سنة ١٩٤٥ عندما بدأ عالم هتلر يتساقط من حوله ، تلقت السيدة رومل رسالة يرجع تاريخها الى السابع من مارس . وكانت الرسالة ممن نصفه بانه المسئول عن مقابر العسكريين وكان مفادها ، : ( ان الفوهرر قد امرني ان أشيد نصبا تذكاريا للفقيد المشير رومل ، وقد طلبت من عديد من المثالين ان يقدموا تصميماتهم . واني ارفق بعضا منها . ففى الفترة الراهنة لن نتمكن من اقامة النصب او من نقله . الا أننا يمكن ان نصمم نموذجا فقط .................. واني لا اعتقد ان المشير ينبغى ان يبدو على هيئة أسد . فقد رسم أحد الفنانين أسداً يحتضر ، بينما رسم آخر اسداً يبكى في الوقت الذى رسم فيه ثالث اسداً على وشك ان ينقض .......... وانا شخصيا افضل الاخير ولكن اذا مافضلنى الاسد الذى يحتضر ، فان ذلك أيضا يمكن تدبيره .

« ويمكن تنفيذ النموذج في الحال ، حيث انه لدى تصريحا خاصا من ريتش ميتسنرزسبير . ومع انه لا يمكننا تنفيذ التمثال على الاحجار في الوقت الحاضر بصفة عامة . الا أننا في هذه الحالة الخاصة يمكن أن يشيد وينفل بحراً على وجــه الســرعة ...................... » .

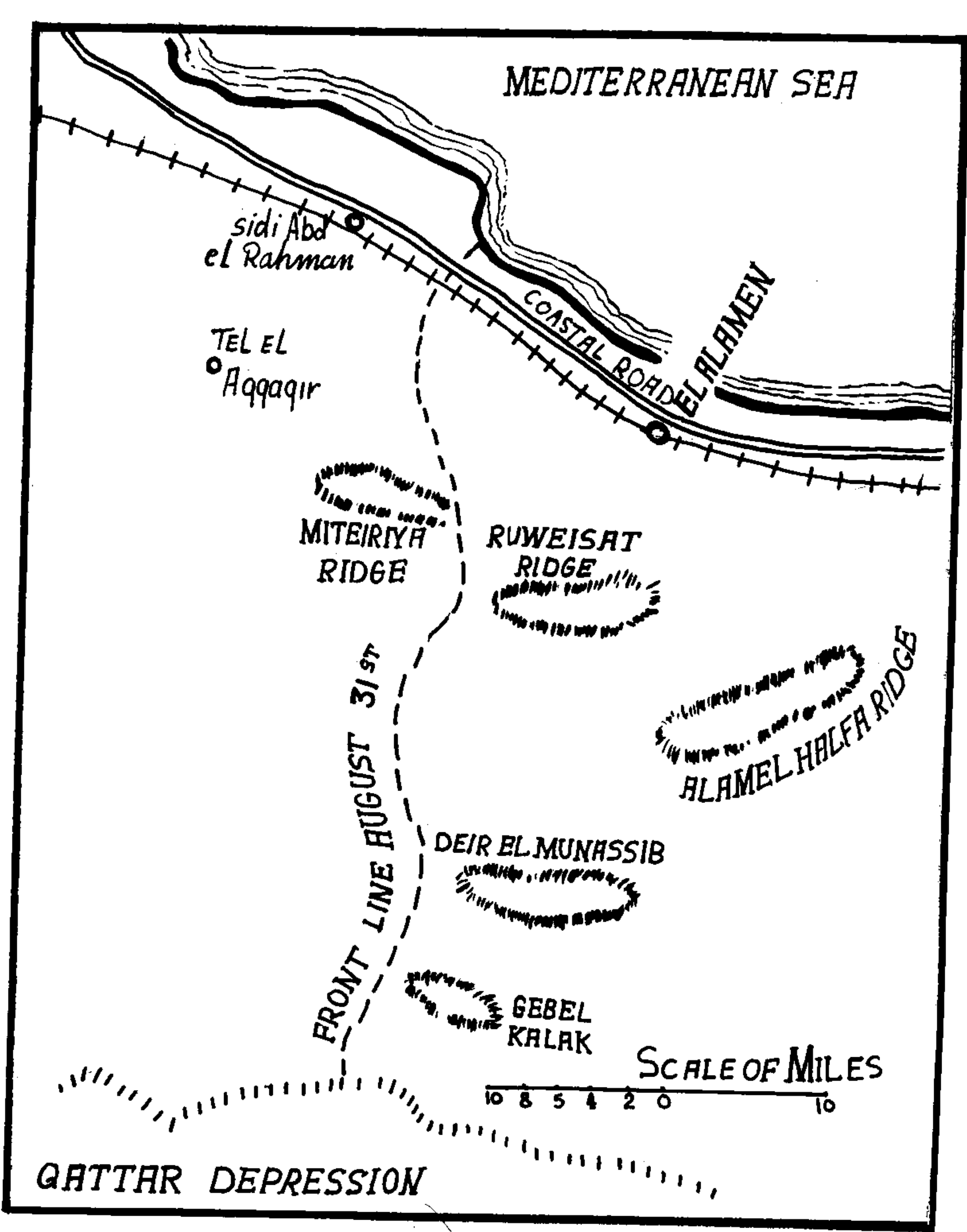
ولم ترســل السيدة رومل اى رد على هذه الرســالة .

TObrK
Acroma
Go Tel Haleb
Knightsbridge
ELADEM
EL Duda
Sidi Rezegh
CAMPUT
GASR EL ARID
TRIGH CAPUZZO
Sidi Aziz
BARDIA
Sollum
CAPUZZO
Bir el Harmat
Bir Hacheim
EL GUBi
Gabr Saleh
Sidi Omar
Libyan Omar
Sheferzen
TO MADDELENA
63 FSD
65 FSD
N

Scale of Miles
10 8 6 4 2 0 10 20

LEGEND
Roads
Tracks
Italian permeter
Fronter wire
Escarpments

WESTERN DESERT BATTEFIELDS




THE EL ALAMEIN POSITION

المحتـــــويات

صحيفة


بنغازي
قطاع الورق والطباعة




متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة

مكتبتي الخاصة

على موقع ارشيف الانترنت

الرابط

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الناشر: الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع